العدد (٥٣٥) ربيع الأول ١٤٣١هـ - مارس ٢٠١٠م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

الشيخ كريم راجح:

تعدد القراءات .. تيسير على الناس

المواطنة في كنف الإسلام

القرآن وصناعة إرادة الإنسان

طريق النجاح

أدب الانسحاب من مودة الأصحاب

من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الثقافة الإسلامية

يعتبر هذا الكتاب تلخيصاً لكتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب» لأبي طالب المكي، اختصره القاسمي - رحمه الله - وهذبه واقتبس منه أهم مواعظه وفرائده، وبه أضاف إلى مكتبة الواعظ والمرشد مادة قيمة أخرى تعينه على أداء رسالته على الوجه الأكمل المطلوب

الافتتاحية

طريق النجاح

من السجايا الجميلة التحلي بعلو الهمة، فهو الذي يجلب لك خيرًا غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دم الشهامة، والجري في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور، فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف، لأن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره دنيّها وسَفْسافها، فعلو الهمة باعث على التقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة واستنكَارًا لمهانة النقص، وقد روي عن عمر: لا تصغرن هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم، وقال بعض الحكماء: الهمة راية الجد، وقال بعض البلغاء: علو الهمم بذر النعم، ومن ترك التماس المعالي بسوء الرجاء، لم ينل جسيمًا، والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه، وقد أرت الناس عورته، والقصير الهمة لا يبالي بمنن الناس ولا يستقبح سؤالهم، ولا يأنف من زِدْ، والعالي الهمة لا يحمل ذلك، ولكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى، وراحة القصير الهمة تعب وشين، والدنيا دار سباق إلى أعلى المعالي، فينبغي لذي الهمة ألا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يلم، فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور.

وإذا كانت النفوس كبارًا
تعبت في مرادها الأجسام

وقال الآخر:

ولكل جسم في النحول بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

فينبغي للعاقل أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل، ومن علامات وأسباب النجاح، الاستعانة بالعقل لا بالعضلات، فالآلة تكفيك عن الحمل والنقل، والتنافس في ساحات العمل، فساحات العمل هي التي أخرجت الأبطال كالمعامل والمكتبات وساحات العلم وقاعاته، والمحاسبة الذاتية باستمرار، لأن الظن أنك بلغت الكمال من أول علامات التخلف، والاتصال بالمستجدات لمسايرة العصر، والصبر والنجاح ليس عادة سهلة، فليكن في قصة الماء مع الزيت عبرة، لَمّا علا الزيت على الماء قَال له: لم علوت عليّ وقد أَنْبتُّ شجرتك، فقال الزيت: صبرت على العصر والنقل وأنت تمشي في السهل، فإذا كنت ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزًا لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تَتَحَيَّفُه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانًا بغير أجر، وجندا بلا ديوان، فعليك بالهمة، تأتك المنافع عفوًا، وتلق ما يعتمد منها صفوًا، واجتهد في تحصيلها ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيها بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر بعد وفاتك.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

حوار مع الشيخ كريم راجح 8

القرآن وصناعة الإرادة 36

مسجد عقبة بن نافع 54

يوم غابت القدوة 58

الطوارق.. لا هوية ولا وطن 76

شات الإنترنت الجاني الجديد 82

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٥

العام السابع والأربعون

ربيع الأول ١٤٣١ هـ

مارس ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

● السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) ●اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر ●لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ ●سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

●الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ ●مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ●الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع ●مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام ●المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ●المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ●سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ●قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

أوطاننا اليوم في أمس الحاجة للبعد عن المذهبية الطائفية والتوجه نحو فضاء حوار وطني جامع غير مفرق، والأمل معقود بأهل الحل والعقد في شد اللحمة ورأب الصدع.

داخل العدد

الآيات الباهرة في وجه الإنسان	٣٤
أثر البيئة في الشعر	٤٤
الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد	٦٠
إيوان كسرى في المدائن	٧٠
طفلك فوضوي.. إليك الحل	٨٤
عبادة التفكر	٩٨

كلمة العدد

مشروع الخدمة

يعد مشروع الخدمة في أحد الأقطار الإسلامية أنموذجا حقيقيا لأهل الهم والهمة، حيث يسعى إلى بناء صرح الروح لترتوي منه الإنسانية، ويمثل ولادة جديدة في فهم الدين لإقامة عالم السعادة، ويتخذ شعار «الحياة كلها لله» منهجا في مسيرته التي يقودها مصلح اجتماعي ومرب تربوي.

هذا المشروع يسير على خطى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في العمل الدؤوب لإنقاذ البشرية من ظلام الدنيا إلى نور الإسلام، ويمثل حقيقة استخلاف المسلم الحق في الأرض.

ولقد اعتنى هذا المشروع بصناعة المعرفة وتصديرها للأمصار من خلال الاهتمام الشديد بمنظومة التعليم باعتبارها مدخل بناء الأوطان، لاسيما أن هذا المشروع حصاد 50 عاما من الجد والإصرار والمثابرة، حتى بات مدرسة لبناء براعم الإيمان بناء حضاريا.

ويعتبر الإنسان في الخدمة أساس أي حضارة، ومن ثم فقد كانت مقوماته الإيمان الكامل، والعشق للمعرفة، وقراءة العلوم، والتفكير الحر، والعمل المشترك، والتفكير المنهجي، وفكرة التوحيد.

ما يمكن أن تضيفه هذه التجربة لمجتمعاتنا أنها حققت إنجازا حضاريا رائعا أسكت أعداء الدين في مجتمع كان قبل عقود قليلة مغلقا أمام كل ما يسمى إسلاميا.

أخيرا إن غاية هذا المشروع تتمحور حول مرضاة الله سبحانه وتعالى من خلال الخدمة والعيش من أجل الآخرين، لأن أكبر خدمة هي استثمار الإنسان.. فهل نستفيد من هذه التجربة في مجتمعاتنا التي تئن من التحلل الإجتماعي؟

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

تحت عنوان «رؤى معاصرة للإصلاح ودورها في تعزيز السلام العالمي»

تجربة المجدد التركي فتح الله كولن في الأردن

كتب: رئيس التحرير

نظمت مجلة «حراء» التركية بالتعاون مع «المنتدى العالمي للوسطية» أخيرا ندوة دولية بعنوان «رؤى معاصرة للإصلاح ودورها في تعزيز السلام العالمي.. تجربة فتح الله كولن أنموذجا» في المركز الثقافي الملكي بالأردن، بحضور وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبدالسلام العبادي ومشاركة نخبة من مفكري وعلماء الأمة من ١٧ دولة.

وعقد المشاركون في المؤتمر أربع جلسات عمل، ناقشت جوانب مهمة من تجربة فتح الله كولن الإصلاحية، حيث شهدت الجلسة التي ترأسها وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية د.عبدالسلام العبادي أوراق عمل حول «فتح الله كولن.. الشخصية والرؤية» للدكتور نوزاد صواش- تركيا، و«معرفة التاريخ وإحداث النهضة من منظور فتح الله كولن» للدكتور سليمان عشراتي- الجزائر، و«الرؤية التربوية عند فتح الله كولن» للدكتور سمير بودينار- المغرب، و«الوسطية في فكر فتح الله كولن» للدكتور الأحمدي أبوالنور وزير الأوقاف الأسبق في جمهورية مصر العربية.

وناقشت الجلسة الثانية من المؤتمر التي ترأسها المحامي فهد أبوالعثم أوراق عمل «أولويات الإصلاح بين مدرسة فتح الله كولن والتيارات الإسلامية المعاصرة» للدكتور موفق دعبول- سورية، و«المراحل السبع في تحويل المعرفة إلى سلوك عند فتح الله كولن» للدكتور محمد بن موسى بابا عمي- الجزائر، و«منهج فتح الله كولن في قراءة السيرة النبوية» للدكتور مأمون جرار- الأردن، أما الجلسة الختامية للمؤتمر فخصصت لمناقشة انطباعات الشخصيات الثقافية والفكرية والدينية عن تجربة فتح الله كولن.

وأكد المشاركون في الندوة على دور تركيا، خاصة في العالم الإسلامي، لافتين إلى أن العالم أصبح في أمسّ الحاجة إلى الإسلام، معتبرين أن الإسلام في مرحلة عصره الدعوي الذهبي، وأن تجربة الداعية فتح الله كولن الثرية ركزت على دور العقول والقلوب وبسط الخدمات الاجتماعية.

وأوضح رئيس الوفد التركي المشارك مصطفى أوزجان أن فساد الأنظمة الفلسفية في القرنين الأخيرين أدى إلى عدم المقدرة على تحقيق السعادة للبشرية التي هي بحاجة لمن يحقق لها السعادة المطلوبة.

ولفت إلى أن السيرة النبوية الشريفة حل أساسي لمشكلاتنا كافة، وهي التي سعدت بها الأرض، حيث احتوت على حلول لكل المشاكل التي تواجهها، واصفا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن الأرض هي مسجده والمدينة المنورة محرابه، حيث ألقى منها خطبا لكل الإنسانية.

ووصف أوزجان القبول الروسي للأفكار الإسلامية التي تنطلق من التعليم كأساس لتحقيق الرؤى الإسلامية الحقيقية للبشرية، بأنه يأتي انطلاقا من الفطرة والجوهر اللذين هما في أعماق البشرية التي تؤمن بالخير.

رئيس التحرير يصافح العبادي وبدا السفير التركي في الأردن

من جانبه، أشاد أمين عام المنتدى مروان الفاعوري بالتجربة التركية التي قادها فتح الله كولن لإقامة صرح للروح يكون بناء شامخا ترتوي منه الإنسانية، مؤكدا أن قوة الإيمان بمدلول الكلمة لدى كولن تعبير عن الصدق الأبهى مع الله والذات في استلهام المشاعر الإنسانية.

وقال: لقد قرأ واقع أمته وأمعن النظر فيه، فأيقن أنه لابد من ولادة جديدة لهذه الأمة، تستعيد بها نهضتها وتعود بها إلى سابق عزها، بعد أن ضحى المسلمون بدينهم (مصدر عزتهم) في سبيل دنياهم.

وأوضح الفاعوري أن الجديد لدى الداعية الإسلامية كولن أنه قرأ مليًا واقع العالم كله، واختط لنفسه منهجًا قدم فيه أولوية الإصلاح الاجتماعي والتربوي والاقتصادي على الصراع السياسي، فلم يستنزف جهده في الصراع السياسي كأولوية وهدف كما استنزف كثيرون في تجاربهم المريرة طاقاتهم وطاقات أمتهم، مما أدى إلى انفراط العقد السياسي للأمة وإضعافها عند مواجهة التحديات.

بدوره، أكد الداعية الإسلامي د.محمد راتب النابلسي أهمية الدعوة التركية التي سمّاها بالدعوة الصادقة لأنها استطاعت أن تقنع الطرف الآخر بالدين الإسلامي وفلسفته في الحياة، مبينا أن المسلمين نائمون في ضوء الشمس في حين أن أعداءهم يعملون في الظلام، كما أن الغرب كان حضارة رائعة لكنه تغير بعد ١١ أيلول (سبتمبر) ليصبح قوة غاشمة.

وأوضح أن الإسلام في عصره الدعوي الذهبي، مؤكدا أن العالم سيركع أمام أقدام المسلمين لا لقوة ولكن لحاجته إلى الإسلام، مشيرا إلى أن معنى الجهاد الذي يقفز إلى الذهن هو القتال، غير أن هناك جهادا دعويا وجهاد النفس، وإذا نجحنا في ذلك فإننا سننجح في الجهاد القتالي، لافتا إلى أن الغرب كان يجبرنا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريد، لكنه يجبرنا الآن على أن نفعل ما يريد وما نريد.

برعاية وزير الأوقاف وزير العدل المستشار الحماد

ملتقى الكويت الرابع للفنون الإسلامية

التحرير

تحت رعاية المستشار راشد الحماد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية- أقام مركز الكويت للفنون الإسلامية في المسجد الكبير ملتقى الكويت الدولي الرابع للفنون الإسلامية خلال الفترة ٤-٢٠١٠/١/١٥ في المسجد الكبير.

ويقوم مركز الكويت للفنون الإسلامية بتنظيم هذا الملتقى الدولي، بالتعاون والتنسيق مع الجهات والمؤسسات الإدارية والعلمية والثقافية والمجتمعية الكويتية، تحت رعاية وإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال واجهتها الحضارية الكبرى، المتمثلة في المسجد الكبير الذي هو مثال حي وفاعل لمكانة المسجد في الإسلام ودوره الأساسي في حياة المسلمين بجوانبها كافة، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

ويشارك في هذا الملتقى الدوري عديد من الجهات والمؤسسات والشخصيات الفكرية والعلمية والثقافية والفنية الكويتية والعربية والإسلامية والدولية من المختصين بالفنون الإسلامية والمعنيين بها أو ذوي العلاقة بها.

وقال رئيس مركز الكويت للفنون الإسلامية فريد العلي: إن هذا الملتقى يأتي استمرارا للنهج الذي يتبعه المسجد الكبير في سبيل تعزيز الدور الثقافي والحضاري للمسجد وتوثيق صلة الجمهور الكريم بالمسجد، كما يسعى إلى نشر المزيد من الوعي بأهمية الفنون الإسلامية وقيمها ومضامينها والحرص على إدماجها في مناحي حياتنا اليومية كافة، خاصة بعد النجاح الذي حققته الدورة الماضية.

وأكد أن الدورة الجديدة جاءت بمضمون أساسي هو الفنون الإسلامية بإطار علمي فني من خلال ما يقوم عليه التنظيم العام لهذا الملتقى من معرض فني شامل لمختلف الأعمال واللوحات المنجزة في أغلب مجالات هذه الفنون.

وأوضح العلي أن هذه الدورة تركز على تطبيقات الفنون الإسلامية على الخزف الذي يعتبر أحد أهم المجالات التي أبدع فيها الفنان المسلم في الماضي والحاضر.

وتساهم في هذه الدورة مؤسسات مرموقة في ميدان الاهتمام بالفنون الإسلامية ودعمها، منها مكتبة الإسكندرية، ومركز قطر الثقافي (فنار)، ومتحف الفنون الإسلامية في ماليزيا، والذي يعد من أهم المراكز البحثية في مجال الفنون الإسلامية على المستوى العالمي، وهو يشارك للمرة الأولى في فعالية من هذا النوع في منطقة الخليج العربي، ومتحف السيد طارق رجب من الكويت، والذي يقدم مساهمة فعالة من خلال تقديم ما يقرب من سبعين قطعة خزفية أثرية من مختلف الحقب التاريخية للحضارة الإسلامية، وتعود مواطنها إلى حواضر العالم الإسلامي الكبرى التي اشتهرت بصناعة الخزف.

إلى جانب تخصيص أجنحة للنشء بإشراف فنانين محترفين من الكويت وخارجها، للتعرف على مبادئ فنون الخزف والرسم على الماء والخط العربي وممارستها وسط أجواء من المتعة.

كذلك خصص المعرض جناحا للطلبة الموهوبين الذين انتظموا في دروس الخط الأسبوعية في المركز وأبدوا تميزا جعلهم جديرين بالمشاركة في هذا المعرض.

الملتقى يأتي استمراراً لنهج المسجد الكبير في تعزيز دوره الثقافي

شيخ قراء الشام العلامة محمد كريِّم راجح للوعي الإسلامي:

علم القراءات شيء وعلم التجويد شيء آخر

تمام أحمد

قراءة القرآن الكريم لازمة من لوازم كل مسلم، وفريضة محكمة عليه، لا يجد منها بدلاً ولا نرى له عنها غنى، وكيف لا، وهو في صلاته المفروضة والمسنونة وفي عباداته لله والتقرب إليه ا يرضيه ليس له سبيل الى ذلك أفضل من سبيل تلاوة القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق كان للوعي الإسلامي هذا اللقاء مع شيخ قراء الشام فضيلة الشيخ محمد كريم راجح، الذي زار الكويت في الآونة الأخيرة بدعوة من إدارة محافظة الجهراء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حيث ألقى مجموعة من المحاضرات في مساجدها، وكانت محاورها كالتالي: آداب طالب العلم من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر، وتربية الأولاد.. أنموذج سورة لقمان، أدب الحوار في القرآن، كيف نتدبر القرآن، أخلاق حملة القرآن، كما قرئ عليه تفسير «قبس من القرآن» للشيخ كريم من أوله إلى آخره، واليكم نص الحوار:

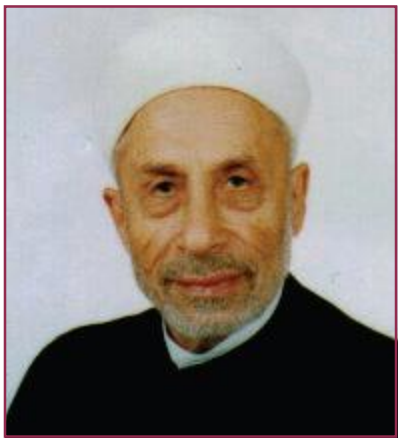

■ **كيف نشأ الاختلاف في القراءات؟**

- نشأ الاختلاف في القراءات منذ عصر النبي ﷺ وأول ما بلغنا من ذلك ما جرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صلى خلف أحد الصحابة وهو هشام بن حكيم فقرأ بقراءة على خلاف ما سمعها عمر من رسول الله ﷺ فقال عمر: كدت والله أساوره في صلاتي، فلما انتهى من الصلاة أخذت به الى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ان هذا الرجل قرأ بقراءة على خلاف ما أقرأتني، فقال النبي ﷺ للرجل: اقرأ فقرأ، فقال «هكذا نزلت»، ثم قال لي: اقرأ يا عمر، فقرأت فقال: هكذا نزلت، ثم قال النبي ﷺ «ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقرأوا ما تيسر منه» (الألباني صحيح الجامع) فبقي الاختلاف في الصحابة يقرأون على ما تيسر منه الى أن جاء عصر عثمان رضي الله عنه فكتب المصاحف بما يتناسب مع حرف من الأحرف السبعة الى أن جاء عصر التدوين فدونت القراءات وكانت لا تخرج عما كتب عثمان.

■ **ما الشروط الواجب توافرها في القراءة الصحيحة؟**

- الشروط الواجب توفراها أهمها:

١- التلقي عن القراء المجيدين حتى يكون التجويد جيداً فقراءة القرآن شيء وقراءة غيره شيء آخر.

٢- أن يقرأ متتًا في التجويد يستعين به على أحكام القراءة.

٣- ألا يقرأ إلا بالتجويد الذي تلقاه حتى يبقى لسانه مرنًا في أداء حروف كتاب الله، وأما كون القراءة مقبولة صحيحة فيشترط لها: موافقة الرسم ولو احتمالاً وموافقة وجه نحوي وصحة الإسناد.

■ **هل هناك فرق بين القراءة والرواية والطريقة؟**

- القراءة ما نسب الى القارئ، والرواية ما نسب إلى الراوي عن القارئ، والطريقة ما نسبت الى من قرأ على الراوي، فنقول مثلاً: قراءة نافع ورواية ورش وطريقة الأصبهاني، فنقول: قرأ الأصبهاني برواية ورش بقراءة نافع، أو نقول: قرأ نافع برواية ورش بطريقة الاصبهاني.

■ **هل علم القراءات وعلم التجويد علم واحد أم علمان مختلفان؟**

- علم القراءات شيء وعلم التجويد شيء آخر، فعلم القراءات أن نعلم كيف جاءت هذه القراءة، مثلاً، هناك قراءتان: ﴿ما نَنسَخ﴾ قراءة العامة، و﴿ما نُنسِخ﴾ قراءة ابن عامر، و﴿ما يخادعون﴾، و﴿ما يخدعون﴾، فبعض القراء قرأ هكذا وبعضهم قرأ هكذا وكلا القراء تين سبعيتان، فالقراءة تغيير في اشكال الكلمة وربما في حروفها كقراءة (نَنشُرُها ونُنشِزُها) والتجويد احكام النطق بالحرف مخرجًا وصفة.

■ **ورد في أحاديث صحيحة مروية بطرق مختلفة أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (البخاري) سؤالنا إليكم فضيلة الشيخ ما المقصود بالحرف وما المغزى من تعداد الحروف إلى سبعة؟**

- المغزى من تعداد الحروف الى سبعة انه لو كان التعداد الى اكثر لعاد الموضوع الى ان يقرأ المرء ما يشاء ويذهب التقييد بعدد معين، اضافة الى ان السبعة كانت نهاية العدد عند العرب ويقولون بعدها وثمانية، ويسمي النحويون هذه الواو واو الثمانية.

واما الحرف فاختلف في معناه على نحو من اربعين قولاً، ومن هذه الاقوال ان هذا من المتشابه الذي لا يُعلم المقصود منه الا بالوحي، لذلك نقرأ على ما كتب عثمان فإن عثمان كتب القرآن على ما تحتمله هذه الأحرف السبعة او حرف منها، وعلى كل حال فالقراءات المتواترات منضبطة، فنقرأ بها ونصلي بها، والقراءات الشاذة ألفت فيها كتب وانتشرت في كتب التفسير أيضًا ولا تجوز الصلاة بها لأن القرآن انما يثبت بالتواتر وهذه لم تتواتر.

■ يقول المختصون في علم القراءات إن هناك أكثر من خمسين قراءة، منها قراءات كبرى وقراءات صغرى؟ ما مدى دقة هذا التوصيف؟

– صحيح ان هناك أكثر من خمسين قراءة، وليست كلها متواترة بل المتواتر منها عشر، وأما كبرى وصغرى فهذا وصف للقراءات المتواترة، فالقراءات اذا جمعت عن طريق الطيبة تسمى كبرى، واذا جمعت عن طريق الشاطبية والدرة تسمى صغرى، ويعود هذا الوصف الى انه في الطيبة وجوه اكثر من وجوه الشاطبية والدرة.

■ من يتقن علم القراءات يجب أن يكون لديه سند متصل بالقراء يصل الى رسول الله ﷺ.. والسؤال، كم عدد الذين يحملون هذا السند في عصرنا الحاضر من العلماء الثقات المشهورين؟

– أرجو أن يكونوا كُثراً، لان الله حافظ كتابه كما نزل، ولكن لا استطيع أن أسمي ولا أن أحصر، ولكن المفروض ألا يسمى قارئًا إلا من تلقى بالسند.

■ تعدد القراءات من ورائه حكمة كبيرة، برأيكم ما الحكمة الرئيسة من ورائه؟

– الحكمة الرئيسة من تعدد القراءات التيسير على الناس كما جاء في الحديث «فاقرأوا ما تيسر منه».

■ علم القراءات مر بمراحل كثيرة بدءا من تلقين جبريل رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر، حبذا لو أعطيتمونا نبذة مختصرة عن هذه المراحل؟

– عصر الصحابة، عصر من بعدهم من التابعين، عصر تدوين القراءات، عصر التقيد بما دوِّن، ولا تجوز القراءات الآن إلا بما تواتر.

■ هل من الأفضل أن يؤخذ علم القراءات عن طريق المعاهد والجامعات أم عن طريق الشيوخ وحلقات العلم؟

– المهم في ذلك الضبط والاتقان، والظاهر بل والدافع أن أخذه عن طريق الشيوخ وحلقات الدروس أنجح وأحكم، وعندي أن المرء مهما درس من العلوم عن طريق المعاهد والجامعات لابد من اجل ان يكون محققًا أن يعود الى المسجد فيقرأ على الشيوخ في نظام الحلقات.

■ هل هناك كتب مُفردة في كل قراءة قرآنية؟

– توجد كتب كثيرة أفردت كل قراءة بمؤلف، ومن آخر من كتب في ذلك شيخنا شيخ القراء الشيخ حسين خطاب.

■ ما المتون والمنظومات التي يجب أن يستظهرها القارئ قبل أن يبدأ في قراءة الإجازة والإسناد؟

– متن الشاطبية والدرة، إذا أراد ان يجمع العشر الصغرى، ومتن الطيبة، ان اراد ان يجمع العشر الكبرى، والجزرية لمن أراد رواية حفص عن عاصم.

■ ما الفرق بين الشاطبية والدرة المضيئة؟

– الفرق بين الشاطبية والدرة ان الشاطبية نظمها الامام الشاطبي، والدرة نظمها الامام ابن الجزري، ثم تلك تتكلم عن القراءات السبع، وهذه تتكلم عن القراءات الثلاث فوق السبع.

■ هل «عقيلة الأتراب» للشاطبي مما يلزم أن يحفظه طالب القراءات؟

– ينبغي لطالب القراءات أن يقرأ علم الرسم، ولكن يمكن ان يكون قارئًا ولا علم له بعلم الرسم.

■ ما الطريقة العملية المجربة التي تنصحون بها جامع علم القراءات؟

– الطريقة العملية هي أن يقرأ، ولكل قارئ أولًا سورة البقرة، ثم يجمع القراءات الثلاث، نافع وابن كثير وأبي عمرو، ثم يجمع لكل القراء مع التحقيق والتدقيق.

■ هل إفراد القراءات أفضل للطالب أم الجمع؟

– إفراد القراءات لكل قارئ قراءة يقرأ بها الطالب أمام الشيخ من أول المصحف الى آخره، وهذا ما كان عليه السلف، ثم بعد ذلك قامت طريقة الجمع لاختصار الوقت.

■ هل الاختلاف بين الروايات القرآنية اختلاف تنوع أم اختلاف تضاد؟

– الاختلاف بين الروايات القرآنية اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد والقراءات كلها متداخلة، وكل منها يتلاقى مع الآخر.

الشيخ كريم راجح في سطور

– ولد في قرية «كفر حور» التي تبعد ٥٠ كم عن دمشق عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦م.
– التحق بـ «الكتاتيب» (أماكن تعليم القرآن) في سن مبكرة .
– التحق بمدرسة «وقاية الابناء» للجمعية الغراء التي أنشأها الداعية علي الدقر يرحمه الله.
– حفظ القرآن الكريم على يد شيخ قراء دمشق الشيخ حسين خطاب.
– تعلم العلم الشرعي في مدرسة الشيخ حسن حبنكة منذ عام ١٩٤٠م.
– حفظ الشاطبية وقرأها كاملة على الشيخ محمد سليم الحلواني يرحمه الله، كما حفظ الدرة واتقن القراءات العشر الصغرى والكبرى وتفقه بالفقه الشافعي ولما يتجاوز عمره ٣٠ سنة.
– عمل إماما وخطيبا ومدرسا في العديد من مساجد دمشق ومدارسها.
– بويع بمشيخة شيخ قراء دمشق بعد وفاة الشيخ حسين خطاب عام ١٤٠٨هـ.

من صور لقاء الشرق والغرب

المفكرون الغربيّون الذين أسلموا

السنوسي محمد السنوسي

يجب أن نعترف- بكل أسف- أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يُعْنَ برصد وتسجيل ظاهرة إسلام المفكرين الغربيين، وسبر أغوارها، وتتبعها في عمقها وانتشارها، ولم يوفها حقها من النقد والتحليل، فضلا عن أن يضع في تصوراته وخططه كيفية الاستفادة من جهود هؤلاء المفكرين في فهم الواقع المعاصر بأبعاده وتشابكاته، وفي نقد الحضارة الغربية وتعريتها، وكشف مواطن الضعف فيها.. تلك الحضارة التي لم يجد فيها الباحثون عن الحقيقة المجرَّدة ما يروي ظمأهم الروحي، ويشبع حاجتهم الفطرية، ويهدي عقولهم الحائرة، بعد أن شقت بهم وتاهت في منحنيات الإلحاد، وظلمات الفكر المادي؛ لأنها حضارة تحلق بجناح واحد هو جناح المادة، وتتجاهل افتقاره وحاجته لجناح الروح، حتى غدت حضارة مؤهلة للانتحار، على حد قول المفكر الفرنسي رجاء جارودي.

ربما وُجدت بعض الدراسات التي تناولت المسيرة الفكرية لبعض هؤلاء المفكرين، مثل ما كتبه د.عبدالحليم محمود في «أوروبا والإسلام»، ود.محمد سعيد البوطي في «شخصيات استوقفتني»، والمستشار محمد عزت الطهطاوي في «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين»، لكنها على أية حال دراسات متناثرة لم ترق إلى مستوى الجهد المأمول، وتدور في فلك شخصيات معدودة بحيث يمكن أن نقول إنها تعاملت مع الظاهرة من منظور جزئي لم يستوعب انتشارها الواسع ودلالاتها المتعددة.

وقد أضاع الفكر الإسلامي المعاصر- بهذا التجاهل أو التقصير في رصد الظاهرة- واحدة من أهم الوسائل التي كان من الممكن أن تسهم بفاعلية في بيان الوجه الحضاري للإسلام، وفي الكشف عن مقوماته ذات الديناميكية المتجددة، وفي تأكيد قدرة الإسلام- باعتباره منهج حياة، وسلوك مجتمع، وقانون دولة، وثقافة حوار وتعايش- على مخاطبة أرقى العقول البشرية، ومجاوزة حدود الزمان والمكان، باعتباره الدين الخاتم الذي شُرِعَ للناس كافة، وأيضًا في بيان أن الإسلام ليس مجرد أطروحة من الأطروحات، أو بديلا من البدائل، بل هو البديل كما يقرر السفير الألماني مراد هوفمان.

إن أهمية شهادات المفكرين الغربيين- خاصة فيما يتصل بنقد الحضارة الغربية- تكمن في أنها شهادات وُلِدَتْ من رَحِم المعاناة، وليس من حوارات الترف الفكري والجدل البيزنطي، فأصحاب هذه الشهادات قد خبروا الحضارة الغربية، واكتووا بنارها، وأُصيبوا بشررها، وطالت رحلتهم في البحث عن الحقيقة حتى وجدوها في الإسلام، فجاءت شهاداتهم تلك بمنزلة شهادة عيان تدل بصدق ووعي على عمق الأزمة التي أحاطت بالحضارة الغربية، وعلى قتامة الطريق المسدود الذي أوصلت إليه الإنسانَ المعاصر.

ولئن كانت جَرَتْ على الألسنة مقولة الشاعر الإنجليزي «كبلنج» حتى صارت مثلًا، وهي أن الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا.. فإننا نستطيع أن نقول- بكل ثقة- إن هذا اللقاء ممكن وجائز، وغير مستحيل لا عقلًا ولا شرعًا ولا تاريخًا! بشرط أن تبتعد عنه السياسة بصخبها، ومؤامراتها، وصدامها، ووسائلها الخبيثة التي لا تفتأ تعمل على تشويه الآخر- خاصة الإسلام- وإلصاق التهم به ظلمًا وعدوانًا؛ لأن السياسة الماكرة جعلت الحضارة الغربية حضارة عدوانية تبحث دائمًا لا عن صديق مخلص، ولا عن شريك تتبادل معه المنافع، بل تبحث عن عدو توجِّه إليه سهامها المُشْرَعة باستمرار، وآلاتها التدميرية الإبادية، فهي حضارة ترى في وجود هذا العدو حلًا لتصدير أزماتها الداخلية المركَّبة، وسوقًا رائجة لتجارة الأسلحة!

بل يمكننا أن نقرر- دون تجاوز أو مبالغة- أن هذا اللقاء قد تمَّ فعلًا بإسلام المفكرين الغربيين، الباحثين عن الحق، والمتشوِّقين لإرواء ظمأ الروح، والراغبين في الخلاص من الدوران في الحلقة المفرغة بين الإنتاج والاستهلاك، دون الالتزام بقيم تستطيع أن تجعل للحياة معنى- كما يقول جارودي- أو أن تحفظ للإنسان إنسانيته وكرامته، فالتقى- بإسلامهم- العقلُ المتحرر من القيود والأوهام بالقلبِ النقي، والفطرةِ السليمة، والمنهجِ الرباني الذي يهدي للتي هي أقوم.

فهؤلاء المفكرون يمثِّلون صفحة نقية من صفحات اللقاء والحوار بين الشرق والغرب، بل هم أنصع الصفحات.

لقد سبق أن التقى الغرب بالشرق، ولمس آثار الحضارة الإسلامية عن قرب، وعاين أخلاق المسلمين، في صدقهم، ووفائهم، وحفظهم للعهود، وإكرامهم لمن يعيش بين أظهرهم- حتى وهو على غير دينهم- في قرطبة، وطليطلة، وجنوب فرنسا، وغيرها من محطات اللقاء والحوار، فما أُكرهوا على ترك دينهم، ولا ظُلموا في أموالهم وأعراضهم، ولا مُنعوا أيّ حق وَجَب لهم، ولا مُورست ضدهم حملات تهجير ومراقبة واضطهاد، كما يحدث الآن مع الأقليات المسلمة في أوروبا وأميركا، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وحتى لا يكون ثمة اتهام بالانحياز إلى حضارتنا من غير أن تقوم دلائل مؤكدة على انحيازنا لها وإيماننا بها.. فإننا نورد هنا شهادة أحد المستشرقين الذين تابعوا عن عمق مسيرة الحضارة الإسلامية، وهو «غوستاف لوبون» في كتابه الحجة «حضارة العرب» الذي يرصد فيه مظاهر التحول الجذري- المعنوي والمادي- الذي أحدثه المسلمون في بلد مثل الأندلس، كمثال واضح على تفرّد حضارتهم، وسموّ قيمهم، ورقي معاملتهم لغيرهم من أصحاب

باحث وصحفي في مجلة «التبيان»

الديانات الأخرى، فيقول: «استطاع العرب أن يحولوا إسبانيا، ماديًا وثقافيًا، في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين، بل أثروا في أخلاق الناس أيضًا؛ فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإنْ شئت فقل حاولوا أن يعلموها، التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حِلْمُ عرب إسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغًا كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عُقد في سنة ٧٨٢م، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عُقد في سنة ٨٥٢م، وتُعدُّ كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم.

وأسلم كثير من النصارى، ولكنهم لم يُسْلموا طمعًا في كبير شيء، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين، قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة، وكانت إسبانيا العربية بلد أوروبا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم فيه كثيرًا جدًا» .

ومما هو جدير بالملاحظة والإكبار معًا، فيما يتصل بالمفكرين الغربيين الذين أسلموا، أن كثيرين منهم قد أكدوا ضرورة الحوار بين الشرق والغرب وأهميته، ولم ينساقوا وراء من يُروِّجون لحتمية الصدام بين الحضارات؛ لأنهم قد خلصوا من خلال تجربتهم ومعاناتهم، ومن خلال دراساتهم المستفيضة للتاريخ البشري، سِلْمًا وحربًا، إلى أنه لا بديل عن الحوار والتعاون بين أبناء الحضارات المتعددة، وأنه لا يمكن أن يَحُول اختلافُ الألوان والألسنة والأعراق دون التعارف والتعاون، فتلك سنَّة من سنن الله الثابتة في

جارودي: كراهية الغرب للإسلام تمنعه من الإعتراف بالدور الثقافي للحضارة الإسلامية

خلقه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

كما وجد هؤلاء المفكرون- بالإضافة إلى تجربتهم ومعاناتهم- في الإسلام وما يصوغه من تصورات ورؤى ذات صبغة إنسانية وعالمية المنقذَ والبديلَ عن المكائد والمؤامرات، التي تريد أن تخطف ركب الحضارة الإنسانية وتلقي به في أتون الصراع والمواجهة، تحت دعاوى ونظريات عنصرية، مثل «نهاية التاريخ» و«سيادة النموذج الغربي» و«حتمية الصدام»، وتحت أطماع لا حدود لها، ولا تبالي بأن تضحِّي بأكثر من نصف البشرية (الفقراء) في سبيل راحة السادة والأغنياء!

وقد قدموا في ذلك دراسات ورؤى جديرة بأن تكون محلَّ نظر وعناية، وأن يُستفاد منها ويُبنى عليها.

وفي هذا المجال تبرز جهود المفكر رجاء جارودي الذي أسس- من قبل أن يسلم- مع منظمة اليونسكو «المعهد الدولي لحوار الحضارات» في عام ١٩٧٦م. وقد ذكر أن من أهداف هذا المعهد «إبراز دور البلاد غير الغربية وبخاصة الإسلامية وإسهامها في الثقافة العالمية؛ حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب، أو «المونولوج» الذي يقوم على وَهْم وعقدة التفوق عند الإنسان الغَربي» .

ويرى جارودي أن ما يمنع الغرب من الاعتراف بالدور الثقافي الذي أسدته الحضارة الإسلامية إليه، وساهمت به في تطور حضارته على النحو المعاصر، هو ما تكنُّه أوروبا للإسلام من كراهية حتى اليوم؛ لأن الاستشراق- وهو نافذة الغرب المعرفية على الإسلام- لم يدرس الإسلام من أجل الوقوف على حقيقته، بل اهتم به من أجل الصراعات الأيديولوجية.. ولذا يؤكد جارودي أن الحوار بين الحضارات محكوم عليه أن يسلك طريقًا مسدودًا، إذا ظلَّت عقيدة أحد أطرافه غير مصقولة من صدأ قرون السيطرة والاضطهاد.

وإزاء محاولات تمييع الحقائق التي نراها في الحوارات التي تجري الآن بين بعض المسلمين والغربيين، والتي بسببها تراوح تلك الحوارات مكانها، ولا تُؤتي الثمرة المرجوّة منها، فإن جارودي يتخذ موقفًا أكثر صراحة وصدقًا مع الذات، ومع حقائق التاريخ التي لا تحابي أحدًا؛ فيؤكد أن الغرب مُطالب- أكثر من ذي قبل- أن يعيد النظر في موقفه المتصلب والمتغطرس من الإسلام والمسلمين، فيقول بكل وضوح: «يجب أن يدرك الغرب أنه مَدين للحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الإسلامية، وأن الحضارة الإسلامية أعطت الغرب أكثر وأخصب مما أعطاها المصدران الآخران: حضارة اليونان والرومان، وأن النظرة الغربية للإسلام تنطوي على مغالطات متوارثة، بعضها متعمَّد وبعضه مبطن، فالعرب لم يكونوا غزاة ظالمين، ولم ينقلوا «في عقيدتهم» من الأديان السابقة، ولم ينتشر دينهم بقوة السلاح؛ وقد آن الأوان لتبديد جميع هذه المغالطات، وإحلال الحقيقة محلَّها».

لقد ظلت العلاقة بين الشرق والغرب مشحونة بالكثير من العداوات والحروب، مما رسَّب تشوهات كثيرة مازالت متجذرة في الوعي الجمعي لدى كل منهما، وقد كان للغرب- بشهادة المنصفين من أبنائه المستشرقين- الإسهام الأكبر في تشويه تلك العلاقة، عبر حروبه الصليبية التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان، وعبر موجات الاحتلال والإغارة على البلاد الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأيضًا عبر تجدد عدوانه في الواقع المعاصر كما نرى في العراق وفلسطين وغيرهما.. لكننا مع كل ذلك يجب ألا نظل أسرى للمتهورين ومصاصي الدماء والمتاجرين بحرية الشعوب، ويجب أن يتنادى العقلاء من كلا الطرفين بضرورة وقف نزيف الدماء، وبضرورة طيّ صفحة العداوات؛ لتبدأ مرة أخرى في تاريخ الإنسانية صفحةُ اللقاء والحوار والتعارف والتعايش.. وما ذلك على العقلاء بعسير!

ظاهرة التطاول على الإسلام

د.أمان قحيف

شهدت السنوات الأخيرة حالة من التنامي الملحوظ لظاهرة التطاول على ديننا الإسلامي الحنيف من قبل بعض الأفراد أو الدوائر أو المؤسسات الغربية، وغضب المسلمون في مختلف أصقاع الأرض لهذا السلوك الشائن، وعبروا عن سخطهم وغضبهم بأكثر من طريقة وبالكثير من الأساليب، حيث اهتزت الضمائر، وانفعلت الأنفس، وتألمت القلوب، وغضبت الحناجر، وتظاهرت الشعوب، وعقدت الندوات، وأقيمت المؤتمرات... ووجه بعض المخلصين من الدعاة خطابهم الدعوي إلى الدول الغربية مؤكدين إيمان الإسلام بالأخوة الإنسانية والتعددية الدينية آملين الوصول من وراء ذلك إلى إقناع الإنسان الغربي - ولو إلى درجة معينة- بخطأ من يهاجمون الإسلام وضيق أفقهم عن استيعاب مقاصد الأديان وأخلاقيات الشرائع، وتحرك بعض السياسيين في الكثير من المحافل الدولية لاستصدار القرارات التي تجرم التطاول على الأديان أو الاستهزاء بها، غير أن الجهود العربية والإسلامية قد فشلت في تحقيق ذلك حتى الآن.

ذلك هو رجع الصدى الذي صدر منا كتفاعل غاضب تجاه من أساءوا إلى ديننا وهاجموا ثقافتنا، واللافت أن التطاول على الإسلام لم يتوقف والهجوم عليه لم ينقطع، الأمر الذي يفرض علينا النظر إلى الموضوع بروية والبحث فيه بعقلانية مبرأة من الانفعال والتوتر بهدف الوقوف على أسباب الظاهرة ومعرفة بواعثها أملاً في الوصول إلى حلول ناجعة يكون من شأنها القضاء عليها أو - على أقل تقدير- التخفيف من حدتها بالمواجهة العلمية والمعالجة المنطقية الرصينة.

ويتبين لمن يرصد الحراك الفكري والمجتمعي في العالم المعاصر أن هناك العديد من العوامل والأسباب التي أدت إلى شيوع وانتشار ظاهرة التطاول والافتراء على الإسلام من قبل بعض الغربيين.

صحيح أن التاريخ القديم يمدنا بالكثير من المعلومات والأخبار التي تشير الى حدوث تطاولات مشابهة على الدين الحنيف من بعض خصومه على مدى تاريخه الطويل، غير أن اللافت للنظر أن الأمر شاع وانتشر في الآونة الأخيرة بصورة أصبحت تمثل ظاهرة لا يمكن تجاهلها أو تغاضيها بحال من الأحوال، وفي ذلك مدعاة لأن يتم تناول المسألة - كما ذكرنا- بشكل علمي تحليلي دقيق يتخلى عن العاطفة ويجتنب التناول الخطابي ما استطعنا إلى ذلك من سبيل، ويرى كاتب السطور أننا سنستطيع معالجة الظاهرة معالجة حسنة إذا أدركنا الأسباب الحقيقية التي أدت إليها وتسببت في ظهورها، تماما مثلما يتيسر للطبيب الحاذق وصف العلاج إذا تعرف إلى حقيقة المرض وأسبابه، والحق أنه يمكننا تناول العوامل والأساليب التي أدت إلى تكرار التطاول على هذا الدين الحنيف على النحو التالي:

أسباب داخلية

أولاً: جمود النظرة إلى النص الديني، حيث إن هناك من التيارات الفكرية في العالم الإسلامي من يرفض التجديد في النظرة إلى النص الديني المتمثل في الكتاب والسنة، ويذهب إلى التعامل مع الآراء الموروثة عن علماء الأمة من القدماء كما لو كانت تمثل المصدر الرئيسي للتشريع في الإسلام، فلا مجال عندهم لمراجعة آراء السابقين أو مناقشتها أو حتى النظر فيها بعقلانية، إذ لابد في تصور هؤلاء من متابعة القدماء والانقياد لهم، فالخير كل الخير في ذلك، بينما الشر كل الشر في الخروج عليهم أو مراجعة أفكارهم.

من هذا المنطلق تجد أصحاب هذا التوجه في خصومة - وربما قطيعة- شبه دائمة مع أهل الاجتهاد في العصر الحديث بحجة أن من يحاول الاجتهاد سيختلف حتماً في الرأي والرؤية مع ما هو معلوم من آراء القدماء بالضرورة، وهذا أمر في عرفهم لا يجوز! إن من شأن حالة الجمود الفكري هذه الإساءة إلى الروح السمحة لديننا الإسلامي الحنيف، فهي تتعامل مع نصوص مرجعيتنا بعقلية القرون السابقة، الأمر الذي يجعل أفكارهم وفتاواهم تأتي مفارقة للواقع ومتخلفة عن الوعي المستنير بروح الإسلام السمحة وأطروحاته الراقية، كحال هذا الذي يفتي بحرمة الدُمى التي تصنع كلعب للأطفال، أو ذاك الذي يذهب إلى تحريم أفلام الكارتون التي يتسلى بها تلاميذ المدارس في أوقات الراحة والإجازات، أو كمثل الذي يصر على تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام بغض الطرف عن القول بتقسيم العالم إلى دار إجابة ودار دعوة!.. ولنا أن نتساءل: كيف يكون رد فعل الآخر

أكاديمي مصري

غير المسلم عندما يستمع إلى مثل هذه الفتاوى والأقوال؟

ثانياً: الميل إلى التفسير الخرافي عند دراسة الوقائع والأحداث، فمازالت أعين الغرب الراصدة لسلوكنا وطرائق تفكيرنا تلحظ أن تناول بعضنا للظواهر والأحداث ينطلق من رؤية خرافية، حيث يسعى جماعة منا إلى تفسير بعض ما يحدث في العالم الطبيعي وفق تأويلات ساذجة لا تخلو من غرابة لارتباطها بتصورات قديمة لا تقوم إلا على أوهام ولا تنطلق إلا من أفكار متخلفة تجاوزها العالم من قديم الزمان، وليس أدل على ذلك من ذهاب بعض المسلمين إلى الدجالين بدلا من الأطباء عند انتشار الأوبئة أو تفشي الأمراض، أو لجوء البعض إلى المشعوذين عند مواجهة أزمة من الأزمات أو ضائقة من ملمات الحياة كفقد ثروة أو فشل في تحقيق النجاح في أي أمر من الأمور، ومن أسف أن هناك من يفعل ذلك وفي ذهنه أن الإسلام أباح مثل هذه التصرفات الخرقاء، الأمر الذي يتيح لخصوم هذا الدين التحدث عنه باعتباره ديناً لاعقلانياً ويتعارض مع العلم والفكر الحديث في الوقت الذي لم يكرم الإسلام شيئاً في الدنيا قدر تكريمه للعلم والعلماء قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).

ثالثاً: الاندفاع والتوتر عند معالجة بعض الأمور، ثمة صفة يلصقها العقل الغربي بالعقلية العربية والإسلامية التي تتأثر في نظرهم بالأوهام أكثر من أي شيء آخر ، وهي أن الإنسان العربي يعالج مشكلاته باندفاع ولا يميل إلى التروي أو التفاهم أو الحوار، فهو بالتالي لا يفهم إلا لغة القوة، ويستغل هؤلاء بعض الحماقات التي ارتكبها بعض العرب في العصر الحديث للبرهنة على صدق رؤيتهم وصحة تصورهم فيما يتعلق بتغييب العقل العربي للحوار والتفاهم في حل القضايا ومعالجة العالق من المشكلات.. ويلصق المغرضون منهم هذه المسائل بالإسلام وبالقرآن - عن جهل أو عمد - وبالتالي يحدث التهجم أو التطاول عليه.

رابعاً: الانشغال بسفاسف الأمور مع الإعراض عن القضايا الجوهرية والحيوية، وأبرز مثال على ذلك انشغال بعض الدعاة بالحديث عن المظهر دون الجوهر، فبعضهم تستحوذ قضية الزي للرجل والمرأة على ذهنه وتفكيره في الوقت الذي ينشغل فيه العالم أجمع بدراسة مسألة الديمقراطية والتنمية والمواطنة وحقوق الإنسان، الأمر الذي يعطي للآخرين انطباعاً بأن الأمة غافلة عن مناقشة أهم قضاياها ومترددة في تناول كبريات مسائل العصر، ما يشي بأن عقلها يعيش خارج التاريخ ومنغمس في أمور منفصلة عن الواقع المعيش الذي يحياه الناس وتلك مصيبة كبرى، فأخطر ما يمكن أن تصاب به أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات هو تجاهل العقول المفكرة فيها.

أسباب خارجية

أولاً: سوء فهم الآخرين للإسلام، إن كثيرا من غير المسلمين لديهم فكرة ملتبسة وغامضة، بل خاطئة، عن ديننا بأحكامه وتشريعاته الراقية، ويرجع سوء الفهم هذا إلى:

أ- الكم الكبير من المعلومات المغلوطة التي يلصقها الإعلام الغربي بالإسلام.

ب- مازالت المقررات الدراسية التي يدرسها التلاميذ في الغرب مليئة بالمعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين.

ثانياً: التعارض بين اللاهوت اليهودي أو المسيحي الغربي مع العقيدة الإسلامية «فعلى الرغم من أن أوروبا منذ العصور الوسطى قد رحبت بإنجاز المسلمين في العلوم والتقدم الحضاري لكنها بتأثير من التيار اللاهوتي المتطرف قد أغلقت العقول والأعين عن الاستفادة من تعاليم الإسلام والتعرف عليها على نحو موضوعي، وليس هذا فقط وإنما وقفت من الإسلام موقفا معاديا، وقد نشط اللاهوتيون الأوروبيون في ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ .

فانحياز المتشددين إلى تراثهم وثقافتهم وموروثهم جعلهم يتطاولون على الإسلام لعلمهم بأنه الدين الوحيد من بين المطروح على الساحة العالمية من أفكار وفلسفات ومعتقدات- الذي لديه رؤية متكاملة عن الكون والحياة بمختلف صعدها ومناشطها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

ثالثاً: غياب التخطيط الاستراتيجي لنصرة الإسلام، غني عن البيان الإشارة إلى أن المؤسسات الدينية والمراكز الدعوية الإسلامية تؤدي دوراً كبيراً ومهماً في شرح الإسلام من أجل تقديمه في ثوب جميل وصورة طيبة إلى غير المسلمين في العالم أجمع ما استطاعت إلى ذلك من سبيل بحسب ما يتوفر لديها من امكانات وما تمتلكه من قدرات، وهذا أمر طيب وجدير بالثناء ما في ذلك من شك، لكن الملاحظ أن كل مركز من هذه المراكز يعتمد بالدرجة الأولى على امكاناته الخاصة وجهده الذاتي، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان إلى تقاعس بعض القائمين على هذه المراكز عن تأدية الدور المنوط بهم.

رابعاً: قد تثير الاحصاءات التي تؤكد سرعة انتشار الإسلام في الغرب حفيظة بعض المتشددين هناك، الأمر الذي يجعلهم يدعمون ويغذون الحملات الدعائية التي تهاجم الإسلام ظنا منهم أن ذلك سيساهم في الحد من انتشاره في أوروبا أو إيقاف تقدمه.

الخلاصة

إن تلافي الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى التطاول على الإسلام من شأنه أن يؤدي إلى وقف هذه الظاهرة السيئة أو على الأقل التخفيف منها إلى حد كبير، ولابد أن نعي جميعاً حقيقة أن الإسلام سيظل معرضا طوال الوقت للتطاول عليه من قبل بعض خصومه نظراً لعلمهم الراسخ بأن هذا الدين سيبقى يؤدي دوراً متنامياً في تطور الأحداث وصياغتها ما بقيت الحياة على ظهر هذه الأرض، الأمر الذي يلقي على كاهل المسلمين جميعاً بمسؤوليات جسام تجاه المحافظة على هذا الدين وتقديمه للعالم في صورة ناصعة وثوب قشيب.

من أسباب الإفتراء على الإسلام ما يتعلق بمنهج المسلمين في التعاطي مع الموروث الديني

محاولات غير أصيلة في تجديد أصول الفقه

في عدد محرم ١٤٣١هـ من مجلة «الوعي الإسلامي» نشرنا دراسة عن المحاولات التجديدية الأصيلة المعاصرة في أصول الفقه، وفي هذا العدد نتابع الحديث عن الموضوع؛ حيث نتناول بالتحليل والنقد بعض المحاولات المعاصرة غير الأصيلة التي زعمت أنها محاولات تجديدية في علم الأصول. ونقصد بغير الأصيلة هنا باختصار - من باب تحرير المصطلحات وتحديد المفاهيم - تلك المحاولات التي لا ترتكز على أساسيات هذا العلم كما استقرت أصوله وقواعده على مر القرون، ولا تسير في مظلته، ولا تتحدث تحت سلطانه.

وصفي عاشور أبو زيد
باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

وما أكثر هذه المحاولات، لاسيما من الذين ليست لهم دراية أو رواية بمسائل الأصول، إضافة إلى الذين لهم علم به، لكن محاولتهم مع ذلك لم تأت ضمن المحاولات الأصيلة. ونحن نقدم هذه المحاولات في اتجاهين:

الاتجاه الأول، اتجاه يريد أن يهدم الأصول، وينهي هذا العلم، وهو أقرب إلى التبديد منه إلى التجديد، ويمكن أن نسميه «اتجاه الرفض والتغيير»، فهو لا يرتكز في عملية التجديد على أساسيات العلم ذاته.

وهذا الاتجاه موجود عند د.حسن حنفي، ويكاد يوجد عند سعيد عشماوي، وحسين أحمد أمين، وغيرهم، وسنقتصر منهم على د.حسن حنفي.

د. حنفي ابتداءً واسع الثقافة كثير الاطلاع، له مشروعه الفكري، لاسيما في أصول الدين، لكن موقفه من التراث عموما موقف الثائر المنفلت، أكثر منه موقف المجدد المصلح الذي يسير بالعلم قدُما في ضوء كلياته، فعنده مثلا: في علم الكلام يتم التحول «من العقيدة إلى الثورة»، وفي علوم الحكمة «من النقل إلى الإبداع»، وفي علوم التصوف «من الفناء إلى البقاء»، وفي العلوم النقلية «من النقل إلى العقل»، وفي علوم القرآن «من الوحي إلى التاريخ»، وفي علوم الحديث «من نقد السند إلى نقد المتن»، وفي علوم التفسير «من التفسير الطولي إلى التفسير الموضوعي»، وفي علوم السيرة «من الشخص إلى المبدأ»، وفي علوم الفقه «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات».

أما في علم أصول الفقه، فيريد أن ينتقل «من النص إلى الواقع»، لأن غاية علم الأصول عنده ووظيفته أنه عبارة عن التوجه نحو الواقع من أجل السيطرة عليه، عن طريق تنظيم الأفعال الإنسانية فيه، ووضع قواعد للسلوك البشري، بحيث نتحرر من النصوص ونصل إلى تحقيق المصلحة كيف كانت.

وقد تناول د.حنفي موضوع تجديد أصول الفقه في كتاب له بالفرنسية حصل به على الدكتوراه من السربون، ولم يترجم إلى الآن، وطبعته بالفرنسية أيضا وزارة الثقافة المصرية وعنوانه (les methoderd. exeglse)، طبع بالقاهرة في ١٩٦٥م، وقدمته في ٢٥٠ صفحة، والكتاب مع مراجعه وفهارسه ٥٦٤ صفحة غير المقدمة (١).

إلا أن له كتابا آخر بعنوان «بحوث في علوم: أصول الدين . أصول الفقه . العقل والنقل»، وهو إصدار رقم ٧ ضمن سلسلة موسوعة الحضارة الإسلامية، وهو عبارة عن ثلاثة مقالات جمعها في كتاب واحد، وقد طبعت بعد ذلك مضمنة في كتابه: «دراسات إسلامية»، نشرته مكتبة الأنجلو المصرية، ولا تغني قراءة المقال الخاص بأصول الفقه في هذا الكتاب بالطبع عن مطالعة المسألة وقراءتها في دراسته للدكتوراه، لأن صلب كلامه عنها في هذه الدراسة، لكن كلامه في هذا المقال لا يخلو من إشارات توضح مراده ورؤيته في التجديد(٢).

بدأ كلامه في هذا المقال بتعريف العلم، وموضوعه وفائدته واستمداده، وأول من صنف فيه، ثم كتب عرضا تاريخيا لمؤلفاته حتى انتهى عند ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) في كتابه: «القياس في الشرع الإسلامي»، وهو سرد يدل على إلمامه الجيد بتاريخ العلم، ثم قال: «ثم انتهى التأليف في علم أصول الفقه، وتحول إلى كتب جامعية أو أزهرية تكرر القدماء دون أية إضافة جديدة، حتى ظهور «مناهج التفسير: محاولة في علم أصول الفقه» باللغة الفرنسية، لمؤلف هذا المقال عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) معيدا بناء العلم كنظرية في الشعور: الشعور التاريخي، الشعور التأملي، الشعور العملي» (٣).

ويعني بالشعور التاريخي الأدلة الأربعة، والتأكد من صحة النصوص، يقول(٤): «ولما كان علم أصول الفقه منهجا يصف أفعال المكلفين ومقاصدهم، كما يصف الوحي ذاته باعتباره مقصدا، فرض التقسيم الكلامي نفسه ابتداء من الشعور، فأصبح لدينا أولا «الشعور التاريخي» ووظيفته ضمان صحة نصوص الوحي في التاريخ...».

ويبين المراد من الشعور التأملي ووظيفته، فيقول: «وظيفة الشعور التأملي فهم النصوص وتفسيرها، بعد أن تأكد الشعور التاريخي من صحتها وشرعيتها، وهو أهم جزء في علم الأصول؛ لأنه هو الجزء المنهجي الذي بواسطته يتم استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربعة، لأن الأدلة الأربعة لا مدخل للإنسان فيها» (٥).

ويوضح المنطقة التي يعمل فيها هذا الشعور فيقول بأن الشعور التأملي اتجه: «نحو المنظوم والمفهوم والمعقول، أي بتحليل الألفاظ والمعاني والعلل» (٦).

وتحت الشعور التاريخي يتحدث عن الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويقول عند قضية النسخ: «والحقيقة أن النسخ في القرآن يدل على وجود الوحي في الزمان وتغيره طبقا للأهلية والقدرة وتبعيته لمدى

الرضى الفردي والجماعي في التاريخ. الوحي ليس خارج الزمان، ثابتا لا يتغير، بل داخل الزمان يتطور بتطوره. ليس هدف الوحي هو مجرد الإعلان عنه كشعار بلا مضمون، أو تحقيق دون وعي بالزمان فيفشل، بل تطبيقه في الزمان ونجاحه في التاريخ طبقا لقدرات الفرد والجماعة» (٧).

ويرى أن الأصل الأول والثاني، أي الكتاب والسنة، وحي مكتوب من عند الله، والأصل الثالث والرابع أي الإجماع والقياس وحي غير مكتوب، ثم يقول: «الوحي إذن على درجات، وحي مباشر من الله، وهو الكتاب، ووحي تفصيلي من الرسول بتوجيه من الله، ووحي جماعي من الأمة، فالأمة خليفة الله، ووحي فردي من العقل مستندا إلى وحي الكتاب والسنة والجماعة. الأصلان الأول والثاني يدلان على الوحي المكتوب، والأصلان الثالث والرابع يدلان على الوحي الحي» (٨).

وعن الشعور التأملي الذي يعمل في مباحث الألفاظ والمعاني والعلل يقول عن المجمل والمبين: «والحقيقة أن المجمل والمبين يفسحان المجال للجهد البشري من أجل اختيار أحد المعنيين طبقا للظروف وتحقيقا للمصلحة، ويكشفان عن أهمية الواقع وضرورة الاختيار بين المعنيين طبقا لمصالح الأمة» (٩).

وواضح من الكلام أنه يريد أن يتزيا بزي الأصالة من خلال الحديث عن الأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ والمعاني، والحديث عن أحكام الوضع والمقاصد الأربعة وغير ذلك.

لكنه يريد أن يتجه نحو الواقع بقوة، وهذا مطلوب، لكن يجب أن يكون في مظلة أساسيات العلم وتحت سلطانه، أما أن يكون التجديد في الأصول بعيدا عن العلم بحيث نحقق المصلحة أيا

ما تأثير التكنولوجيا أو ارتياد القمر على استخراج الحكم من آية أو حديث أو قياس على نص أو إجماع؟

كانت، ونكيف النصوص لتحقيقها كما يقول، فهذا ما يرفضه الشرع والعقل.

ونلاحظ خلطا في الكلام عندما جعل للعقل وحيا وللأمة وحيا وللكتاب والسنة وحيا، وهذا كلام لا يليق بمكانة الوحي، حيث ينبغي أن تكون الألفاظ عند الحديث في مسائل العقيدة محررة وواضحة.

كما نرى جرأة وغمطا لمن أتى بعد ابن القيم من المجددين في الأصول، وعلى رأسهم الشوكاني، والنهضة الأصولية الحديثة، فالعلم عنده ظل يكرر ويقلد منتظرا محاولته «مناهج التفسير».!

ثم ما حاجتنا إلى جعلها نظرية في الشعور، وما علاقة قواعد الأصول. وهي عقلية بحتة، بالشعور والرمزية، وما الآثار العملية المترتبة على ذلك إلا إسقاط النظرية من أساسها؟ وقبل ذلك كله ما عيوب النظرية الأصولية الموروثة التي أدت في نظره إلى عجز العلم عن اتجاهه للواقع في ضوء قواعده وأسسه؟

ليست محاولات د.حنفي شرا كلها، بل إنها لا تخلو من خير، مثل دعوته في علوم التفسير «من التفسير الطولي إلى التفسير الموضوعي»، وفي علوم السيرة «من الشخص إلى المبدأ»، وفي علوم الفقه «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات»، على الرغم من احتياج هذا الكلام إلى توضيح ونقاش ليس هذا موضعه.

لكن محاولته في الأصول ملبسة بالباطل والخلط الشديد الذي يصبح معه مفهوم التجديد غامضا غير واضح، ولقد قال الشيخ علي جمعة عن هذه المحاولة أو هذا الاتجاه عموما: «هو أشبه ما يكون باتجاه الباطنية في التاريخ الإسلامي، حيث يخرج النص عن كل معنى للمردود اللغوي وما عليه تعارف الناس. باعتبار اللغة وسيلة لنقل الأفكار. إلى شيء يشبه الرمز، بحيث نتحرر من النصوص، ونصل إلى تحقيق المصلحة كيف كانت... ومن التطبيقات العملية لمثل ذلك الرفض والالتزام به ما نراه عند الجمهوريين أتباع محمود طه السوداني، حيث قسموا تقسيمات جديدة لا يعرفها أصول الفقه في التفريق بين السنة والشريعة، وبنوا على ذلك ما تركوا به الصلوات وارتكبوا المنكرات» (١٠).

الاتجاه الثاني، اتجاه يثور على الأصول الموروثة، ويحوّر مفاهيم الأصول، ويطوعها لكي تتوافق مع الواقع، وتلبي حاجات معاصرة.

وأبرز مثال له محاولة د. حسن الترابي التي تحدث عنها في كتابيه: «تجديد أصول الفقه الإسلامي»، و«تجديد الفكر الديني»، وسوف نطيل في النقل عنه أحيانا؛ حتى تتضح رؤيته في التجديد، وتتركز دعوته حول المحاور الآتية:

المحور الأول: أن أصول الفقه الموجودة لم تعد وافية بالحاجات المعاصرة حق الوفاء، وبالتالي فنحن في حاجة إلى منهج أصولي جديد.

يقول د. الترابي: «لابد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تؤخذ تجريدا، حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقها البتة بل تولّد جدلا لا يتناهى، والشأن في الفقه أن ينشأ في مجابهة التحديات العملية. ولابد لأصول الفقه كذلك أن تنشأ مع هذا الفقه الحي» (١١).

ويتحدث عن التطور المادي الهائل الذي طرح قضايا جديدة تتطلب إجابات لها، يقول: «أدركت الحركة الإسلامية أنها غير مؤهلة تمام التأهيل لأن تجيب عن هذه الأسئلة إجابات شافية، وقد بان لها أن الفقه الذي بين يديها مهما تفنن حَمَلَتُه بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في الأنابيش والمراجعات لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها» (١٢).

ويقول أيضا: «ثم إن العلم البشري قد اتسع اتساعا كبيرا وكان الفقه القديم مؤسسا على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع مما كان متاحا للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره، أما العلم النقلي الذي كان متاحا في تلك الفترة، فقد كان محدودًا أيضا مع عسر في وسائل الاطلاع والبحث والنشر بينما تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة، وأصبح لزاما علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة لنسخر العلم كله لعبادة الله ولعقد تركيب جديد يوحد ما بين علوم النقل التي نتلقاها كتابة ورواية- قرآنا محفوظا أو سنة يديمها الوحي. وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل بالتجربة والنظر...» (١٣).

وتحت عنوان «حاجتنا لمنهج أصولي» يقول: «جنوح الحياة الدينية عامة نحو الانحطاط وفتور الدوافع التي تولد الفقه والعمل في واقع المسلمين أديا إلى أن يؤول علم أصول الفقه، الذي شأنه أن يكون هاديا للتفكير. إلى معلومات لا تهدي إلى فقه ولا تولد فكرا، وإنما أصبح نظرا مجردا يتطور كما تطور الفقه كله مبالغة في

التشعيب والتعقيد بغير طائل»

وفي الصفحة نفسها يكمل د. الترابي حديثه قائلا: «وفي يومنا هذا أصبحت الحاجة إلى المنهج الأصولي الذي ينبغي أن تؤسس عليه النهضة الإسلامية حاجة ملحة، لكن تتعقد علينا المسألة بكون علم الأصول التقليدي الذي نلتمس فيه الهداية لم يعد مناسبا للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء».

المحور الثاني: يرى د.الترابي أن الأصول الفقهية التقليدية الموجودة بين أيدينا لم تهتم إلا بالتدين الفردي الذي يتصل بالعبادات والزواج والطلاق، ولذلك نجد هذه الأمور في مطولات الفقه مفصلة تفصيلا دقيقا بدرجة تجعل الاجتهاد فيها محدودا جدا إن لم يكن مستحيلا، على الرغم من حاجة هذا النوع من الفقه إلى صياغة جديدة تناسب العصر.

يقول: «ولئن كان فقهنا التقليدي قد عكف على هذه المسائل عكوفا شديدا، فإنما ذلك لأن الفقهاء ما كانوا يعالجون كثيرا قضايا الحياة العامة وإنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة العامة تدور بعيدا عنهم ولا يأتيهم إلا المستفتون من أصحاب الشأن الخاص في الحياة، يأتونهم أفذاذا بقضايا فردية في أغلب الأمر» (١٤).

بينما لم ينشغل فقهنا بالحياة العامة وجوانبها المختلفة، كما يقول د.الترابي مثل أمور السياسة وكيف تدور الشورى في المجتمع، وكيف يتبلور الإجماع، وجوانب الحياة الاجتماعية وقضايا الاقتصاد العام وأمور العلاقات الخارجية، مع أن النصوص الشرعية في مجال الحياة العامة أقل عددا وأوسع

د. حنفي ود. الترابي يسيران في اتجاهين أحدهما يريد هدم الأصول والثاني يثور عليها

مرونة وهي نصوص مقاصد أقرب منها إلى نصوص الأشكال.

ومن هنا وجدنا أمور الحياة العامة تسير بعيدا عن المظلة الإسلامية، لأن الفقه كان منحسرا عن هذا الواقع، فانحرفت الأمور العامة عن مقتضى الشريعة الإسلامية، ولذلك فنحن نحتاج في نشاطنا الفقهي لأن نركز تركيزا واسعا على تلك الجوانب، وعلى تطوير القواعد الأصولية التي تناسبها.

يقول: «إن فقهنا الأصولي القديم بعد نهضة حميدة. يقصد عصر الصحابة والتابعين والفقهاء الأئمة. آل إلى الجمود العقيم بأثر انحطاط واقع الحياة الدينية نفسها فلم يتطور ولم يولد فقها زاهرا...» (١٥).

المحور الثالث: ونهوضا من التردي الذي تعانيه جوانب الحياة العامة من جراء عجز الأصول الفقهية الموروثة، في نظر د.الترابي عن مسايرة التطور المادي الهائل، ينبغي اللجوء إلى نوع آخر من القياس وكيفية أخرى للإجماع.

ومن ثم يقرر الحل لذلك قائلا: «وفي هذا المجال العام يلزم الرجوع إلى النصوص بقواعد التفسير الأصولية، ولكن ذلك لا يشفي إلا قليلا لقلة النصوص. ويلزمنا أن نطور طرائق الفقه الاجتهادي التي يتسع فيها النظر بناء على النص المحدود» (١٦).

ثم يقول: «وإذا لجأنا هنا للقياس لتعدية النصوص وتوسيع مداها فما ينبغي أن يكون ذلك هو القياس بمعاييره التقليدية، فالقياس التقليدي أغلبه لا يستوعب حاجتنا بما غشيه من التضييق انفعالا بمعايير المنطق الصوري التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الأول الذي تأثر به المسلمون تأثرا لا يضارعه إلا تأثرنا اليوم بأنماط الفكر الحديث» (١٧).

فهذا القياس في أدبنا الأصولي، كما يرى د.الترابي، نمط متحفظ من القياس «يقتصر على قياس حادثة محدودة على سابقة محدودة معينة ثبت فيها حكم بنص شرعي فيضيفون الحكم إلى الحادثة المستجدة. ومثل هذا القياس المحدود ربما يصلح استكمالا للأصول التفسيرية في تبين أحكام النكاح والآداب والشعائر، لكن المجالات الواسعة من الدين لا يكاد يجدي فيها إلا القياس الفطري الحر من تلك الشرائط المعقدة التي وضعها له مناطقة الإغريق واقتبسها الفقهاء الذين عاشوا مرحلة ولع الفقه بالتعقيد الفني» (١٨).

وفي موضع آخر يقول: «بدأ القياس في عهد الصحابة والتابعين قياسا حرًا، كلما رأوا شبيها بين حادث وقع في عهد الرسول ﷺ وحكم فيه، وحادث وقع من بعده، كانوا يعدون ذلك الحكم إلى هذه الحادثة، ولكن خشية من أن يضل الهوى بهذا القياس غير المنتظم، عطل الناس ذلك القياس الفطري واستعملوا المنطق الصوري التحليلي الدقيق حتى جمدوا القياس في معادلات دقيقة لا تكاد تولد فقها جديدا» (١٩).

ويوضح د.الترابي طبيعة البديل القياسي الذي سيحل محل القياس المتحفظ الضيق في نظره، فيقول تحت عنوان «القياس الواسع»: «ولربما يجدينا أيضا أن نتسع في القياس على الجزئيات لنعتبر الطائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصدا معينا من مقاصد الدين أو مصلحة معينة من مصالحه ثم نتوخى ذلك المقصد حينما كان في الظروف والحادثات الجديدة» (٢٠).

ثم يقول: «وبذلك التصور لمصالح الدين نهتدي إلى تنظيم حياتنا بما يوافق الدين. بل يتاح لنا. ملتزمين بتلك المقاصد. أن نوسع صور التدين أضعافا مضاعفة» (٢١).

أما عن كيفية الإجماع التي يراها د.الترابي فقد تحدث عنها في كتابه تجديد الفكر الديني تحت عنوان «الكلمة للمسلمين والإجماع إجماعهم».

وخلاصة رأيه في ذلك: أن الإجماع أصلا لعموم المسلمين، ولظروف تاريخية معينة ورد عليه بعض الانحراف، وهذه الظروف هي أن أقواما شتى دخلت في الدين ما كانوا يفقهون منه شيئا، وأحاطت بهم ظروف معينة كانت تحول بين استشارة المسلمين لهم، فكيف يستشار المسلمون وهم مئات الألوف وكانوا ينتشرون في أرجاء الأرض ليس بينهم تواصل إلا عن طريق الجمال، ومع ذلك عندما كانت تتيسر للرسول ﷺ الشورى للمسلمين كان يستشيرهم.

لذلك اضطر العلماء أن يجعلوا الشورى بين العلماء وأن يجعلوا الإجماع إجماع العلماء، وليس لهم مستند في ذلك إلا الضرورة العملية التي كانت قائمة يومئذ، فالإجماع في الحقيقة هو إجماع المسلمين.

مناقشة هادئة

لا يختلف أحد مع د.الترابي في أن المجتمع يتطور بصورة مذهلة حتى إن المتابع لا يستطيع

ملاحقة ما يقذف به كلَّ صباح من مشكلات ومسائل تضع نفسها بين يدي الفقيه تتطلب حلا وتكييفا شرعيا لها، كما لا ينكر أحد أن الإسلام لابد أن يفي بهذه المتطلبات حق الوفاء، ولا يكون بمعزل عن الواقع حتى لا تنفلت الحياة بعيدا عنه، وتسير على غير هدى.

لكن الملاحظ أن د.الترابي في المحور الأول حمل حملة لا مسوغ لها على علم الأصول، واتهمه باتهامات لا مظاهر حقيقية لها، فلا يفتأ أن يصفه بالعجز والتقليدية، وأنه لم يعد مناسبا للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء، وأنه مهما تفنن علماؤه بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في الأنابيش والمراجعات لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها...إلخ.

وهو كلام يتصف بالعموم من غير تمثيل، فلم يذكر لنا د.الترابي ما العيوب الموجودة في العلم حتى أضحى بهذا العقم؟ وما أسباب ذلك، وما أمثلته؟ولم يذكر المساحة التي ينبغي تغييرها من مسائل العلم، ولا بيّن المساحة التي ينبغي تركها وأثر هذا كله في الفقه والواقع.

لو كان يقصد أن بعض المسائل في كتب الأصول لا ينبني عليها فروع فقهية لكان صحيحا، لكنه عمم في حكمه ولم يوضح المراد، وقد قال الإمام الشاطبي: «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية» (٢٢).

ثم ما علاقة التطور المادي السريع بقواعد نظرية بحتة وظيفتها: الوصول من خلالها إلى الحكم على الأشياء والتصرفات حكمًا شرعيًا، وما العلاقة المتبادلة بين قواعد أصول الفقه وبين الكشف والاختراع؟ هل يؤثر ذلك على صيغ الأمر والنهي، وما إذا كان النهي فيها وجوبيا أو تخييريا، وما إذا كان النهي فيها للتحريم أو غيره، وما تأثير التكنولوجيا الحديثة والكشف الفضائي وارتياد القمر على استخراج الحكم من آية أو حديث أو قياس على نص أو إجماع؟

إن أصول الفقه علم له استمداده من علوم ثلاثة: علم اللغة العربية بفروعه المختلفة، وعلم الكلام، وعلم الأحكام الشرعية؛ فمسائل اللغة نقلية، بمعنى أنها أنشئت واحترقت عند إنشائها، فلا دخل لنا في تعديلها أو إضافة جديد لدلالاتها، أو في وضع جديد لألفاظها بإزاء معانيها، وعلم الكلام لا علاقة لمباحثه بتطور الأحداث ولا أثر لتطور الأحداث فيه، وأما الأحكام الشرعية فإنها معروفة بالمرونة في إطار المقاصد الكلية، فإن التطور لن يضيف للأحكام حكما جديدا فوق الأحكام الخمسة أو السبعة، ولن يزيد في المقاصد الشرعية مقصدا رابعا على الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

أما المحور الثاني الذي ذكر فيه انشغال الفقه بالتدين الفردي، فكتب الفقه فعلا فصلت أمور العبادات والتدين الفردي تفصيلا

دقيقا؛ وذلك لأن أغلبها أمور توقيفية، لا يستطيع أحد أن يزيد فيها أو ينقص منها.

أما انشغال الفقه عن أمر الحياة العامة، فهذا، وإن كان يريد اهتماما أكثر وعناية أكبر من علماء المسلمين، إلا أن تاريخ التأليف الفقهي وتاريخ علماء الإسلام حافل بمؤلفات في هذا المجال، ولم يخل عصر من العصور من التأليف في أمور السياسة الشرعية وقضايا الاقتصاد العام ومسائل العلاقات الخارجية، ابتداء بأبي يوسف في «الخراج» ومحمد بن الحسن في «السير»، والسرخسي في «شرح السير الكبير»، وأبوعبيد في «الأموال»، ويحيى بن آدم في «الخراج»، وابن عقيل في «الفنون»، وأبي المعالي إمام الحرمين في «غياث الأمم»، والماوردي وأبي يعلى في «الأحكام السلطانية»، وابن تيمية في «السياسة الشرعية» و«الحسبة»، وابن القيم في «الطرق الحكمية» و«الإعلام»، وانتهاء بالنهضة الحديثة والمعاصرة حيث عبدالوهاب خلاف ومحمد أبوزهرة وعلي الخفيف وعبدالرحمن تاج ومحمد الصادق عرجون وضياء الدين الريس وحسن البنا وعبدالقادر عودة وسيد قطب ومصطفى السباعي ومحمد المبارك والمودودي، وغيرهم.

فلم يتوقف سيل التأليف في هذه المجالات المهمة، ولا أهمل العلماء يوما مثل هذه القضايا الحساسة، ولا وقف الإسلام عاجزا على مدى التاريخ أمام مسألة جديدة ولا حادثة طارئة، إنما كان عنده لكل مشكلة علاج، ولكل حادثة حديث.

أما المحور الثالث فقد انقسم إلى قسمين: القياس والإجماع.

فأما القياس الموروث فقد خلع عليه أيضا صفات لا مسوغ لها مثل: تقليدي، ومحدود، متأثر بالمنطق الصوري، والقياس غير المنتظم...إلخ.

ومع ذلك لم يذكر د.الترابي مثالا واحدا في التاريخ كان للقياس فيه دور، ووقف أمامه عاجزا، فهو أيضا كلام عام غير واضح يحتاج إلى تحقيق.

على أن القياس الذي ينازع فيه د.حسن الترابي هو قياس العلة، ويقول، كما نقلنا عنه من قبل: «بدأ القياس في عهد الصحابة والتابعين قياسا حرًا، كلما رأوا شبيها بين حادث وقع في عهد الرسول ﷺ وحكم فيه، وحادث وقع من بعده، كانوا يعدون ذلك الحكم إلى هذه الحادثة».

وهذا الذي ذكره يسمى قياس الشبه، وهذا النوع من القياس لم يعطله العلماء، بل هو حجة عند جمهور الأصوليين، لكن د.الترابي فاته أنه لا يصار إلى قياس الشبه مع إمكان قياس العلة بالإجماع (٢٣).

فنحن نلجأ إليه عند تعذر معرفة علة حكم الأصل، وإلا فقياس العلة أضبط وأسلم، ولا ينازع فيه أحد من أهل العلم.

ولو افترضنا جدلا أن القياس الموروث لم يعد صالحا لاستيعاب حاجاتنا المعاصرة، فعندنا أصول أخرى تستوعب المستجدات مثل المصالح المرسلة، والاستصحاب،

مع العلم أن القياس لا يفهمه . فضلا عن أن يستخدمه . عوام الناس، إنما يفقهه ويستخدمه أهل الأصول الراسخون في العلم، الذين يستطيعون أن يفعِّلوا القياس الحر.

أما القياس الواسع الذي يدعو إليه الدكتور فهو أكثر اتصالاً بالقواعد الكلية والمقاصد العامة.

وقريب من رأي د .الترابي ذهب د .محمد الدسوقي، لكنه- مع دعوته للقياس الفطري الحر- نراه يقرر ما يترتب على ذلك، ويحذر من اجتراء غير العلماء على ذلك، فالدعوة إلى التوسع في مفاهيم بعض الأدلة قد ينجم عنها اضطراب في الآراء، بسبب عدم الضبط الدقيق لحدود هذا التوسع، ولأن من ليس أهلا للاجتهاد قد يتخذ منه ذريعة للقول في الدين دون دراسة وفقه، فيكون ضرره وخطره فادحا؛ لأنه يصير الخلاف في الاستنباط خارج دائرة ما يقبل منه ويعد رحمة بالأمة فضلا عن بلبلة الأفكار، وفتنة الضعفاء أو العامة، وشغل الناس بما لا يجديهم في الدين والدنيا.

وتكاد كل الضوابط والقيود التي تحول دون أن يكون ذلك التوسع في مفاهيم تلك الأدلة سبيلا لتباين الآراء تباينا يمزق وحدة الجماعة، ويفت في عضد الأمة، ويغري من ليسوا أهلا للاجتهاد بالجرأة على الفتيا لا تخرج عن دائرة تنظيم الشورى أو الاجتهاد الجماعي، ليقوم بمهمة المراجعة والمتابعة وصولا إلى الرأي الحاسم الذي يجمع عليه العلماء أو جمهورهم (٢٤).

وعن الإجماع الذي يقرر د .الترابي أن مفهومه قد حدث فيه انحراف بحيث كان الإجماع إجماع عموم المسلمين ثم صار إجماع العلماء فقط نتيجة لضرورة عملية ليس إلا، ويعلل إجماع العوام في الأمور الخاصة أو الاجتهادية بأن يسألوا العلماء وواجبٌ على العلماء إرشادهم وتعليمهم، فهذا كلام لم يقله أحد من أهل العلم، بل لم يقل به أحد من جميع الطوائف ممن تكلم في الأصول بحدوث هذا الانحراف في المفهوم.

وإذا كان العوام سيذهبون إلى العلماء يسألونهم عن أمر ما فمن باب أولى ترك الإجماع للعلماء وقصره عليهم، لاسيما في الأمور الاجتهادية التي تخفى على العوام.

وظاهر من كلام د .الترابي أن هناك تداخلا وخلطا بين الإجماع والشورى، وكما هو معروف أنهما مختلفان من عدة وجوه:

- الشورى ترجع في النهاية إلى رأي القيادة، في حين يرجع الإجماع إلى رأي كل واحد.
- الشورى مختلف في أنها ملزمة أم معلمة، بينما لا يختلف كثير في أن الإجماع حجة قاطعة ومعمول بها.
- الشورى مأمور بها في القرآن والسنة وهي من أصول النظام السياسي، لكنها ليست مصدرا يستقى منه الأحكام، بخلاف الإجماع.
- الشورى دور من أدوار الإجماع، وآلية من آلياته للوصول إلى رأي بين أهل الذكر.

والذي يقارن محاولة د .محمد الدسوقي حول تجديد مفهوم الإجماع وتطويره يدرك موقع محاولة د .الترابي من الأصالة.

حيث يقرر في البداية أن الإجماع أصل أصيل في الدين، وآيات القرآن وأحاديث النبي صريحة في مشروعية العمل بما وقع عليه الإجماع من المؤمنين.

ويذكر د .الدسوقي أنه يجب أن نُخرج من مفهوم الإجماع ما هو معلوم من الدين بالضرورة فلطالما أطلقنا عليه إجماعا في تراثنا الفقهي، وإذا كان الأمر يستند إلى آية أو حديث، لا ينسحب عليه المفهوم الأصولي للإجماع؛ لأن كل جيل تلقاه عمن سبقه دون نكير من أحد، وهذا هو الذي لا يجوز لأحد خلافه ويكفر منكره.

وكذلك أخرج د .الدسوقي من الإجماع ما عُرف في تراثنا بالإجماع السكوتي، ويرى أنه لا يصح أن يسمى إجماعا، فالسكوت ليس دائما آية الموافقة، وجوهر الإجماع يقوم على المحاورة والنقاش العلمي الذي تتبلور من خلاله الحقائق التي تقود المجتمعين إلى رأي فيما يبحثون.

ويقرر د .الدسوقي أن تعريف الإجماع في أدبنا الأصولي يحتاج إلى مراجعة وتطوير؛ حيث إن تعريفه بأنه اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي، يعتبر افتراضا لا تشهد له النصوص، ولم يفهمه الجيل الأول، حيث كانوا يتشاورون ويقضون بما يجمعون عليه، وما كان إجماعهم إجماعا لكل علماء الصحابة، وإنما كان إجماعا لمن حضر منهم، فما كان أبوبكر أو عمر أو عثمان أو علي يتوقف عن تنفيذ ما وصل إليه حضور علماء الصحابة إلى أن يستشير غيرهم ممن هم منبثون في مختلف أصقاع المسلمين، وبالتالي فإن تقييد صحة الإجماع باتفاق كل المجتهدين في عصر من العصور لا ينهض له دليل ولا تؤيده آثار، ولهذا لم يتحقق هذا الإجماع المفترض في تاريخ الأمة.

وإذا كان هذا الإجماع بما قيده به الأصوليون لم يتحقق في عصر الصحابة فعدم تحققه في عصور من بعدهم أصعب وأشق لاختلاف الديار وتباعد الأوطان، على أنه ليس من اليسير أن يتفق عدد كبير من المجتهدين في عصر واحد على مسألة واحدة، وعليه حتى يكون الإجماع عمليا ومفعّلا . ينبغي أن نعتمد إجماع الجمهور أو الأغلبية.

وهو كلام أدّعى أن يُخرج الإجماع من الكلام النظري إلى الكلام العملي والتفاعل مع الواقع (٢٥).

بينما جاء كلام د .الترابي في هذه المحاولة، كما يقول د .علي جمعة «عن» المسألة أكثر من كلامه «في» المسألة (٢٦)، ولعل له عملا آخر تناول فيه المسألة بطريقة أعمق من هذا، خاصة وقد قال في آخر كتابه «تجديد أصول الفقه الإسلامي»: «هذه إشارات عابرة ارتجلتها في سياق الحديث عن تجديد أصول الفقه ونظمه ومشكلات نهضته في الحاضر.

الهوامش

(١) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٧٧، د.علي جمعة، بحث منشور في العدد العاشر من حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ١٤١٢هـ.
(٢) تعذر عليّ الاطلاع على الرسالة باللغة الفرنسية، حتى ذهبت إلى الدكتور حسن حنفي، وعلمت أن الرسالة ستترجم بعد ستة أشهر من تاريخه.
(٣) ص ٥٣ من البحث.
(٤) نفس الصفحة.
(٥) ص: ٦٥
(٦) نفس الصفحة.
(٧) ص:٥٦
(٨) ص ٥٩
(٩) ص ٦٨
(١٠) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٧٧.
(١١) تجديد أصول الفقه الإسلامي: ٧، الدار السعودية. جدة. ط أولى. ١٤٠٤هـ.
(١٢) السابق: ٨-٩.
(١٣) السابق: ٩.
(١٤) السابق: ١٣.
(١٥) السابق ١٥.
(١٦) السابق ١٨-١٩.
(١٧) السابق: ٢٣.
(١٨) السابق: نفس الصفحة.
(١٩) السابق: ٢٤.
(٢٠) تجديد الفكر الديني:٥٠-٥١، طبع معهد البحوث والدراسات الاجتماعية. الخرطوم.
(٢١) تجديد أصول الفقه الإسلامي:٢٥.
(٢٢) السابق: ٢٦.
(٢٣) الموافقات: ٢٩/١.
(٢٤) راجع مثلا البحر المحيط: ٢٩٨/٧، طبع دار الكتبي.
(٢٥) راجع نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٥٧-١٥٨.
(٢٦) راجع نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٥٠-١٥٤.

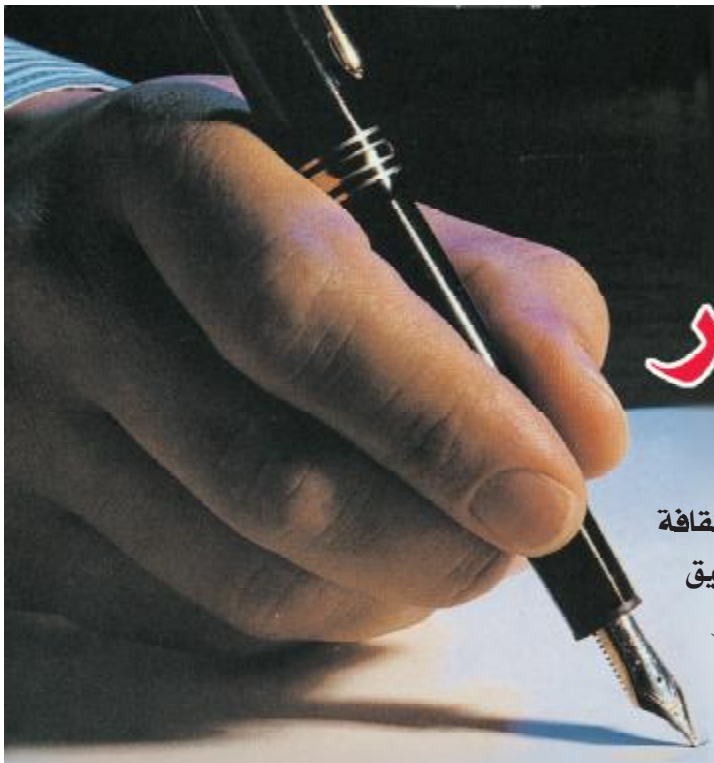

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المواطنة في كنف الإسلام

إنّ التحرير العلمي المحايد لمعنى المواطنة يُسْهم بفاعلية كبيرة في تحديد مسؤوليات الفرد والمجتمع والأمة، وتبيان حقوق كل منهم، ولاشك أنّ المواطنة تعني الانتماء للوطن، وينسحب على ذلك جميع الالتزامات المتبادَلة بين المواطن والوطن، ومهمٌ جدًا أن يتقرّر في لُبّ كل مواطن حرّ شريف أنّ من معاني الالتزام الدّيني أن يكون الإنسان مُخلصًا ووفيًا لوطنه الذي آواه وأنشأه وربّاه، وكان مستقرّه وموضع سكناه، وعليه فلا خلاف حول مسألة الدفاع عن الوطن لو استدعى الأمر ذلك لصونه وحمايته؛ إذ التّجابنُ عنه والتراخي في نصرته يؤدّي إلى مآلات مفزعة، من أخطرها ضياعُ هيبة الوطن، وسقوطُ رايته، ومصادرةُ حقوقه وسيادته؛ ممّا يرجع بالويل والضّعَة لا على التراب فحسب، بل على مَن سكن على هذا التراب، وهم عموم المواطنين.

إذن فمن الأهمية بمكان أن يظهر جليًا ألا تعارض بين الإسلام كدين وشريعة وبين المواطنة إذا كانت تعني تكاتفا وتعاونا وسلامًا بين أبناء الوطن الواحد؛ فهم جميعا يأوون تحت مظلة واحدة تسمى المواطنة، ومعلوم أن الإسلام كَفَل قَدْرًا كافيا من الحرية في الاعتقاد والعبادة، وفي التنزيل العزيز: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة:٢٥٦) و﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون: ٦)، ولأجل هذا كان من ضروريات قيام الدّين كوْنه على أرض ووطن، فالعلاقة بينهما علاقة تلاقٍ وانسجام وليست علاقة تناقض وانقسام، ولا أدلّ على ذلك من اهتمام الإسلام بحقوق المواطنة؛ كما يظهر ذلك في الحثّ على محاسن الأخلاق، والنهي عن مساوئها، ليس مع المسلمين فحسب بل مع غيرهم؛ ممن ينضوون تحت سقف وطن واحد؛ بل إن تلك المعالم الأخلاقية سرت حتى في ساحات الحروب مع الأعداء المقاتلين.

إنّ قوة الوطن في اقتصاده وسياسته وجميع أموره، ما يجعل مواطنيه أكثر أهليةً لدفع مسيرة بلدهم نحو الأمان والاستقرار، ولذلك فإنّ الوطن تعظم قيمته في الفلسفة الإسلامية بمقدار ما يؤمّن لمُنْتسبيه من استقرار ماديّ ومعنويّ يحفظ لهم الكرامة الإنسانية ويصونها؛ فعلى الوطنيّ الغيور أن يعمل على تحقيق هذا الاستقرار إن كان محبًا لوطنه صادقًا في حبّه.

كما أنّ حاجة أوطاننا اليوم ماسّة للبعْد عن المذهبية الطائفية والتوجّه نحو فضاء حوار وطني جامع غير مفرّق؛ والأمل معقود بأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في شدّ اللحمة ورأب الصدْع إن وجد، وتلافي أسباب التباغض والتنافر؛ خدمة للوطن ودفعا لمسيرة التنمية الشاملة إلى التفوق والنجاح.

إعداد : التحرير

أنوار ساطعة في خطاب حضـــ

لقد علمنا تاريخ الكويت أن أمنها وسيادتها ومكانتها وتقدمها يصنعه أبناؤها بجهدهم وعرقهم وتضحياتهم، صانوها فاحتضنتهم، وعمّروها فآوتهم، ودأبوا جيلا بعد جيل على الالتزام بقيم أصيلة ترسخ المحبة والاحترام، وتوثق التلاحم والترابط والتكاتف بينهم من أجل أمهم الكويت ورفعة شأنها.

إن أمن الكويت واستقرارها غاية الغايات، ومركز القوة الحقيقية في الدفاع عنها يكمن في نفوسنا، نحن أهل الكويت، وواجبنا دائمًا أن نترجم شعار الولاء للوطن إلى سلوك ملموس، وأن نكون جميعًا على رؤية واحدة في تجسيد مفهوم عملي واضح للوحدة الوطنية، يحفظها ويصونها ويحرم المساس بها.

إني ومن منطلق المسؤولية الغالية الملقاة على عاتقي، أؤكد ما طالما أفضت فيه وأسهبت، من أننا في صلب عالم سريع الإيقاع بتبعاته وارتداداته علينا وعلى المنطقة بأسرها، وبأننا في مرحلة مصيرية تمتزج فيها الأصالة مع الحداثة في تحديد المشروع من المطالب والمطامح وبلوغ المستهدف من الغايات والمقاصد، وهو ما يحتم ويقضي بأن نكون على مستوى المسؤولية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية على اختلافها.

إن أشرف الشرف هو صدق الانتماء لهذه الأرض الطاهرة، فهو ميزان تفاضلنا ورسالتنا السامية في ترسيخ وحدتنا الوطنية وإذكاء روحها وتأصيل مفهومها، فهي حق الوطن في أعناقنا وقدرنا المشترك الذي عاهدنا الله على الذود عنه وحمايته من شرور المصالح الشخصية والمكاسب السياسية ومهالك العصبية والقبلية والطائفية وحسراتها، وهو ما يدعو إلى المزيد من التآخي والإيثار والتفاني والحس الواعي في ترسيخ هذه الوحدة وإعلائها فوق كل اعتبار، لتبقى سر المجد والاقتدار لشعب مؤمن بلحمته وإرادته الجامعة في صنع حياة حرة كريمة على تراب وطن آمن حافل بأسباب التقدم والارتقاء، فجعلت من أبنائه أسرة واحدة في السراء والضراء، حاضنة مختلف المشارب، ملتقية على كلمة سواء وهدف لا يحيد عن تقديم المصلحة الوطنية على ما عداها، وستبقى هذه الوحدة بعون الله أقوى وأكبر بكثير من أن ينال منها أي تصرف شاذ هنا أو هناك، كما ستبقى الصخرة المنيعة الكفيلة بتفويت أي فرصة للعبث والتخريب على أي مستوى وفي أي مجال.

ـــــرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه

أشرف الشرف هو صدق الإنتماء لهذه الأرض الطاهرة فهو ميزان تفاضلنا ورسالتنا السامية

إن أقدار الأوطان ومقدراتها أغلى من أن تختلط بها وتخالطها مصالح ضيقة زائلة، فالأوطان لا تبنى ولا تصان إلا بسواعد أهلها وتكاتفهم وتعاضدهم، وقد أدى أهلنا الأمانة كاملة واستودعونا شرف الرسالة.

إننا نعيش في واحة وارفة الظلال، ينعم فيها أهلها بخير وفير ومناخ عامر بالأمن والطمأنينة مفعم بروح التآخي والتواصل، نتنفس فيها أجواء الحرية والديموقراطية، وهي نعم وفضائل تستوجب الحمد والشكر والثناء لله، وقد قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال:٥٣).

صدق الله العظيم

إن علينا أن نعي وندرك مخاطر الفتنة البغيضة التي لا يجدي معها حل أو علاج، ولن يكون فيها رابح، فالخاسر فيها دائمًا هو الوطن، والذي يدفع الثمن هو الجميع.

ولعل خير شاهد على ذلك ما تعرضت له مجتمعات ودول من شرور وتداعيات الفتن، وما ترتب عليها من انشقاق وعداوات طالت أبناء البيت الواحد، أتت على مقدراتها وأكلت الأخضر واليابس فيها، نسأل الله تعالى أن يقينا شرها وخطرها.

إننا في سفينة واحدة لا بديل في إبحارها إلى مرسى الأمان، إلا أن تتصافى الأنفس وتتوحد القلوب وتتشابك الأيدي وتسود مشاعر الألفة والتعاون بروح الأسرة الواحدة.

إن ثقتي بأبناء وطني كبيرة، فأحلامنا وأمانينا وتطلعاتنا واحدة، وطريقنا إلى بلوغ المراد، ولاؤنا ووحدتنا وانتماؤنا واتقاء الله في وطننا.

لقد أعطتنا الكويت الكثير، وما أغنانا عن ممارسات تلهينا عن الوفاء بما تستحقه من أبنائها الأوفياء المخلصين، وعلينا أن نزيح عن سبيلنا كل المعوقات، واضعين مصلحة الكويت وحدها في المقام الأول.

فلنسر على بركة الله صفًا واحدًا نعمل بجدٍ وتفانٍ لنهيئ لنا ولمن بعدنا مستقبلاً زاهرًا نفاخر به ونعتز، سائلين المولى القدير أن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته ورضوانه ويسكنهم جنات النعيم ويجزيهم خير الجزاء.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾.

وأصلح لنا أعمالنا، واجعل حاضرنا خيرًا من ماضينا، ومستقبلنا خيرًا من حاضرنا وأسبغ على هذا البلد أمنًا ونعيمًا مقيمًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

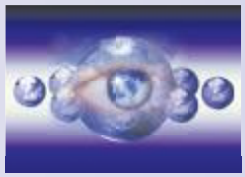

الصحيفة «والدولة الحديثة»

زبير سلطان

ورد نص تلك الصحيفة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، التي نقلها عن ابن إسحق، والتي تعتبر من أهم الوثائق التشريعية الدستورية في التاريخ العربي الإسلامي، حيث شكلت اللبنة الأولى في التنظيم السياسي والإداري والاجتماعي للدولة الإسلامية، والأسس الموضوعية في تحديد العلاقة القانونية ما بين السلطة السياسية الجديدة وبين رعيتها في المدينة المنورة المتعددة الانتماءات الدينية والقبلية والعرقية، وتنظيم الحياة العامة وضبط المسؤوليات فيها، وما يترتب من حقوق وواجبات.

وقد اعترف كافة المؤرخين المسلمين والمستشرقين الغربيين بصحتها التاريخية، وأقر المؤرخون العرب أنها دونت في السنة الأولى من الهجرة، وبعد أشهر من وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وتقريبًا دونت في عام ٦٢٣م.

ومن الملاحظات الأولى لأي باحث، ما أوردته الصحيفة من تسمية سكان الدولة كافة «بالأمة»، مما يعطيها الأسبقية على كثير من الأمم والدول، التي كانت موجودة في زمانها، بل سبقت معظم الدول الحديثة، في إطلاق اسم الأمة الواحدة على كافة سكان الدول على مختلف انتماءاتهم القبلية والعرقية والقومية والدينية.

حيث كان اسم الأمة في الجزيرة العربية يطلق على القبيلة أو القبائل المرتبطة بالنسب، وفي أوروبا على العنصر والجنس الواحد والمذهب، وتأتي أسبقيتها من إطلاقها على قبائل وأجناس متنوعة، ضمت في داخلها تنوعًا في الأديان والأعراق، أطلق على العربي وعلى غير العربي ممن أسلم، وعلى الأبيض والأسود والحر والرقيق والمسلم واليهودي وحتى على المنافق والمشرك.

فقد جاء في نص الصحيفة: «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ، بين المؤمنين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»، وبذلك أعطت سكان الدولة الجديدة جميعا اسم «الأمة»، وكأن الرسول ﷺ قد أدرك أن سجالا قد يحدث مستقبلاً على من يطلق عليهم اسم الأمة، وقد تختصر فقط على المسلمين إن تركت هذه العبارة على ما هي عليه، فأراد أن يثبت دلالات التحول الجديد في حياة العرب والمسلمين، بأن الأمة تضم في طياتها سكان الدولة من غير المسلمين، فأورد نصًا يمنع أي لبس قد يقع مستقبلاً في معنى الأمة، التي أرادها، والتي تقوم على التنوع، فأكد بشكل جلي على التنوع في نص الصحيفة فقال: «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، لهذا تعتبر الصحيفة نقلة حضارية تجاوزت الزمن الذي كانت تعيشه، فقد أسست دولة حديثة قائمة على التنوع على مختلف أشكاله.

وأحدثت للمرة الأولى في جزيرة العرب لائحة دستورية تحدد مفهوم الانتماء الإنساني الكلي، بدلا من الانتماء القبلي الضيق الذي كان سائدًا منذ مئات السنين، وأنشأت بذلك أمة يتساوى فيها كل أفرادها في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى جنس الفرد ودينه وعرقه ولونه، أمة تقوم على إنسانية الإنسان، وتعطي حقوقًا متساوية للجميع، بدلاً من أن كانت تعطى فقط لمن يملك المال والنسب والجاه، هذا المفهوم للأمة الذي جاءت به الصحيفة مازالت الإنسانية إلى يومنا تبحث عنه وتراه حلما لها.

ويرى د.محمد عمارة أن النص الواضح في أمة الدولة «تقنين لخروج الإنسان لخروج الإنسان من إطار القبيلة إلى رحاب الدولة والأمة، فبعد أن كانت القبيلة هي «الأمة والدولة» غدت لبنة في كيان الدولة الجديدة والأمة الوليدة والرعية السياسية التي قامت بناءها الاجتماعي على أساس هذا الدستور»، لهذا كان التحول كبيرًا في الحياة الاجتماعية على الفرد والمجتمع، حين جعلت فروض الكفاية الاجتماعية على الأمة، في حين أن فروض العين على الفرد.

هذا النص التاريخي المتطور، يقدم للعالم الكيفية التي نظر بها الإسلام للأسس التي تؤسس عليها الدولة، فهو عمل منذ بدايات تشكيله للدولة، أن يوجد لها مرجعًا قانونيًا، يقوم على نظام دستوري واضح، ينظم العلاقات الاجتماعية

باحث سوري

والسياسية بين مكونات الدولة، يعمل على توافر الحريات الفردية والجماعية ويكفل الحقوق والواجبات.

كما كفلت الصحيفة حرية العقيدة لكل مكون من مكونات الدولة، واعتبرت كافة أفرادها يتساوون بما لهم وما عليهم، فهم أمة واحدة لدولة يقودها الرسول ﷺ «تتعايش داخلها أمم مختلفة الدين والعقائد، وأفراد متعددو المذاهب، وإن كان المسلمون يؤلفون الغالبية في كل ذلك- ويجمع بين هولاء كلهم جملة الحقوق والواجبات التي تعاقدوا عليها بالرضا».

وبذلك شكلت الصحيفة الأسبقية من بين الوثائق الدستورية في العالم، التي ترسخ مبدأ المواطنة نظريًا وعمليا، حيث أقرت حقوقا وواجبات متساوية للمواطنين في الدولة، دون النظر إلى الانتماء الديني والقبلي لهم، وهم أمة واحدة في الحرب والسلام، ويتشاركون في دفع الفرائض المالية التي تفرض على الدولة من القوى الخارجية (كديات الأسرى) نتيجة الصراع معها.

من أبرز ما قدمته هذه الصحيفة التاريخية

وضعت الصحيفة أسس الدولة الحديثة فأطلق عليها بعض المفكرين دستورا للدولة الجديدة أمثال المفكر الإسلامي محمد عمارة، وأن هذا الدستور قد تميز عن القرآن، وإن لم يخالف روحه ومبادئه، وقال: «إنها دولة إسلامية - قومية).. القيادة فيها للمسلمين، والإطار الحاكم (الجامع- المانع) في تحديد (الرعية) وتمييزها عن «الغير» قومي لا يستبعد غير المسلمين الذين ارتضوا الحياة داخل هذه الدولة الواحدة، التي يحكمها هذا الدستور».

وأرست الصحيفة المقدمات الأولى لقواعد الديموقراطية للدولة الحديثة، وفي طليعتها مبدأ المواطنة، التي تؤسس على المساواة بين رعايا الدولة من دون النظر إلى جنسهم ودينهم وعرقهم ووضعهم المادي، مساواة في الحقوق والواجبات والحماية القانونية فنصت: «وأنه من اتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم»، وهذه قمة الديموقراطية التي لا تزال شعوب الأرض تسعى للوصول إليها.

وأوضحت الصحيفة بشكل جلي حقوق وواجبات المواطنة لليهود، الذين هم من أمة الدولة، فأعطتهم كامل الحقوق والواجبات كما هي للمسلمين، وهم يتشاركون مع المسلمين وغيرهم في حماية الدولة وأمنها، والدفاع عنها، بل يتشاركون مع بقية مكونات الدولة في المشورة، أي أنهم جزء من مؤسسة الشورى في الدولة، يقدمون النصح والرأي في حاضر ومستقبل الدولة، فنصت الصحيفة: «وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

- نصت على مبدأ التكافل الاجتماعي لكافة أفراد الدولة، بحيث يتم التكافل ما بين الدولة ورعيتها، في الوقت نفسه يتكافل أفراد الدولة ما بينهم اجتماعيًا، فهم يتشاركون مع الدولة على نصرة المظلوم، ونشر العدل والأمر بالمعروف في أوساطهم.

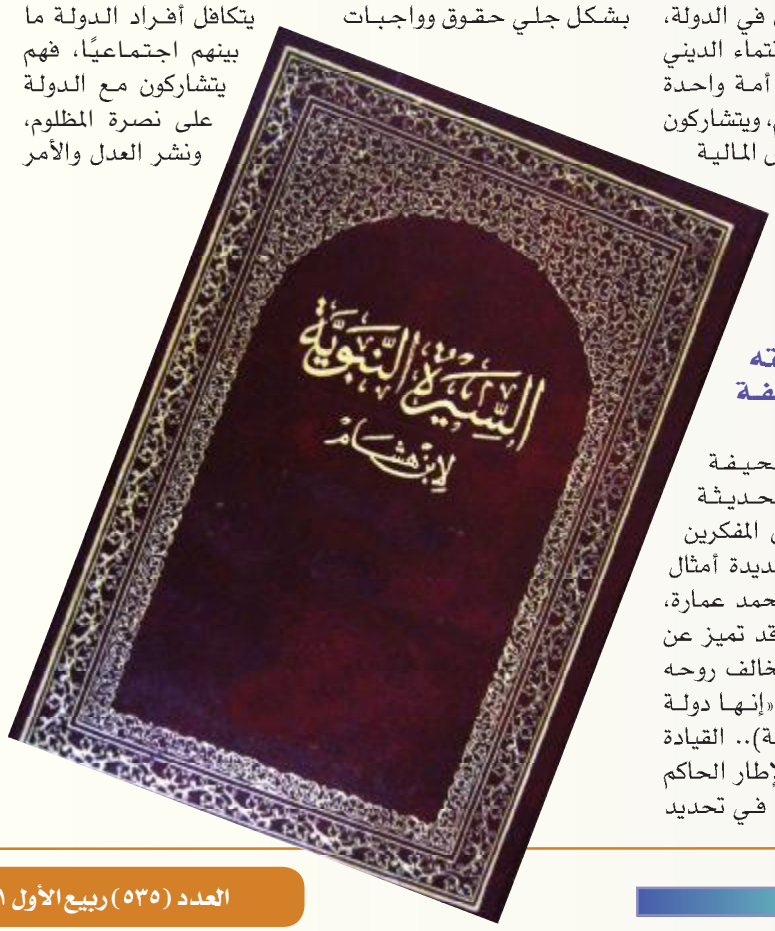

- ونصت الصحيفة على تكافل أفراد الأمة مع الدولة بالعمل على تحرير الأسير من أبناء الدولة إما بالقوة أو بدفع الدية عنه، وألا تتحمل أسرته وحدها دفع الدية فقط، بل هي مسؤولية جماعية موزعة ما بين الدولة ورعاياها، ودعت إلى ممارسة كل ما يتفرع عن التكافل الاجتماعي المادي والمعنوي.

- وامتد التكافل الاجتماعي إلى معالجة معاناة أفراد المجتمع، فألقى على الدولة والمجتمع مسؤولية رفع المعاناة عن أفراد الأمة، ووضع الحلول المادية والنفسية التي تعافي أفراد المجتمع، حتى تعيد لهم النشاط والحيوية لبناء الدولة الحديثة، فنصت الصحيفة على أن تشمل الرعاية الاجتماعية أفراد الدولة، وخاصة الذين منعهم الدين المالي من المساهمة في بناء الدولة وحمايتها، بحيث لا يترك من ثقلت عليه الديون، وكثر عياله، وعجز عن إعالتهم، من دون مساندة ومساعدة مادية ومعنوية لأنه واجب أمة الدولة، فجاء النص: «وأن المؤمنين لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل»، والمفرح هو المثقل بالديون وعجز عن السداد.

- ومن أهم ما قدمته الصحيفة الاعتراف بالحرية الدينية لأفراد الدولة، ورفض الإكراه الديني، والاعتراف بحرية الاعتقاد لأي فرد من أفراد الدولة حيث نصت: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، وهذه الوثيقة الدستورية ترد اليوم على كل أعداء الإسلام، الذين دأبوا منذ سنوات على وصف الإسلام بالانغلاق، ورفض

الآخر، وإلزام الرعية غير المسلمين بالدخول في الدين الإسلامي، فنص الصحيفة جاء ترجمة للقانون القرآني القائل ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾ (البقرة:٢٥٦) ومن حقنا أن نقول إن الدولة التي نشأت في المدينة المنورة تقدمت على كل الدول المدنية الحديثة بمئات السنين، حين وضعت مبدأ ترسيخ حرية الاعتقاد في نصوصها الدستورية.

- كذلك وضعت الصحيفة أسسا دستورية جديدة غيرت بعض الأعراف القبلية التي سادت مئات السنين، كما ثبتت في الوقت نفسه المناسب من تلك القيم والمثل العليا، والتي تتوافق مع قيم ومثل الإسلام، من أجل تأسيس دولة مدنية حضارية، فألغت تحميل القبيلة مجتمعة المسؤولية الكاملة لتصرفات فردها، وجعلت الفرد وحده المسؤول عن أعماله المخالفة للقانون، وارتكاب الآثام، من دون أن تتحمل قبيلته هذا الوزر، فنصت الصحيفة: «إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته»، وألغت أيضا العرف القبلي الذي يقضي بتحمل مسؤولية الحليف القبلي عما يرتكب حليفه القبلي من آثام وجرائم، وجعلت الحليف فقط هو الذي يتحمل مسؤولية ما ارتكب، فنصت: «وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه».

- أكدت الصحيفة على وحدة أمة الدولة في مسألة الحرب والسلام، فكل أفراد الدولة متساوون في السلم والحرب، والدفاع عن الدولة مسؤولية جماعية تقع على كامل رعيتها، جاء في النص: «وأن سلم المؤمنين واحدة، لا

الصحيفة حددت المرجعية القانونية لمؤسسات الدولة وأمتها في القرآن الكريم ورسول الله

يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا»، وفي إشارة واضحة الى وحدة المجتمع في هذه المسألة قالت: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين».

- حددت الصحيفة العلاقة مع العدو، فمنعت أن تقام معه علاقات تجارية أو مالية خاصة كانت أو عامة، وشمل الحظر كل أفراد الدولة، حتى وإن كان الفرد في الدولة يشترك معهم في الانتماء الديني كالشرك، فذكر النص: «وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن».

- وقررت الصحيفة إعطاء عاصمة الدولة الجديدة المدينة المنورة مكانة لائقة بها، فأسبغت عليها الحرمة والقداسة كما لمكة المكرمة من الحرمة «وأن يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة».

- وبينت الصحيفة أسس التعامل مع أبناء دول الجوار، حين غادرت زمانها ومكانها في القرون الوسطى، لتصل إلى القرن العشرين وتحقق أحلام وأماني المفكرين ودعاة حقوق الإنسان، والباحثين في تطوير القانون الدولي، فأعطت أبناء الدولة المجاورة الحقوق نفسها والواجبات التي أعطتها لأبناء الدولة الإسلامية: «وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم».

- حددت الصحيفة المرجعية السياسية لرعايا الدولة فجعلتها للرسول ﷺ «لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ».

- وحددت الصحيفة المرجعية القانونية لمؤسسات الدولة وأمتها في القرآن الكريم ورسول الله محمد ﷺ (وانه ما كان بين أهل الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ».

- وأهم ما أعطت الصحيفة ضرورة وجود دستور للدولة، أو لائحة دستورية، وحتى يستقيم الأمر لأى دولة، لابد لها من أن تضع مجموعة من القواعد القانونية تنظم العلاقات بين أفراد رعيتها، وبينهم وبين السلطة التي تقودهم بتنوعاتها التنفيذية والتشريعية، وتقوم بتنظيم القواعد الحقوقية فيها، وهذا ما تفقده كثير من الدول.

والدولة الإسلامية تحتاج إلى دستور ينظم العلاقات داخلها وخارجها، ينبع من وحي القرآن الكريم والسنة وكامل مكونات الشريعة، تبين مهام ووظائف السلطة والحقوق والواجبات الدنيوية للرعية، فجاء فيها «إن القرآن بالنسبة لدستور الدولة هو الإطار، فيه «المبادئ» وبه «الروح» والمقاصد والضوابط والغايات، وليس هو نص الدستور وذات مواده وعين قوانينه، فوجود القرآن الكريم لا يغني في نظام الدولة عن الدستور، الذي يضبط القواعد، وينظم الحقوق، ويحكم العلاقات، ويصوغ جميع ذلك صياغة دستورية محكمة الدلالة بينة الحدود».

إن القراءة المعاصرة لبنود الصحيفة التي تعتبر أول دستور لدولة الإسلام، من قبل المفكرين والمشرعين والفقهاء والباحثين من أبناء الإسلام، ضرورة مهمة في هذه المرحلة من الزمن، الذي يتم فيه تشويه صورة الإسلام من قبل أعدائه، ومن المغالين في التطرف والغلو ممن ينتسبون إليه قراءة واعية متبصرة تبين الحقيقة الساطعة لهذا الدين الحنيف الذي أرسله الله عز وجل للبشرية، ليضعهم على طريق السعادة والخير والأمن الاجتماعي والسلام، وأفضل سبل التعايش بين الأمم.

المواطنة في الإسلام

أحمد عبدالجواد زايدة

يتوهم القارئ- للوهلة الأولى- عند قراءته لعنوان هذا البحث «المواطنة في الإسلام» كيف يجمع بين هاتين الكلمتين (الإسلام والمواطنة)؟ وهل تربط بينهما علاقة؟ وهل هُما- باعتبارهما مصطلح - متوازيان أم متفارقان أم مُنطبقان؟ وهل الإسلام يُنافي المواطنة أم العكس؟ أم أن المواطنة جزء من الإسلام وقاعدة أساسية من قواعده وفريضة شرعية وضرورة حياتية؟

الحقيقة أنه لا توجد أدنى درجات التعارض أو أقل درجات الاختلاف أو التمييز بين كلا المُصطلحين (الإسلام والمواطنة)، فالمواطنة إنما هي كلمة أو مصطلح مُشتق من «وطْن» و«مواطن» فمواطنة، وأساسها الفعل «وطَنَ»: أي استقر وعاش في بلد ما أو مكان ما، فكُل إنسان يعيش في مساحة مُحددة أو منطقة مُعينة تُسمى «وطنًا» ويُسمى هذا الإنسان «مواطنًا»، ويعيش مع غيره من بني الإنسان- ذكورًا وإناثًا- وتربطه بهم علاقة إنسانية ورابطة اجتماعية تُسمى «مواطنة»، فهذا المُصطلح خصلة إنسانية لابُد منها في الحياة، تربط علاقة الإنسان مع غيره من بني الإنسان أيًا ما كانت أعراقهم أو أجناسهم أو ألوانهم أو أديانهم.

إذن فالمواطنة تتكون من مُرتكزين أساسيين، أولهما: الإنسان (جنس الإنسان). ثانيهما: الأرض التي يعيش عليها هذا الجنس البشري، فهي إذن علاقة بين بني الإنسان الذين يعيشون على هذه الأرض.

والإسلام هو نظام رب العالمين الذي أرسله خالق الكون كله- بما فيه من حجر وبشر- لإصلاح البشرية وهدايتها، وليكون منهجًا لها في حياتها ولتحتكم إليه في جميع أمورها مما يوفر لها السكينة والسعادة والتقدم والازدهار والعدالة والاستقرار.

مكانة الإنسان (المواطن) في الإسلام

لقد عني الإسلام واهتم- أشد الاهتمام- بكرامة الإنسان وإنسانيته، وأكد على علو منزلته، فقد كرمه الله تعالى وفضله على سائر المخلوقات، قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وأنعم الله على الإنسان بنعم عظيمة، قال تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان:٢٠)، وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأفضل هيئة وأجمل صورة، قال تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، وجعل الله تعالى الإنسان خليفة في أرضه يقوم فيها بالحق والعدل والتعمير، قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠).

وليس ذلك فقط، بل إن الله تعالى حينما خلق الإنسان فإنه نفخ فيه من روحه وأمر ملائكته الكرام أن يسجدوا له، تكريمًا وتعظيمًا وتشريفًا ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (ص: ٧١- ٧٢)، كما أن الإسلام راعى حُرمة الإنسان فحرم الاعتداء عليه أو المساس به- أيًا كان دينه أو لونه أو جنسه بدون وجه حق، قال تعالى ﴿أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتلَ الناس جميعا...﴾ (المائدة: ٣٢)، كذلك حرم الإسلام التعرض لأي إنسان بالسب أو الشتم أو الغيبة أو السخرية، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١)، وكما ذكرنا فإن الله تعالى قد كرم الإنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو لغته، إنما كرمه- فقط- من حيث كونه إنسانًا.

ولقد خلق الله الناس بلغات مُختلفة وعرقيات متباينة وبطباع وثقافات وصفات مُتعددة، وجعل لذلك مقصدًا إنسانيًا عظيمًا راقيًا، إذ يقول جل جلاله مُخاطبًا الناس جميعًا ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم

باحث شرعي مصري

شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

والله تعالى هو خالق الكون والإنسان، قال تعالى ﴿وإلهكم إله واحد﴾ (البقرة: ١٦٣)، وجعل البشر كلهم متساوين، لا يحق لأي إنسان أن يتكبر على أخيه الإنسان، ويتجلى هذا في أبهى صوره في هذا الموقف العظيم، فقد رُوي أن أبا ذر وبلالا تغاضبا و تسابا وفي ثورة الغضب قال أبوذر لبلال: يا ابن السوداء، فشكاه بلال إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأبي ذر: «أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية» (رواه البخاري)، وقد قال النبي ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم).

وباستقراء أحكام الشريعة وقواعدها نجد أن المساواة من أهم مقاصد الشريعة، ولعل ذلك يظهر واضحًا في فريضة ورُكن من أركان الإسلام وهو الحج، حينما يؤدي الجميع هذه الفريضة ويرتدون ثيابًا واحدةً (بيضاء)، جميعهم بجوار بعضهم يعبدون ربًا واحدًا، الوزير بجانب الخفير، والغني بجانب الفقير، والقوي بجانب الضعيف، والأبيض بجانب الأسود، والعربي بجانب العجمي، الجميع يرتدي ثيابًا بيضاء بسيطة متواضعة، تكاد لا تجد أي فرق بين الملابس التي يرتدونها جميعًا، وكذلك الحال في الصلاة والصوم وكل العبادات.

مكانة الوطن في الإسلام

أما الوطن أو البلدُ وأهميته في الإسلام، فإنها تظهر جلية واضحة، وكيف لا، وهي فطرة إنسانية، أن يتعلق الإنسان بوطنه وبلده الذي نشأ وتربى فيه، وكيف لا يهتم الإسلام بالوطن وهو الوعاء الذي أُمر أي الإنسان أن ينشر فيه العدل والخير والنور، وأن يُحقق فيه الحرية والمساواة.

يجب أن نتعاون ونعمل لتحقيق هذه المقاصد الإنسانية السامية

إن أهمية الوطن تتجلى من خلال أمرين، حينما هاجر الرسول ﷺ من مكة للمدينة- مُضطرًا- بعد أن آذاه قومه وعذبوا أصحابه واضطهدوهم، وقف ﷺ على أطراف مكة وهو خارج منها، ونظر إليها باكيًا دامع العينين، وهو يودع وطنه الذي تربى بين أحضانه ويقول «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» (سنن الترمذي)، فما أروع هذا الموقف الإنساني من رسول الله ﷺ حيال وطنه الذي هُجِّر وأُبعد منه، وخرج ليؤسس قواعد وأركان هذا الدين.

الأمر الثاني: يتمثل في حرصه ﷺ وجهده في تأسيس الوطن وتدعيم أواصره بعد أن هاجر للمدينة، فإذا نظرنا إلى أول ما فعله الرسول ﷺ بعد أن وصل المدينة وبعد أن بنى المسجد، ستجد أنه عمل على تأسيس وتدعيم أركان الوطن في المدينة، وتقوية أواصر العلاقة بين فئاته وأطيافه، حتى يُكَوِّن ﷺ نسيجًا وطنيًا مُتماسكًا مُوحّدًا، فتنتج عنه دولة قوية متماسكة، فكيف حدث ذلك؟

كيف أسس الرسول ﷺ أول دولة للمواطنة؟

إننا خلال التوضيح التالي للخطوتين اللتين فعلهما النبي ﷺ بعد أن وصل المدينة وبنى المسجد، نبين كيف أسس الرسول ﷺ أول دولة للمواطنة في شبه الجزيرة العربية، لكن قبل ذلك يجب أن نعلم جيدًا أن المدينة قبل الإسلام كان بها خليط من السُكان الأصليين وهُم العرب المشركون، بالإضافة إلى اليهود المهاجرين إليها من أطراف الجزيرة، وكان المشركون- السكان الأصليون- ينقسمون إلى قبيلتين، هُما الأوس والخزرج، وكان اليهود ثلاث قبائل: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وقد كان بين الأوس والخزرج حُروب طاحنة ظلت بينهم مائة وعشرين سنة (انظُر مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبدالوهاب، ص١٢٤)، وفي أثناء هذه الخصومة وهذه المعارك الضارية حالفت الأوس بني قريظة، وحالف الخزرج بني النضير، وكان آخر ما بينهم من المعارك «موقعة بُعاث»، وكان ذلك قبل الهجرة بسنوات، وكان يومًا شديدا مات فيه أكثر رؤسائهم.

كان هذا هو الحال قبل أن تدخل المدينة في الإسلام، فلمّا أن هاجر إليها الرسول ﷺ فعل أمرين:

١- آخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم أخوة قائمة على أُسس إيمانية معنوية على الحق والمواساة، وأيضًا على أُسس ماديّة، فحكم بالتوارث فيما بينهم، فجعل أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم، وظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى.

٢- ﷺ لبناء وتأسيس أول عقد للمواطنة، وأول عهد وعقد للتعايش الداخلي داخل إطار الوطن والبلد الواحد القائم على المساواة والعدالة والحرية الدينية على أسمى درجات الإنسانية والرُقي الاجتماعي بدرجة لم تعرفها البشرية سابقا، فأنشأ ﷺ دستور المدينة، وكان دستورًا للدولة الإسلامية التي أسسها ووضع قواعدها الرسول ﷺ آنذاك، ونص فيه على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

فنجد أن أحد نصوص وشروط هذه الوثيقة أو هذا الدستور هو أن «يهود بني عوف أُمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، «أمة مع المؤمنين» فهذا المُصطلح هو حقيقة عقد المواطنة، إننا جميعًا- مسلمين ومسيحيين وجميع أطياف المُجتمع- أمة وطنية واحدة مُتماسكة، لكُل منا دينه وعقيدته، وكُل منا ينعم بممارسة عقائدة وشعائره الدينية.

بهاتين الخطوتين أسس

النبي ﷺ عقد مواطنة بين جميع أطياف شعب ومجتمع المدينة، وشيد أركان دولة المواطنة.

كيف تعامل الإسلام مع غير المسلمين؟

وإننا عندما ننظر إلى فعله ﷺ وتعامله مع اليهود والنصارى (أهل الذمة) تتجلى السماحة والرحمة، وكذلك عندما نقرأ أقوال النبي ﷺ تتجلى السماحة والعدل، وكذلك عندما نرى تطبيقات أصحاب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين- رضوان الله عليهم- الذين أُمرنا أن نتبعهم وأن نشد عليها بالنواجذ، يتبين كيف أن الإسلام شرع لغير المسلمين حقوقهم على أساس العدل والمساواة كغيرهم من المسلمين، وقد أمر الرسول ﷺ بحمايتهم من أي ظُلم داخلي.

يقول ألفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين القُرافي- رحمه الله- «إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقًا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام» (الفروق، الجزء الثالث ص ١١).

فواجب على الدولة أو الحكومة حمايتهم من أي اعتداء داخلي أو مساس بهم بسوء كأي مواطنين آخرين، ولا يجوز التعرض لهم بما يؤذي كرامتهم أو يجرح شعورهم، ولا أن يتهمهم أحد بباطل.

كما أن على الدولة حمايتهم من أي اعتداء خارجي، فلو أتى عدو من الخارج وقصد غير المسلمين سواء مسيحيين أو غيرهم، يجب على المسلمين وعلى الدولة أن تستميت في الدفاع عنهم، وكيف لا وهُم جزء من أجزاء هذا الوطن ومكون من مكوناته، وفي الاعتداء عليهم اعتداء على الإنسانية- التي كرمها الله- وانتهاك لكرامة وسيادة الوطن ومساس بحرمة المواطن الحاصل على جنسية هذا الوطن، بل إن هذا الأمر أصبح بدهيًا ولا يحتاج إلى نقاش بعد أن انسجم النسيج الوطني وقوي وانخرطت جميع فئات الوطن من مسلمين ومسيحيين وغيرهم في جميع مؤسسات الوطن، فأصبح المساس بأي منهم مساسًا واعتداءً على حُرمة هذا الوطن يجب صده.

وينقل الإمام القُرافي المالكي- رحمه الله- قول الإمام ابن حزم الظاهري في كتابه «مراتب الإجماع»: «إن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صونًا لمن هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة» (الفروق جـ ٣، ص ١٤- ١٥).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- تطبيق رائع لهذا الأصل ولهذه القاعدة، فحينما تغلب التتار على الشام، وذهب الشيخ ليكلم «قطلوشاه» في إطلاق الأسرى، سمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال «لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة»، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له.

وبهذا يكون شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضرب أروع الأمثلة في المواطنة الحقيقية المبنية على أساس المساواة والعدل، بدليل أنه لم يكتفِ فقط بإطلاق أسرى المسلمين دون غيرهم، ولم يقبل أن يُترك النصارى واليهود في الأسر، لأنهم مواطنون مثلهم مثل المسلمين، لهم حقوق المواطنة، ويجب الدفاع والذود عنهم بمقتضى عقد المواطنة.

ويجب علينا كذلك حماية أموالهم وممتلكاتهم الخاصة، بالإضافة إلى حقوقهم الطبيعية والإنسانية في ممارسة جميع أشكال وأنواع النشاط الاقتصادي مع الالتزام بضوابط الشرع في المُعاملات، وهي قليلة جدًا ومقيدة ومحصورة، ففي النشاط الاقتصادي مثلًا نجد القيود في الربا والغرر، وهي قيود ومبادئ تهدف إلى حفظ القيم الإنسانية والمحافظة على المُجتمع ودفع عجلة الاستثمار.

روى أبويوسف في الخراج ما جاء في عقد النبي ﷺ لأهل نجران «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة مُحمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير» (الخراج ص: ٧٢).

وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه- حسب دينهم- مالًا، وإن لم يكن مالًا في نظر المسلمين.

فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالًا متقومًا، ومن أتلف لمسلم خمرًا أو خنزيرًا لا غرامة عليه ولا تأديب، بل هو مثاب مأجور على ذلك، لأنه يُغير مُنكرًا في دينه، يجب عليه تغييره أو يُستحب حسب استطاعته، ولا يجوز للمسلم أن يمتلك هذين الشيئين لا لنفسه ولا ليبيعهما للغير.

أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم، فهما مالان عنده، بل من أنفس الأموال، كما قال فقهاء الحنفية، فمن أتلفهما على الذمي غرم قيمتهما «وقد اختلف الفقهاء في ذلك، وهذا هو مذهب الحنفية». (غير المسلمين في المُجتمع الإسلامي، ص ١٥، د.يوسف القرضاوي).

الإثبات بالاستقراء

إن سماحة الإسلام ورُقي مقاصده تظهر وتتجلى بوضوح كالشمس في وسط النهار من استقراء بعض القواعد الجزئية في الفقه الإسلامي، فعلى سبيل المثال في عقد الإجارة إذا استأجر مسلمٌ يهوديًا أو نصرانيًا لمدة شهر مثلًا لأداء عمل ما فلا يدخل في الإجارة وفي مدتها يوم السبت لليهودي ولا يوم الأحد للنصراني، ولو اشترط المُستأجر إدخال يوم السبت أو الأحد بطل العقد، فلا يجوز له ذلك، وذلك احترامًا

لحقهم في عدم الاشتغال والتفرغ في يوم أداء عباداتهم وشعائرهم الدينية.

وقد أوجب الإسلام لهم حق التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر منذ أكثر من ألف وثلثمائة عام، وهو ما تفعله بعض الدول الغربية الآن مع بعض من حاملي اللجوء السياسي وأصحاب الأمراض العاجزين عن العمل أو الذين يندرجون تحت بند البطالة.

ففي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله».

وكان هذا في عهد أبي بكر الصديق ﷺ وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصديق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعد إجماعًا.

ورأى عمر بن الخطاب شيخًا يهوديًا يسأل الناس، فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأته إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك «ما أنصفناه إن أخذنا منه الجزية شابًا، ثم نخذله عند الهرم» (أبويوسف في الخراج، نقلًا عن «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، د.يوسف القرضاوي).

وقد أمر عُمر بن الخطاب ﷺ بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ويقول الله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ (التوبة: ١٦)، وهذا من مساكين أهل الكتاب (الخراج لأبي يوسف ص: ٢٦).

المساواة من أهم مقاصد الشريعة ويظهر ذلك جليا في الحج إذ يرتدي الجميع ثيابا واحدة

لماذا المواطنة؟ وما أهميتها؟

إن المواطنة من الأهمية بمكان بحيث إنه يجب الانتباه لها باعتبارها قضية مهمة، والعمل على تقويتها وإنمائها بين طبقات وأفراد الشعب بمُختلف أطيافه وأديانه، وذلك لعدة أمور:

أولًا: المواطنة مقصدٌ إنساني وطبيعةٌ بشريةٌ يسعى إليها بنو الإنسان جميعًا، لأن طبيعة الإنسان تدعوه إلى الاستقرار والأمن والهدوء والطمأنينة، والإسلام حريص كل الحرص على تأكيد هذه الأمور وتقويتها، إذ لا تنمية دون استقرار، ولا تقدم ولا إقامة للحق والعدل، ولا إصلاح في الأرض، ولا تعمير ولا بناء من غير الهدوء والاستقرار والأمن والطمأنينة، وهذا كُله لا يتحقق إلا بالمواطنة، فهي يمكن أن يُطلق عليها ما يُعرف باسم «المقاصد الوسيلية» فهي في ذاتها مقصد وهي كذلك وسيلة لتحقيق مقاصد أُخرى، والقاعدةُ الشرعية تقول «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ثانيًا: نظرة للمواطنة من خلال مقاصد الشريعة «وللمواطنة مقاصد»:

كما ذكرنا- سابقًا- فإن المواطنة في ذاتها مقصد من المقاصد التي تهدف وترمي إليها الشريعة وأحكامها، ودل على ذلك فعله وكذلك باستقراء القواعد الجزئية للشريعة وأحكامها، التي ذكرنا بعضًا منها في مُقدمة البحث، لكن أيضًا هُناك مقاصد تتحقق من وراء تحقق المواطنة وتوجد بوجودها، وهو ما يُسمى في نظرية المقاصد «المقاصد الوسيلية» أي أنها في ذاتها مقصد، وهي أيضًا في ذاتها وسيلة لتحقيق مقاصد أُخرى، وهذا موجود ومتوافر في المواطنة، وللمواطنة مقاصد كالآتي:

حفظُ النسيج الاجتماعي الوطني، فالاختلاف والتعدد والتنوع في الأفكار والمذاهب والآراء والأديان سنة إلهية ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مُختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وقال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)، فلا يجوز ولا يُمكن القضاء أو إزالة هذا التعدد والتنوع لأنه سنة إلهية يُقصد بها التدافع والعمل، وكذلك لا يُمكن أن يُترك هذا الاختلاف ليعبر عن نفسه بوسائل قاسية غير سليمة تُدمر نسيج المُجتمع وتُهدد كيانه وتُعطل وتهدر طاقاته، بل إنه لابُد من إيجاد رابطة تربط بين جميع أطياف وأفكار المُجتمع لتتعايش من خلالها وفي إطارها، لها حقوق لا يجوز التنازل عنها، ويجب توفيرها للجميع، وعليها واجبات يجب عليها الإتيان بها.

وحفظُ النسيج الاجتماعي وأمن المُجتمع وسلامته من أهم مقاصد الشريعة التي تسعى لتحقيقها، ويتأتى ذلك عن طريق حفظ حقوق الناس وعدم المساس بها أو التعرض للمواطنين أو الاعتداء عليهم، بالإضافة إلى إطلاق الحُريات وتوفيرها، والإسلام وشريعته حرصا على تأكيد هذين المعنيين، فشرعت الحدود والعقوبات والتعزيرات للحفاظ على أمن المُجتمع وسلامته من الاعتداءات والانتهاكات التي قد يتعرض لها الأفراد أو المؤسسات أو المُتلكات سواء اعتداء على النفس أو على الأموال أو قطع الطريق على الناس فيما يُسمى في الشريعة بـ«حد الحرابة»، فشُرع حد السرقة لحفظ المُتلكات، والقصاص في القتل لحفظ الروح البشرية والنفس الإنسانية، وشُرع حد الحرابة للقضاء على قُطاع الطرق ومروعي الآمنين، كُل هذه الأحكام تهدف إلى نشر الاستقرار والأمن والطُمأنينة في المُجتمع والقضاء على نار الفلتان والانفلات داخله.

وهذه الفوضى تنشأ كذلك عن غياب المواطنة التي ينعم المجتمع من خلالها بالتسامح، فإذا غابت هذه المواطنة وضاعت معالمها ودب الخلاف والفتنة، وأصبح للفتنة والخلاف أقدام تتحرك وتمشي وأيد تبطش وتقتل وتسرق وتسلب حقوق الناس، ولسان ينشر الكراهية والحقد والبغضاء والكذب بين الناس، فقد ضاع أمن المُجتمع وسلامته، وحدث ما لا يُحمد عُقباه.

ولذلك نجد القُرآن الكريم يدعو إلى الحوار السلمي الهادئ المبني على العقل والمنطق والحُسنى، فيما يُعرف بـ«أدب الحوار»، يقول تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت:٤٦)، ويُخاطب رسوله ﷺ قائلًا ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل: ١٢٥)، فأمره في جداله مع المُخالفين وحواره ونقاشه معهم، بالتزام سبيل المجادلة بالتي هي أحسن.

وخاطب الله تعالى المُعارضين قائلًا ﴿قُل هاتوا برهانكم إن كُنتم صادقين﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ولا يكتفي القُرآن بذلك بل يُغري المُخالفين بالمناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم، فيتظاهر جدلًا بأنه لا يقطع بكونه على حق وأنهم على باطل، فيقول ﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو في ضلال مُبين﴾ (سبأ: ٢٤)، (انظر: الحرية في الإسلام، د.علي عبدالواحد وافي، ص ٦٢).

وللدكتور عبدالمجيد النجار- حفظه الله- تقسيم رائعٌ وشرحٌ بديعٌ في هذه النقطة في كتابه القيم «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي»، إذ أنه عندما تحدث عن مقاصد الشريعة في حفظ المُجتمع وضح ذلك من خلال مقاصد حفظ النسل، وعلاقته بحفظ المُجتمع، وكذلك مقصد حفظ الكيان الاجتماعي عن طريقين:

١- الطريقُ الأول: حفظ المؤسسة الاجتماعية (من خلال الحفظ بثقافة المؤسسية والحفظ بمؤسسة الأسرة والحفظ بمؤسسة الدولة)، ثُم فصل في حفظ مؤسسة الدولة عن طريقين:

١- أن المُجتمع هو مصدر السلطة.

٢- أن الشُورى آلية الدولة.

الطريقُ الثاني: حفظُ العلاقات الاجتماعية من خلال ثلاثة طرق:

١- الحفظ برابطة الأخوة.

٢- الحفظ بميزان العدل.

٣- الحفظ بعلاقة التكافل، وقد أصل ودلل- حفظه الله- لكُل منهم بالنصوص الشرعية، فليُرجع إليه لمن شاء بالتفصيل.

من كُل ما سبق يتضح لنا أن حفظ الكيان الاجتماعي مقصد أساسي من مقاصد الشريعة، واجب الالتزام به والعمل على إيجاده وتوفيره، ولن يتحقق هذا المقصد إن غابت المواطنة أو حدث خللٌ فيها.

المقصدُ الثاني للمواطنة: التعاون لتحقيق المقاصد المُشتركة، إننا باعتبارنا مُسلمين لنا في الشريعة مقاصد نسعى لإيجادها، وهي مقاصد منها ما هو صريح، ومنها ما هو ناتج بالاستقراء من نصوص الشريعة وقواعدها الجُزئية وأحكامها، وهذه المقاصد في أغلبها إنسانية، بل على الأحرى كلها من حيث مقتضيات بعضها التي قد يتوهم البعض أنها غير إنسانية، ولو على الأقل بطريقة غير مباشرة، لكن من هذه المقاصد مقاصد تصلح للمسلمين ولغيرهم من غير المسلمين ليتعاونوا ويعملوا سويًا على إنجازها وتحقيقها، وهذه المقاصد يُمكن أن نوطنها أو نوظفها أو نؤطرها في إطارين:

بعضها يُطبق ويُدعى إليه عن طريق الجانب الدعوي ومؤسساته.

البعض الآخر يُطبق ويُسعى إليه عن طريق الجانب السياسي والمدني والاجتماعي والخدمي.

ونحنُ لا نُطالب إخواننا من غير المُسلمين بالجانب الأول، لأنه أمرٌ

مُنتف عقلًا وبديهة، إلا أننا يجب أن نتعاون لتحقيق الجانب الثاني.

خُذ مثلًا، فهُناك تقسيمُ لمقاصد الخلق كالآتي: عبادة الله، تزكية النفس، عمارة الأرض، صناعة الإنسان، السعي للتحلي بمكارم الأخلاق، الهداية للعالمين، الشهادة على العالمين.

فمن هذه المقاصد ما يخدم ويوضع في القسم الأول (عبادة الله، الهداية للعالمين، الشهادة على الناس، وتزكية النفس)، ومنها ما يوضع في الجانب أو الإطار الثاني وهو مثلًا (عمارة الأرض، وصناعة الإنسان بتنمية عقله وقدراته ومواهبه، والسعي لتحصيل مكارم الأخلاق فهو أمرٌ إنساني راقٍ).

وإن كُنَّا نؤمن بأن المقاصد التي وضعناها في الجانب الأول تصب في إصلاح الإنسان وتكريمه ونهضته لكنه إيمانٌ نلتزم ونعتقد به نحن المسلمين ولا نُلزم به غيرنا.

وهُناك تفصيلاتٌ أُخرى، فمثلًا فصّل العلامة مُحمد رشيد رضا مقاصد القُرآن تفصيلًا طيبًا، فذكر المجالات الآتية: «إصلاح أركان الدين، وبيان ما جهل البشر من أمر النبوة، وبيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل والعلم والحكمة والبرهان والحرية والاستقلال، والإصلاح الاجتماعي الإنساني السياسي، والتكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات، والعلاقات الدولية في الإسلام، والإصلاح المالي والاقتصادي، ودفع مفاسد الحرب، وإعطاء النساء حقوقهن، وتحرير الرقاب من الرق» (مُحمد رشيد رضا، الوحي المُحمدي ثبوت النبوة بالقُرآن، مؤسسة عزالدين، الطبعة الأولى، نقلًا عن كتاب «فقه المقاصد، إناطة الأحكام الشرعية بمقاصدها، د.جاسر عودة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي).

كذلك صنف د.يوسف القرضاوي- حفظه الله- سبعة مقاصد وهي «تصحيح العقائد في التصورات للألوهية والرسالة والجزاء، تقرير كرامة الإنسان وحقوقه، الدعوة إلى عبادة الله، تزكية النفس البشرية، تقويم الأخلاق، تكوين الأسرة الصالحة، إنصاف المرأة، بناء الأمة الشهيدة على البشرية، الدعوة إلى عالم إنساني مُتعاون» (كيف نتعامل مع القُرآن، د.يوسف القرضاوي، دار الشروق).

ثُم جاء د.عبدالمجيد النجار- حفظه الله- وصنفها إلى «مقاصد لحفظ قيمة الحياة الإنسانية، ومقاصد لحفظ الذات الإنسانية، ومقاصد لحفظ المُجتمع وكيانه الاجتماعي، وأُخرى لحفظ المال والبيئة».

لذلك فإننا نؤمن إيمانًا جازمًا ونعتقد اعتقادًا قويًا أنه يجب علينا جميعًا- أطياف الوطن الواحد كافة- أن نتعاون ونعمل لتحقيق هذه المقاصد الإنسانية السامية، ولن يُمكننا ذلك إلا إذا كانت تربطنا رابطة قوية مُتماسكة ننعم من خلالها بالاستقرار والأمن والطمأنينة.

سيكولوجية المواطنة الصالحة

عبدالرحمن العيسوي

في الآونة الأخيرة برزت فكرة المواطنة، ويقصد بها المواطنة الصالحة والاهتمام بالشعور الوطني والانتماء للوطن في المحل الأول واحترام حقوق المواطن وتقدير دوره في الكفاح والنضال المشترك عبر التاريخ، ومن الأهمية بمكان معرفة المواطنة، وكيف نربي المواطن الصالح، وما سماته وخصائصه، ودوره في ظل تحديات الفتنة ودعوات الانقسام والتحزب والتشرذم وإثارة النعرات الطائفية بين أبناء الوطن الواحد، والذين يعيشون منذ مئات السنين على أرض واحدة يقتسمون مر الحياة وحلوها، ويدافعون عن أوطانهم، ويشعرون بالإخاء الوطني والوحدة الوطنية والشراكة الوطنية، ويشعرون بحب الوطن وتقديسه.

لقد برزت على السطح في المجتمعات العربية، فكرة المواطنة والاهتمام بها للتأكيد على المحافظة على النسيج الوطني بكل عناصره، وفئاته وطبقاته وطوائفه، والسعي لتحقيق حقوق المواطن أو حقوق الإنسان، وهي حقوق متعددة ومتنوعة تشمل كل جوانب حياته الصحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والأخلاقية والروحية والمهنية، ومنها حق حرية التعبير والإقامة والزواج والعقيدة والحرية في التنقل وما إلى ذلك.

والحقيقة أن موضوع تكوين أو إعداد أو بناء المواطن الصالح موضوع متعدد الجوانب، إذ يتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والروحية أو الدينية والدستورية، ولذلك يمكن تناول هذا الموضوع من العديد من الجوانب أو الزوايا أو الرؤى، كالناحية الدستورية والقانونية أو غيرهما، ويتناول هذا البحث المتواضع المنظور التربوي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي، ويستهدف توضيح السبل والطرق والمناهج التي تؤدي إلى تكوين المواطن الصالح مسلما كان أم مسيحيا، وكيف نبني المواطن الصالح، ذلك المواطن الذي يعطي للوطن حقه ويطالب المجتمع بحقوقه المشروعة.

التنشئة الاجتماعية هي عملية صنع المواطن وإعداده وتكوينه

وما صفات ذلك المواطن، وما الدور الذي ينبغي على المجتمع أن يؤديه لتكوين هذا المواطن، وما الحقوق التي يتعين على المجتمع أن يوفرها لجميع أبنائه بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والسياسية والطبقية أو السلالية، حقوق الإنسان بوصفه، في المحل الأول، مواطنا صالحا، وعلى ذلك فإن المواطنة الصالحة تتطلب من الفرد أن يكون مواطنا صالحا مؤمنا بربه ووطنه وعروبته، وأن يكون قادرا على العمل والإنتاج، وبالإضافة إلى خير المجتمع ونفعه، وأن يكون فاعلا وإيجابيا وليس سلبيا، وأن يكون محباً لوطنه، ولديه الاستعداد للتضحية والبذل والعطاء من أجله، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل حمايته والارتفاع بقدره وإعلاء شأنه بين الأمم، والذود عنه ودفع الأخطار والأضرار عنه، وفي الوقت نفسه يتعين على المجتمع في الوقت الراهن أن يلبي حاجات الفرد وطلباته في العيش الكريم، والرعاية الصحية الجيدة، ويوفر له التعليم الجيد، والعلاج الجيد، والعمل المناسب والأجر الحلال الكافي، وأن يوفر له سبل الحياة الكريمة من إقامة ومواصلات وزواج ونحو ذلك.

وتنطلق فكرة «المواطنة الصالحة» من فلسفة الاهتمام بالثروة البشرية والتي ثبت للعالم أجمع أنها أغلى الثروات جميعا وأكثرها قيمة وفائدة، ولقد علمنا التاريخ أن المجتمعات التي أحرزت تقدما وقوة ومنعة ونهضة وتنمية إنما اعتمدت في ذلك على ما تمتلك من الثروة البشرية، ممثلة فيما لديها من العلماء والباحثين والمفكرين في مجالات الذرة والتكنولوجيا وغيرها من التخصصات، ومن ذلك سعي الدول المتقدمة لاستنزاف الثروة البشرية للدول الفقيرة، وتشجيع هجرة العقول أو الأدمغة إليها لبناء نهضتها، وفي الآونة الأخيرة امتدت الهجرة إلى العضلات أيضا حيث يهاجر ملايين

اختصاصي نفسي مصري

العمال المهرة وغير المهرة إلى البلدان المتقدمة، ومن المؤسف أن يموتوا غرقا في البحار والمحيطات قبل أن يصلوا إلى مراميهم.

وعلى ذلك فإن ما ينفق من المال العام على التعليم والبحث العلمي ونشر الثقافة إنما هو من قبيل الاستثمار الجيد، فعلى قدر ما يقدم المجتمع من المال العام على قدر ما يرتد إليه ذلك في شكل خبراء وعلماء وباحثين ومهندسين وأطباء وغيرهم ممن يسهمون في إقامة النهضة المنشودة وممن يقومون بمشاريع التنمية الشمولية والمستدامة التي أصبحت مطلبا ضروريا لشعوبنا العربية الناهضة والوفية والمخلصة والأبية، هذه الشعوب الطيبة الطاهرة المحبة للسلم والسلام تستهدف النمو والتنمية والتقدم والنهضة والازدهار في جو يسوده السلام العالمي والإخاء العالمي والتضامن العالمي والتعاون العربي والتلاقح الحضاري.

وفي المجال الصناعي والمهني اتضح، منذ عهد بعيد، أن العنصر البشري هو أهم عناصر الإنتاج، وعليه يتوقف نجاح المشروعات وإدارتها، وذلك مقارنة بباقي عناصر الإنتاج من رأس المال والمواد الخام والأسواق والمواصلات، ولاشك أن أهمية الإنسان العربي الأبي الوفي لربه ثم لوطنه والمؤمن لابد أن تجعلنا ندعو إلى ضرورة احترام حقوق الإنسان بأنواعها كافة، ولابد من تدعيم دور التربية والمنظمات التربوية على مختلف مستوياتها لكي تسهم في بناء المواطن الصالح القادر على دفع عجلة الإنتاج قدما إلى الأمام.

التنشئة الاجتماعية

وإذا كنا في معرض تربية الإنسان العربي وتكوينه وإعداده إعدادا سويا وصالحا على الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، فلابد من الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية السوية، وهي تلك العملية التي تمد الإنسان وتزوده بقيم المجتمع ومثله ومعاييره وعاداته وتقاليده وأعرافه وثقافته ومبادئه الروحية والأخلاقية، بحيث يشب مواطنا متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ويتعود على الطاعة والنظام واحترام الشرع والقانون، ويشعر بالانتماء القوي للوطن.

تدعيم الشعور بالانتماء

وعملية التنشئة الاجتماعية هي عملية صناعة المواطن وإعداده وتكوينه، وهي عملية ممتدة من المهد إلى اللحد، وهي التي تساعد الفرد على قبول قيم المجتمع وامتصاصها في كيانه أو استدخالها واكتسابها، بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه ومن شخصيته، ونظرا لأهمية عملية التنشئة الاجتماعية يقال في حقها: إنها العملية التي تحول الإنسان من كونه مجرد كائن حيوي بيولوجي عند ميلاده إلى كائن إنساني بشري، فهي التي تحيل الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن إنساني، وهي التي تكسب الإنسان إنسانيته وقيمه ومثله ومعاييره، والتنشئة السوية تحمي الإنسان من الإصابة بالأمراض والعلل والاضطرابات والأزمات والأعراض العقلية والنفسية ومن الشذوذ في السلوك.

أما عن الهيئات التي تسهم في هذه العملية فهي كثيرة ومتعددة، ومن أهمها وأكثرها تأثيرا في حياة الإنسان مؤسسة الأسرة ثم المدرسة والجامعة ودور العبادة ومؤسسات الثقافة الجماهيرية كالإذاعة والتلفاز والمتاحف والمعارض والسينما والمسرح والأندية والصحف والمجلات والكتاب والرواد ودعاة الإصلاح والقادة والزعماء والنقابات والاتحادات المهنية والعمالية والأحزاب السياسية، والكتب والمجلات والدوريات والندوات والمؤتمرات وحلقات الدرس والحوارات، ذلك لأن الإنسان، بحق، هو «ابن البيئة والوراثة معا» أي أنه محصلة التفاعل والأخذ والعطاء والتأثير المتبادل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية المكتسبة من جراء التفاعل والاحتكاك مع عناصر البيئة الاجتماعية أو الثقافية أو المادية أو الجغرافية أو الفيزيقية.

فالإنسان ابن البيئة والوراثة معا، ولذلك لابد من العناية بالوراثة وتشجيع سلامتها وتحسينها ولابد من تحسين البيئة وظروفها.

مناخ المواطنة

ولاشك أن المناخ الوحيد الصالح لتكوين المواطن الصالح وتنمية فكرة المواطنة أو فلسفة المواطنة وحب الوطن والانتماء له يجب أن يمثل في:

١- المساواة في الحقوق والواجبات واعتبار جميع المواطنين سواسية أمام القانون لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

٢- العدل، خصوصا العدل الاجتماعي، وبسط العدالة في مناحي الحياة كافة .

٣- تكافؤ الفرص في مجالات التوظف والتعليم بحيث لا يحرم أي مواطن من فرصته العادلة في التوظف أو التعليم بسبب عقيدته أو جنسه أو طبقته الاجتماعية أو سلالته، فلابد من إتاحة فرص متساوية أمام جميع الأفراد، وذلك في نقطة البداية، بحيث يصل الفرد إلى أعلى ما يمكن أن توصله إليه قدراته الطبيعية، وذلك لأن تكافؤ الفرص لا يعني أن

يصل جميع أفراد المجتمع إلى نهاية التعليم مثلا، ولكن يعني أن تتاح الفرص المتكافئة لكل مواطن للارتقاء في السلم التعليمي أو الوظيفي، وإنما فقط في حدود ما تمكنه من ذلك قدراته الخاصة واستعداداته وميوله واتجاهاته وسمات شخصيته وما لديه من الخبرات والمعارف والمعلومات.

٤- احترام ذكاء الإنسان وقدرته على الإسهام في حل مشاكل المجتمع.

٥- الأخذ برأي الأغلبية مع احترام الأقلية.

٦- حكم الشعب نفسه بنفسه لصالح نفسه، وذلك عن طريق الاختيار الحر النزيه لمن يمثلونه في المؤسسات النيابية أو البرلمانية وفي مجالس الشورى وما إليها.

٧- ضمان وكفالة حد أدنى من مستوى المعيشة أو الحياة الآدمية الكريمة.

ولاشك أن عملية صنع المواطن الصالح تحتاج إلى تضافر جميع العلوم من مختلف التخصصات كالطب والهندسة والاجتماع وعلم النفس والتربية والقانون وعلوم التربية وما إلى ذلك، ومن الأهمية بمكان تطوير النظام التعليمي بمختلف مستوياته من الحضانة حتى الجامعة.

تطوير التعليم وضمان الجودة والاعتماد

ويرتبط بالتطوير المطلوب في مجال التعليم وتحسين جودته أو تحقيق تطويره وضمان الجودة والاعتماد، يرتبط بذلك النهوض بالبحث العلمي، حتى تتمكن مؤسسات البحث العلمي ومراكزه من الإسهام في حل مشاكل المجتمع والإسهام في ملاحم التنمية التي تقوم على أساس العلم والمنهج العلمي.

النمو الرأسي والنمو الأفقي

وفي ضوء ضرورة الإسراع في حركات التنمية الشمولية (الاقتصادية والاجتماعية والبشرية) لابد من انتهاج منهج التطوير على المستوى الأفقي، وذلك بإضافة وحدات جديدة إلى وحدات الإنتاج القائمة حاليا.

فكرة فرق تسد

تعمد القوى الاستعمارية والصهيونية إلى إثارة الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة العربية الواحدة، بل بين أبناء المجتمع الواحد بإثارة النعرات الطائفية أو العرقية أو السلالية أو المذهبية بقصد إثارة حالات الاحتراب الداخلي أو الحروب الأهلية والداخلية حتى تصفي القوى الوطنية بعضها بعضا ويتفرغ الاستعمار لاستغلالها وابتزازها واحتلالها وفرض سيطرته أو سطوته عليها والهيمنة على قواها بعد إضعافها، انطلاقا من المبدأ الاستعماري البغيض وهو «فرق تسد»، ولا شك أن الإخاء من القيم التي يحض عليها الإسلام الحنيف في الوصية بالجار والعطف عليه مهما كانت عقيدته الدينية، والإسلام يدعو إلى السلام والسلم والإخاء والمودة والمحبة والتسامح والتعايش وقبول الآخر، ومن ذلك احترام الإسلام الحنيف لجميع الأديان السماوية ودعوته إلى الإيمان بجميع الرسل والأنبياء من دون أي تعصب أو تحيز، وهناك الدعوة لقبول الآخر وحسن الجوار والدعوة للسلم والسلام تعبيرا صادقا عن الدعوة الإسلامية السامية والمتمثلة في القول الكريم «أحب لأخيك ما تحب لنفسك».

ويحترم الإسلام غير المسلمين إذا لم يكونوا محاربين ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (المائدة:٨٢).

وفي باب الوصية بالجار قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣٦).

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (متفق عليه)، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ «يا أبا ذر: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» (رواه الإمام مسلم)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «والله لا يؤمن، والله لايؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» (متفق عليه)، وفي رواية للإمام مسلم «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» وقوله ﷺ «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه» (متفق عليه) ويقصد بالفرسن الظفر من الشاة والخف من البعير، وفي هذا الصدد قول رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» (متفق عليه)، وقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره» (رواه مسلم).

المواطنة الصالحة تتطلب القضاء على الفقر والجهل والبطالة

رؤية

الشيخ سليم المسوتي.. شيخ المتوكلين

أ.د. محمد حسان الطيان

منذ وعيت الدنيا كنت أطالع صورته في بيت جدي لأمي، بيت المسوتي، ذلك البيت الذي فيه ولدت، وفيه نشأت وترعرعت، وفيه لعبت وسلوت، وفيه مرابع طفولتي ومواطن هواي وملاعب أحبتي، حتى لقد ظنني كثير من الناس مسوتي النسب، أعني نسب الوالد والشهرة واللقب، وما أنا كذلك، وإن كنت مسوتي الهوى والرضاع والنزعة والمحبة.

قلت إني كنت أطالع صورته، صورة الشيخ سليم المسوتي (رحمه الله) بطلعته البهية، وهيبته السنية، وبسمته النورانية، ولحيته التي كنت أرى الطهر تحت كل منبت من منابت شعرها.. وقد كتب تحتها ذلك البيت الذي كان أول بيت حفظته في الشعر العربي

حَلَفَ الزمانُ لَيأتيَنَّ بمثله
حنثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فكفّر

كنت أردد هذا البيت دون أن أدرك معناه، حتى إذا شببت عن الطوق واستبان لي معناه طفقت أسأل أيّ رجل كان هذا الجدُّ حتى عصي على الزمان أن يأتي له بنظير؟ وأيّ علم طوي عليه صدره؟ بل أيّ خلق اشتملت عليه نفسه؟ وأيّ نور نشر بين الناس؟ وأيّ ذكر ترك في أذهانهم؟

وكانت الإجابات تأتيني من هنا وهناك، فما إن يُسمع لقب المسوتي حتى يذكر الشيخ سليم رحمه الله، وما إن يذكر الشيخ سليم حتى تتوالى الحكايات عنه مشفوعة بالثناء الجميل، والذكر العطر، والمناقب التي ندر أن تجتمع لواحد بمفرده، ولاسيما توكله الذي قيل فيه: لو وزع على أهل بلد لكفاهم.

من ذلك أن طارقًا طرقه قبل موعد الإفطار في رمضان، يشكو كثرة العيال وقلة المال بل عدمه، فما كان من الشيخ رحمه الله إلا أن أعطاه «طنجرة» الطعام برمتها، لم يبق منها لأهل الدار شيئًا، على كثرتهم، إذ لم يكن البيت يخلو من أربع نساء ولكل امرأة أولادها، وكلهم من نسل الشيخ، فعَلا الصياح وكثر الاعتراض، والشيخ صامت يسبّح وهو واثق من عطاء الله مسلّم أمره كله لله، وما إن ارتفع أذان المغرب حتى قرع الباب، وإذا وراءه خيرٌ كثير وطعام وفير أمر به الوالي (والي دمشق) لبيت الشيخ رحمه الله.

فما جازَهُ جودٌ ولا حلّ دونَهُ
ولكن يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ

ومن ذلك أن سائلاً سأله كساءً في المسجد، ولم يكن الشيخ، رحمه الله، يملك إلا ما يلبس، وقوام لباسه جبة تحتها «صاية»، والصاية ما يلبس تحت الجبة من دثار، وهي أشبه ما تكون بـ«الجلابية» أو «الدشداشة» إلا أنها مفتوحة يُرَدّ طرف منها على الطرف الآخر، ويوضع في الوسط ما يشبه الحزام العريض ويتخذ عادة من قماش فاخر، فما كان من الشيخ إلا أن دخل غرفته في المسجد ليخرج حاملاً صايته ولوازمها ويقدمها للسائل، وقد ارتدى جبته على شعاره (أي ملابسه الداخلية التي تلي الجسد مباشرة)، وأكمل نهاره على هذه الحال، وعندما عاد إلى بيته بعد العشاء وافاه ولده بتسع صايات أهديت إليه، فما كان من الشيخ إلا أن طالبه بالعاشرة، وفغر الولد فاه متعجبا من معرفة أبيه خجلا من تصرفه! إذ أخفى عنه واحدة استئثارا بها وخوفا من أن يوزع والده الصايات العشر على أصحاب الحاجات فلا يقع له منها شيء، وسرعان ما اعتذر عن فعله وهو يبدي تعجبه من فطنة الشيخ ومكاشفته! فقص عليه الشيخ رحمه الله قصة السائل الذي سأله، مردفا: كنت على يقين أن الحسنة بعشر أمثالها.

ومن حديث توكله على الله وتسليمه الأمر كله له.. أنه مات له ولد في شرخ الشباب وميعة الصبا كان يرى فيه نفسه ويعده لخلافته، وقد أرسله إلى مصر ليدرس في الأزهر، ويعود بعلم غزير وخير كثير، إلا أن أجله كان أسبق من أمله، وتوفي بين يدي والده، فما زاد الشيخ على أن قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم منك وإليك، ووسده التراب في مقبرة الدحداح بدمشق الشام، ليلحق به بعد حين ويدفن إلى جواره، ومازال القبران متجاورين، وذلك يدل على رفعة الشيخ وعلو منزلته.

على أن الموقف الذي لم أر للشيخ فيه نظيرا هو ذاك الذي كان مع تلميذه الأثير لديه، الشيخ أبوالخير الميداني، شيخ الشام ورئيس رابطة العلماء فيها، فقد لزم الشيخ سليمًا وأخذ عنه وانتفع بعلمه وبحاله، وانقضت على صحبته سنوات، ختمها الشيخ بتوجيه تلميذه إلى شيخ آخر بعد أن نفِد ما عنده من علم، لما رآه فيه من النجابة والفطنة، وقد ائتمر التلميذ بأمر شيخه فلزم الشيخ عيسى الكردي، وتزوج ابنته، وانتفع به بعد أن انتفع بالشيخ سليم، فكان بعد ذلك من نوادر العلماء، رحمه الله.

لقد توكل الشيخ سليم على الله فأحسن التوكل، وكان شعاره في الحياة ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣) أي كافيه وكافله ومعطيه وحارسه، ومن كان الله كافيه فماذا ينقصه؟ ومن كان الله كافله فماذا يعتريه؟ ومم يخاف؟

رحم الله الشيخ «سليم المسوتي» وجزاه عنا وعن الأمة خير ما جزى عالما عن أمته، ومربيا عن أولاده وتلامذته، ومتوكلا عن إيمانه وعقيدته، وجعل الخير والبركة والعلم في نسله وحفدته، وقدر لهذا الزمان أن يبر بيمينه فينجب الأخيار والأطهار والأبرار الذين يحيون حياة سلفهم، وينشرون الفضيلة والسماحة والتقى، ويثبتون أن الخير موصول في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أكاديمي في الجامعة العربية بالكويت

الآيات الباهرة في وجه الإنسان

أ.د. عبدالقادر الحبيطي

إن أكثر الأمور قربا منا، قد تكون أحيانا أبعدها عن مركز اهتمامنا، وذلك بسبب الألفة الشديدة، ومن ذلك أن كلًا منا قد ألف النظر إلى وجهه في المرآة فلا يرى إلا أمورًا ظاهرية ولا ينطلق في رؤيته إلى أبعد من الظاهر، أي إلى التصاميم الإبداعية العظيمة التي قام عليها تكوين وجهه، ولعلنا إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿... وصوركم فأحسن صوركم﴾ (التغابن: ٣)، (غافر:٦٤) نتساءل، ما هو الإحسان في تصوير كل منا؟ فالآية تتحدث عن الإنسان بشكل عام ولا تختص بطائفة منهم دون أخرى، فهي تشمل الكبار والصغار وجميع أطياف الناس، فإذا علمنا أننا مطالبون بأن نبصر أوجه الإبداع في تصوير كل منا في قوله تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)، فلابد من التفكير والتتبع العلمي، فالعلم رؤية أو إبصار للحقيقة.

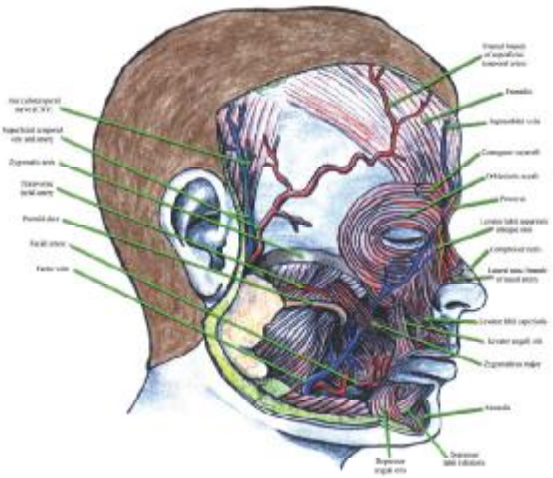

يتألف وجه الإنسان من خمس وخمسين عضلة مختلفة الأشكال والأحجام، يغذيها اثنا عشر عصبا منطلقة من مراكز في المخ، ولكل من هذه العضلات والأعصاب المتصلة بها وظيفته المحددة، وأهم هذه الأعصاب المثلث التوائم (Nerve Trigeminal) الذي تسري سيالاته العصبية في عضلات الوجه فتحركها، وله وظيفة حسية أيضا، ويساهم معه العصب الوجهي (Facial Nerve) الذي يتصل بعضلات الوجه المتعددة ويؤثر فيها عبر فروعه الكثيرة السارية في هذه العضلات، فيجعلها ترتخي أو تنقبض ضمن خطة منظمة بديعة.

وتتغير سيماء الوجه (ملامحه المختلفة) حسب شدة وجهة تقلص هذه العضلات، ويتعلق ذلك بمقدار التيارات الإلكترونية السارية عبر الأعصاب، ويتفرع العصب الواحد من هذه الأعصاب إلى فروع عديدة تغذي كل ألياف العضلات، فتصبح العضلات كلها واليافها مشمولة بشبكة عظيمة معقدة من الأعصاب وفروعها، وكلها متصلة بمراكز في الدماغ.

التلازم بين ملامح الوجه وأحوال النفس وانفعالاتها

في قسمات وجه الإنسان وملامحه وما يظهر عليه من سيماء دلالات واضحة تعبر بجلاء عما تنطوي عليه نفسه من ميول وانفعالات وأحوال واتجاهات، فكأن قسمات وجه الإنسان وما يظهر فيها من سيما وملامح لغة مرئية تعبر بوضوح عما يستكن في أعماق النفس الإنسانية، أو هي ترجمان للنفس ومرآة لها.

وقد توصل العلم الحديث للربط بين ما يحصل على الوجه من استجابات عضلية تحركها السيالات العصبية ومن ورائها التغيرات الهرمونية ايضا، وبين ما يحدث في اعماق النفس من مشاعر الفرح أو الحزن أو الخوف أو الدهشة أو الكآبة أو القلق أو الاطمئنان أو الاستفسار عن غموض إلى غير ذلك من الأحوال، فكل هذه المشاعر والانفعالات التي تجول في أعماق النفس تظهر على ملامح الوجه ولها سيما تميزها كأنها مرآة تعكس أحوال النفس ومنطوياتها.

فالفرح يظهر جليا على ملامح الوجه وقسماته، وكذلك الحزن لا يخطئه الناظر إلى وجه حزين، ولو لم يقل كلمة واحدة، وترسم علامات الخوف على وجه الخائف وتظهر الدهشة جلية على قسمات الوجه، والرضى والاطمئنان النفسي والهدوء تكاد ملامح الوجه تفصح عنها.

ويبدو أن هذه البرامج العجيبة والتصاميم الرائعة قد وضعها الله سبحانه بشكل مسبق في تكوين دماغ الإنسان وما ينطلق منه من أعصاب تحرك عضلات الوجه لتفصح بوضوح عما استكن في النفس الإنسانية من مشاعر وانفعالات.

فسبحان من ركب عضلات وجه الإنسان تركيبًا هندسياً عجيبًا معجزاً لتعبر عن الأحوال والمشاعر والانفعالات المختلفة التي تساور النفس، كأن ملامح الوجه لغة مرئية واضحة كما أسفلنا.

ولذا فإن التفكر في هذه الناحية العجيبة من تكوين وجه الإنسان يكشف عن ملامح الإعجاز العلمي، فترى هندسة وجه الإنسان من آيات الله الباهرة في خلق الإنسان.

ومن أبلغ ما يراه المرء في هذه الناحية العجيبة من خلق الإنسان وجوه الأطفال، فما في أنفسهم من صفاء وطهر وبراءة ينعكس على وجوههم وعيونهم بشكل يستهوي النفوس جماله،

أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقا

سبحان من ركب عضلات الوجه تركيباً هندسياً معجزاً كأن ملامح الوجه لغة مرئية

بحيث لا يملك الناظر إليهم إلا أن يلتفت إلى ربه جل شأنه يسبحه ويقدسه.

وهذه البراءة والطهر والصفاء هي المنحة الأولى التي منحها الله سبحانه للنفس الإنسانية، والمطلوب من الإنسان إذا اكتمل ذكاؤه واستلم أمانته، أن يزيدها زكاة وطهرًا وكمالًا بمسعاه وسيره ضمن سنن الكمال التي سنها الله تعالى، لا أن يدنسها في ما يدنسها ويزري بها، فهو المخلوق الوحيد الذي يملك حرية الاختيار، فيوجه نفسه الوجهة التي يختارها ويريدها، قال ربنا سبحانه ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: ٧-١٠).

مزيد من التتبع والتأمل

ولكي تتضح ملامح الإعجاز والإبداع في هذه الناحية العلمية الرائعة، دعنا نتفكر بامرئ قد غضب لتوه، فكيف اتخذت خمس وخمسون عضلة في وجهه درجات مختلفة من الانقباض والانبساط في نفس الوقت لتعبر بجلاء عما استكن في نفسه من مشاعر الغضب، إضافة لما يتوارد على وجهه من الدماء التي تجعله يحمر وينتفخ، ومن وراء ذلك مفرزات هرمونات الشدة مثل الأدرينالين والنورابيفرين التي تسرع نبض القلب وتؤثر على الدورة الدموية بشكل يتناسب مع انفعال الغضب، ولهذه الأمور تفصيلات كثيرة نتجاوز عنها، فلنتأمل سوية في هذه الحادثة العجيبة، أن كل عضلة من العضلات الخمس والخمسين في وجه الشخص الغاضب تأتيها سيالة عصبية تحركها بالمقدار اللازم بالضبط سواء أكان ذلك انقباضًا أو انبساطًا، وبما يتناسب مع شدة هذه السيالات العصبية التي ما هي في حقيقتها إلا تيارات الكترونية موجهة بضبط تام ومقادير دقيقة لتتخذ تلك العضلات هيئة تفصح عن الغضب بوضوح تام، وتجري كل هذه الأحداث المعقدة المتعددة بسرعة متناهية وفي أجزاء من الثانية دون علم الإنسان الغاضب أو وعيه، وليس له ادنى تدخل أو إرادة أو فعل لإتمام هذا الأمر أو للسيطرة عليه.. إنها حقًا ليست إرادته ولا فعله بل هي إرادة خالقه العظيم ومدبر شؤونه الحكيم، ولا يملك هو من ذلك شيئًا.

ولنا أيضًا أن نناقش حالة الحزن والخوف والكآبة والفرح والدهشة وغير ذلك من الانفعالات والمشاعر بنفس الطريقة الآنفة الذكر، لنرى كم أن هذه الناحية في الإنسان تدل على عظمة في التصميم وإعجاز علمي كبير، فما هذه البرامج العجيبة التي توفق بين الأحوال النفسية المختلفة والمتغيرة وما يظهر على الوجه من تعابير تدل عليها وتصورها بدقة ووضوح، وكأن هذه الأحوال التي تطرأ على النفس الإنسانية بمختلف أشكالها قد وضع لها الخلاق العظيم برامج حاسوبية، وأودعها في دماغ كل إنسان، فإذا غضب جرى تفعيل البرنامج الحاسوبي الخاص بالغضب في الدماغ، فانطلقت التعليمات من ذلك البرنامج سارية في الأعصاب الموجهة إلى الوجه لتتخذ شكلًا غاضبًا، كما انطلقت تعليمات أخرى إلى القلب والدورة الدموية والهرمونات لتوافق مع انفعال الغضب الجديد.

وإذا هدأ انفعال الغضب تغيرت الأمور وجرى تفعيل برنامج آخر ليعطي ملامح جديدة للوجه، وتعليمات أخرى للقلب والهرمونات.

وإذا خاف امرؤ تفعل البرنامج الحاسوبي للخوف، فجاءت تعليمات البرنامج من الدماغ سارية في أعصاب الوجه لتعطيه ملامح تصور الخوف، كما توجهت تعليمات أخرى إلى الدورة الدموية والهرمونات للتوافق مع هذا الانفعال الجديد، فيصفر الوجه ويزداد نبض القلب، ويظهر انفعال جديد يترافق مع انفعال الخوف يجعل الإنسان يتخذ مواقف دفاع أو هجوم أو هرب طالبًا السلامة مما أثار الخوف، وهكذا، فإذا ناقشنا هذه البرامج الحاسوبية العجيبة، أفلا نتساءل بعد ذلك، من هو الذي صممها وأبدعها ووضع لها الاتصالات المختلفة لتحدث مثل هذه الآثار العجيبة؟! وكذلك.. من يتولى

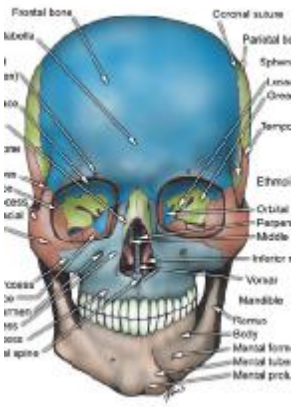

تشغيل وتفعيل هذه البرامج كل في وقته وبما يتناسب مع حالة الإنسان وانفعالاته؟!

حقًا إن عظمة تكوين الإنسان لَتتحدى لعقول أعظم العلماء، فلا يسعهم إلا أن يقفوا أمامها مبهورين خاشعين لعظمة مبدعها وخالقها العظيم جل شأنه الذي أبدع كل هذه البرامج المنظمة المقصودة، والتي تجعل وجه الإنسان مرآة تعكس جلال وعظمة مبدعه ومصوره.

مسك الختام

وخلاصة القول، إن وجه الإنسان آية عظيمة من آيات الله الباهرة، وقد خلقه ربنا عز وجل خلقًا معجزًا ليكون مرآة لنفس الإنسان تعكس أحوالها بجلاء وصدق، وتنطق بلغة مرئية عما استكن فيها من المنطويات دون وعي من الإنسان ولا إرادة، ولا يملك الإنسان من ذلك شيئًا.

وكم لله عز وجل من آيات باهرة في خلق الإنسان والكون من حوله، وإن تفكر ساعة خير من عبادة ستين عامًا كما أثر عن رسول الله ﷺ.

فاللهم اجعل سريرتنا خيرًا من علانيتنا، واجعل علانيتنا خيرًا.

القُرآنُ وَصناعة إرَادَة الإنسَان

د. عبدالكريم حامدي

لقد استوقفني هذا الموضوع وأنا أطالع افتتاحية مجلّة الوعي الإسلامي في أحد أعدادها الأخيرة، حيث أشار رئيس التّحرير، إلى أهمية الإرادة في صنع مستقبل الإنسانية عامة والمسلمين خاصّة، فعزمت على تحرير مقال في هذا الشأن يبرز مفهوم الإرادة، وما علق بها من مفاهيم خاطئة أدّت بالمسلمين إلى الجدال العقيم، والصّراع الفلسفي المقيت، والتّنابز بالألقاب المهين، الذي أعاق العقل عن التّفكير وأغلق باب الإبداع، وقيّد العزائم وثبّطها عن النّهوض، بتفسيرات خاطئة للإرادة الإنسانية ومُنافية لروح الشّريعة وتعاليم الدّين.

ولا يمكن أبدا أن نفهم أصول الدّين ومتعلّقاته الفكرية والعملية إلا في ضوء معاني القرآن المحكمة الواضحة، وتفاسير الصّحابة والتابعين، بعيدا عن التّيارات المذهبية التي فلسفت النُّصوص بتأويلات غريبة أدّت بالعقول إلى التّيه في مسالك وهمية وخيالات مصطنعة، أربكت المجتمع المسلم في عصور الانحطاط، وأضلّته عن سواء السّبيل، فاستسلم للجهل والفقر والظلم والتعسّف والبطش؛ بدعوى أن لا إرادة ولا قوّة على التغيير.

معنى الإرادة: جاء معنى الإرادة في المعاجم اللغوية دالا على العزم والنية والتوجُّه نحو الفعل والعمل، فهو انبعاث قلبي جادّ يشحن عزيمة الإنسَان على ترجمة أفكاره وخططه والانتقال بها من مجرَّد النية والفكرة إلى الفعل والعمل والسّلوك.

أنواع الإرادة: بالرُّجوع إلى القرآن الكريم واستقراء مفردات الإرادة في ضوء آياته، نجد أنَّ القرآن، يتحدث عن نوعين من أنواع الإرادة، هما: الإرادة الإلهية، والإرادة الإنسانية.

الإرادة الإلهية: ونعني بها مشيئة الله تعالى في تصرُّفاته، وهي قسمان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

النصوص المفسرة بتأويلات غريبة أدت بالعقول إلى التيه في مسالك وهمية وخيالات مصطنعة

فالإرادة الكونية هي المشيئة الشّاملة لجميع الموجودات، التي تحكم الخلق والكون، وتسير عالم الإنسان والحيوان والنّبات والجماد، وسائر العوالم ما خفي منها وما ظهر، ما عظم منها وما صغر، بما يحقق الغاية من الوجود والحكمة من الخلق.

وقد دلّت على هذه الإرادة نصوص قرآنية كثيرة، كقوله تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ (الأنعام: ١٢٥) وقوله ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ (هود: ٣٤) وقوله ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ (البقرة: ٢٥٣) وقوله ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله﴾ (الكهف: ٣٩).

وهذه الإرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الخلق أو الكائنات، فكلّ الحوادث الكونية العلوية والسّفلية داخلة تحت أمره ومراده ومشيئته سبحانه وتعالى، ويشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل جنّته وأهل ناره. وهذه الإرادة لا يتخلّف مرادها قط، ولا خيرة لأحد معها قط، وهي إرادته تعالى في الإيجاد والإعدام، والتوفيق والخذلان، والعطاء والمنع .

أما الإرادة الشّرعية فهي التي تتضمّن المحبة والرِّضى، وقد دلّت عليها نصوص كثيرة، كقوله ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ (المائدة: ٦) وقوله ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾ (النساء: ٢٦) وقوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ (الأحزاب: ٣٣) فهذه النّصوص وأمثالها تشير إلى هذا النوع من الإرادة الإلهية، وأنه سبحانه لا يحب لعباده الذنوب والمعاصي، ولا الضلال والكفر، ولا العسر والضِّيق، ولا يأمر بها ولا يرضاها، وإن كان الله تعالى شاءها خلقا وإيجادا، بل يريد لعباده ويحب لهم الطهر، واليسر، والتوبة والهداية إلى أقوم السّنن وأحسن السّبل.

وهنا يجب التنبيه إلى أمر بمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعترض من لم يحط علما بها كما يقول ابن القيم -رحمه الله- وهو أنّ إرادة الله

أستاذ الفقه المقارن في الجزائر

تعالى ومشيئته تتعلق بأمره الكوني والشرعي معا، فالله تعالى خلق الخير وهو يحبه، وخلق الشرَّ وهو يبغضه، وخلق الإيمان وهو يحبه ويرضاه لعباده، وخلق الكفر ولا يحبه ولايرضاه لعباده، كما خلق المؤمنين وأولياء الصالحين وهو يحبّهم ويتقرَّب منهم، وخلق الشياطين وأعوانهم وهو يبغضهم ويمقتهم، فمشيئته سبحانه شاملة لكلّ ذلك، غير أنَّ ما وُجد من الكفر والفسوق والعصيان تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ورضاه ولا أمره الديني، وما وُجد من الإيمان والطاعة تعلّقت به المشيئة والمحبة والرضا جميعا، قال تعالى ﴿ولا يرْضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ (الزمر: ٧)، وقال ﴿والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥)

الإرادة الإنسانية:

هذا النوع الثاني من الإرادة، يتعلَّق بمشيئة الإنسان في الفعل وعدم الفعل، في الحركة والسّكون، في الإقدام والإحجام، في البذل والعطاء وفي البخل والشحّ، في الجدّ والاجتهاد وفي الكسل والعجز والخمول، في الكفر والإيمان، في الطاعة والعصيان، في التفكير والاختراع والإبداع وفي التقليد والجمود، في الحرية والانعتاق وفي التبعية والانهزام.

حرِّية إرادة الإنْسان:

الإنسان حرّ في إرادته وتصرّفاته، وقد ضلّت فرقة من المسلمين قديما لما ادَّعت أن الإنسان لا إرادة له، وأنه كالرِّيشة في مهب الريح في حين ذهب المحقّقون من السَّلف والخلف إلى أنَّ الإنسان حرٌّ مختار، لا جبر عليه ولا سلطان، يفعل ما يريد؛ للأدلة الآتية ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس: ٧-١٠) أي أنَّ الله تعالى خلق النفس مسوَّاة ومعتدلة قابلة للتقوى والفجور، ومستعدَّة للخير والشّر، والله تعالى زوَّد الإنسان بالعقل الذي يميز بين الحقِّ والباطل في العقائد، وبين الخير والشرِّ في الأفعال، وأعطاه القدرة على الاختيار والتفضيل والترجيح والتمييز بين الضّار والنافع والصّالح والطالح. وقال سبحانه ﴿إنا هديناه السّبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ (الإنسان: ٣) أي هديناه وأرشدناه إلى طريقي الهدى والضلال، والحقّ والباطل، والخير والشر، وأعطيناه وسائل الإدراك والتمييز بين مختلف السّبل ليختار ما شاء له من ذلك دون إكراه ولا قسر ولا جبر. وقال ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت: ٤٦) ففي الآية إسناد العمل الصالح والعمل السيئ إلى الإنسان وحده دون سلطان آخر يأمره أو يجبره على الفعل أو عدمه، وفي الآية إشارة إلى أنَّ الله عادل لا يظلم الناس، فلو أجبرهم وعاقبهم على ذلك من غير حرية واختيار لكان ذلك ظلما لهم. ويقول ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (الشورى: ٣٠) فالنَّص

صريح الدلالة على أنَّ أخطاء الإنسان وما يقع فيه من شرور ومفاسد مختلفة هي من كسْب نفسه، ومن صناعة يده، ويؤكّد ذلك قوله ﴿ظهر الفسَاد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: ٤١) فالمفاسد الواقعة في المجتمع من ظلم، وبطش، وقهر واستبداد، وجرائم مالية واقتصادية، وعدوان على القيم والأعراض والأنفس هي من صنع الإنسان وكسْبه .

إنَّ القول بأنَّ الإنسان مجبور على أفعاله وتصرّفاته وأنه مسْلوب الإرادة، يتنافى مع ما صرَّحت به النّصوص القرآنية، كما أنه لا يتَّفق مع قانون العقاب والجزاء، إذ من المعلوم أنَّ المرء لا يعاقب إلا على ما جنت يداه واقترفت جوارحه، ومن ثم اتفقت كلمة الفقهاء على أنّ المكرَه لا يؤاخذ على تصرفاته تحت الإكراه؛ لقوله ﷺ «رفع عن أمتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرهوا عليه» فالمكرَه لما كان مسلوب الإرادة، خرج من دائرة التجريم والعقاب، وهذا القانون عام في التَّصرّفات والتكاليف الشرعية والمدنية. فكيف يستقيم القول أنّ الإنسان لا إرادة له على تصرّفاته في الدنيا، وأنه يعاقب عليها يوم القيامة؟

واسمع إلى كلمة الإمام الشعراوي، إذ يقول «الإسلام لا يريد قوالب تخضع، ولكنه يريد قلوبا تخشع، والقوة التي تفرض إنما تتحكم في القالب فقط، ولكنها لا تتحكَّم في القلب أبدا، فمن الممكن أن نكره إنسانا على عمل يعمله، وأن نجبره على أن يقوم بذلك العمل بقالبه وحركته وعضلاته، ولكن ليس من الممكن أن نقنع قلبه أن يعتقد شيئا؛ لأن العقيدة هي الشيء الذي لا يمكن الإكراه عليه».

أي أن الإكراه قد يكون على أفعال الجوارح الخارجية، وهذا أمر ممكن وإن كان الإسلام لا يرغب فيه ولا يأمر به إلا إذا كان لمصلحة كإجبار المدين على سداد الدَّين، أما

الإكـراه على أفعـال القلوب فهذا غير ممكن أبدا.

إنَّ القول بحرّية الإرادة هو الـذي يتّفق مع قـانون الخلق والإيـجـاد، ومقـاصـد الحيـاة، القائمة على العبادة والخلافة، فالعبادة غاية الخلق في قوله ﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) ولا تتحقّق هذه الغاية على أكمل وجْه إلا إذا كان الإنسان حرّا في تصرّفاته القولية والفعلية، كما أنَّ الخلافة غاية أخرى ثابتة في قوله تعالى ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (الأنـعـام: ١٦٥) ولا يمكن أن تقـوم وتتحقّق أهـدافها ومقاصدها إلا بحرّية العقل والتـفـكـيـر، وحـرّيـة العـمـل والإرادة.

علاقة العلم الإلهي بالإرادة الإنسانية: وقد ظنّ البعض من ضعَاف الإرادة أنّ أفعال الإنسان وتصرُّفاته محكومة النتائج والعواقب، لا قبَل له بتغييرها أو تبديلها، ولا طاقة له على مقارعتها وتجاوزها، مستـدلـين بـظـواهـر بعض النّصوص، كقوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير﴾ (الحديد: ٢٢). فهم يفهمون من الآية أنّ كلّ شيء قد كتب وقدِّر في اللوح المحفوظ، فما الفائدة حينئذ من العمل، وما جدوى التنافس والتسَابق ما دامت النتائج محسُومة مسبقا وأزلا؟!

مقوِّمات الإرَادة: إذا كانت الإرادة هي سرّ النَّجاح ومصدر القوَّة والتفوُّق والسُّلطان، وأنَّ ضعفها هو مصدر الضعف والشقاء والهزيمة، فكيف تصنع تلك الإرادة، وما السَّبيل إلى تقويتها؟

أوَّلا: الإيمان بالله: إنّ الإيمان بالله تعالى وتوحيده حقَّ التوحيد، هو أكبر رافد لصناعة الإرادة وتحريرها من الشّك والوهم والخوف الذي تصنعه الأفكار الخرافية، والحلول الجاهزة، والنتائج المسبقة، التي تقيِّد الإنسان وتكبِّل انطلاقته نحو العمل. والإيمان هو الذي يبعث الإرادة من سباتها، ويوقظها من غفلتها، ويحرِّرها من قيودها، ويحرِّكها نحو التفاعل بإيجابية ومعقولية مع معطيات الواقع. والإيمان هو الذي يبعث روح العمل في جسَد الأمة فتكون الانطلاقة والنَّهضة والنَّصر المادِّي والمعنوي.

ولنا في القرآن الكريم نماذج من أولي العزم والإيمان الذين صنعوا بالإرادة ما عجزت عنه القوَّة المادية والعددية، قال تعالى ﴿إنَّ إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ (النحل: ١٢١) لقد كان إبراهيم- عليه السّلام- فردا، لكنه كان أمَّة من جهة القوَّة والإرادة، بفضل الإيمان والتوحيد والحنيفية التي مكَّنته من التفوّق والانتصار.

ثانيا: العلم الدَّقيق: لا يشك أحد ولا يماري إلا جاهل أو جهول في كون العلم هو سرّ نجاح الأمم والشّعوب، وأنه مصدر نهضتها وعزِّها، وهذا مشهود له على مرِّ الزمن والتاريخ، فهو حقيقة مسلَّمة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، ومن يطلب ذلك كمن يجادل في طلوع الشمس في رابعة النهار، فكيف تتقوَّى الإرادة بالعلم؟

ثالثا: العمل: إذا توفّرت الإرادة المبنية على الإيمان الصَّحيح والعلم الدّقيق، فإنها تحتاج إلى شيء آخر لتنتج آثارها وثمارها في النّفس والمجتمع؛ ذلك أنَّ النّهضة التي تستلزم النَّصر لا تتولّد من تلقاء نفسها، ولا تنشأ من ذوي العزائم الخائرة والنّفوس العليلة، ولا تأتي قدرا من غير جهد وعمل، ولا تُوهب إلينا كما توهب الصَّدقات، ولا تنال بالتسوّل والطَّلب، ولا يأخذها العاجزون الغارقون في الملذَّات والشَّهوات، ولا تُكتسب بالأموال والثروات من غير جهد ولا كدّ، بل تُولد بالعمل والسَّعي الدؤوب، من ذوي الهمم والإرادات الجادّة الصَّادقة، التي تقتحم الصِّعاب والعقبات، كما قال تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة﴾ (البلد:١١).

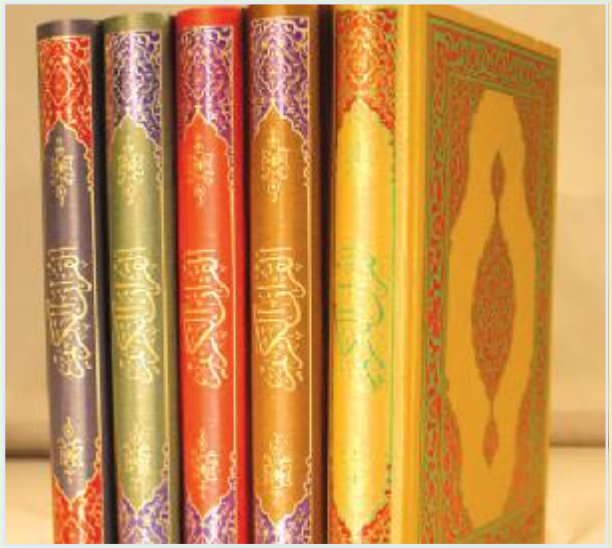

والنصوص حافلة باتخاذ الأسباب في مختلف شؤون الحياة الدينية والدنيوية، يقول تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ (النور: ٥٥) إنَّ الاستخلاف في الأرض والتَّمكين له وذهاب ما تلاقيه الأمة اليوم من خوْف مرهونٌ بالإيمان الصحيح، والعبادة المستقيمة والعمل الصالح، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لغة وأدب

الإرث المهجور

قد لا تذكر بالتحديد عدد المرات التي وقعت عينك فيها على اسم الأديب الإنجليزي وليم شكسبير أو الأميركي إرنست همنجواي أو الروسي ليو تولستوي أو الفرنسي فكتور هوجو- وأنت تقرأ في النصوص الأدبية أو النقدية أو التاريخية.

وهذا ليس بالأمر المعيب، بل هو مما يفسح في أفق الأديب الثقافي، ويثري تجربته الإنسانية، غير أن المعيب حقا هو أن تغيب عنا نحن المشتغلين بالحقل الأدبي الإسلامي في العالم العربي معظم آداب الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية، إلى الحد الذي تفتقر فيه ذاكرة القارئ لأي اسم ينتمي لتلك اللغات الشقيقة.

فما أظن كثيرا منا قد وقف على أسماء أدباء دول إسلامية كبرى كإندنيسيا وماليزيا وبنجلاديش، ناهيك عن دول مثل نيجيريا والسنغال وبوركينا فاسو!

إنها لمفارقة حقا أن يكون الأبعدون روحا وثقافة ووجدانا أقرب إلينا من الأدنين!

لقد أحسن الأديبان العربيان الراحلان عبدالوهاب عزام وعمر بهاء الدين الأميري إلى العربية وقرائها حين أخرجا أدب شاعر الإسلام محمد إقبال من غياهب العجمة إلى أنوار العربية الشريفة، مما أوقفنا على أدب غاية في عمق الفكرة وجمال الصورة.

وإننا من هذا المنبر الأدبي في «الوعي الإسلامي» لندعو إلى مشروع أدبي موسوعي ينقل لرحاب العربية أعمال عمالقة الأدب الإسلامي من كل الألسن والفجاج.

المحرر

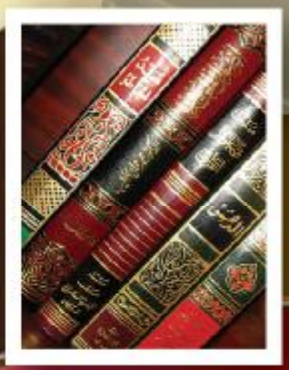

الألفاظ الغربية خطر يهدد اللغة العربية

فاروق الدسوقي

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة غير صحية بين بعض معدي ومقدمي البرامج في القنوات المحلية والفضائية، وهي الاستعانة بأفكار وألفاظ البرامج الأجنبية، واستخدام الألفاظ الأجنبية كعناوين لهذه البرامج.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعمد بعض مقدمي هذه البرامج أن يتفوهوا بتلك الألفاظ الغريبة عن لغة القرآن الكريم، واللغة الأولى في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أثناء إدارتهم للحديث، أو قراءتهم لمفردات الموضوع، متجاهلين اللغة العربية التي يجب أن تكون أصل كل ما يقدم عبر هذه الفضائيات.

على الرغم من الصعوبات التي واجهتها اللغة العربية، حتى وصلت إلى العالمية واعترفت بها الأمم المتحدة كلغة دولية، فإن استخدام الألفاظ الغربية في الفضائيات العربية خطر يهددها، بل إنه يدخل عليها كلمات وألفاظًا ليست بالعربية، مما قد يتسبب في ضياع تلك الثروة الكبيرة في معانيها وبلاغتها ومضامينها.

ويؤكد د.علي صبح- عميد كلية اللغة العربية الأسبق- أن استخدام الألفاظ الغربية في الفضائيات العربية ظاهرة من أخطر ألوان الغزو الفكري المعاصر، ويقول: إنه غزو ثقافي أعدته جهات معروفة بعدائها الشديد للإسلام ولغته العربية، للقضاء على لغة القرآن الكريم، لأنها لغة التراث العربي والإسلامي، كما أنها تمثل أهم ملامح الحضارة الإسلامية.

إن اللغة العربية ثرية، وتحمل قيمًا وأخلاقًا إسلامية تبني أعظم الحضارات، لذا.. فأعداء الإسلام يخشون منها علي حضارتهم الزائفة، فأخذوا يحاربونها بهذا الشكل لغزوها، لاسيما أن هناك بعض الفضائيات التي تم استغلالها- عن سوء قصد أو تعمد- لتنفيذ تلك المخططات التي تستهدف النيل من الإسلام عن طريق لغة القرآن الكريم، وتدميرها وهي أصل الحضارة الإسلامية.

مغريات تتفتح لها القلوب

ويحذر د.علي صبح من أن بعض الفضائيات تأثرت بإعداد برامج غريبة المسميات، قلدوا فيها الغرب، حتى في الأضواء التي تستخدم في البرامج، والرقصات التي يفتتن بها الشباب، وكذلك الكثير من ألوان المغريات التي تتفتح لها قلوبهم، ومن خلال ذلك يختارون عناوين لهذه البرامج بلغات أجنبية وإن كانت مكتوبة بالعربية، وهي كارثة كبيرة، إضافة إلى أنه أثناء إدارتهم للحوار يعرضون البرنامج بلغة عربية هزيلة مبتذلة ساقطة، دون اللغة العامية المعروفة عند بعض شعوب المجتمعات العربية، والتي ينبغي علينا أن نحاربها أيضا.

بل إنهم يستخدمون مع بعض الكلمات العربية أخرى أجنبية منطوقة بلغة العرب، ومن هنا فواجب المسلمين أن يتصدوا لهذا الغزو المدمر، لأن الغرض منه تفريغ الحقل اللغوي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ووضع هذا الحقل المدمر ليتفاعل مع الناس، فإذا ما رجعوا إلى لغتهم الصحيحة يجدون أنفسهم لا يفهمون منها شيئًا، مما يعني أنهم لا يفهمون كتاب الله، ولا لغة تراثهم العربي والإسلامي، وعند ذلك يتأثرون بقيم الغرب، ومن ثم قد يصبح الواحد منهم من أعداء الإسلام، بل من أشد أعدائه، لأنه عدو يعيش بين المسلمين، وهذا مكمن الخطر.

ويعود د.صبح ليؤكد على أهمية التصدي لهذا الغزو المدمر، لأنه ليس حربًا ضد اللغة العربية فقط، إنما هو حرب ضد الإسلام وأمة المسلمين، فلابد من قيام حملة قوية لتوجيه القائمين على هذه البرامج، حتى يعرف أعداء الإسلام أننا متيقظون لهم ولما

صحافي في جريدة المصري اليوم

يفكرون ويسعون لتحقيقه، كما يجب علينا إتقان اللغة العربية، عند ذلك لا يجدون بيننا من ينبهر ببرامجهم وأضوائهم، أو بلغتهم الهزيلة.

ويرى د.عبدالفتاح البركاوي- أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر- أن استخدام الألفاظ الأجنبية جريمة لا تغتفر في حق اللغة العربية وفي حق الدين الإسلامي، وتبرؤ لا مبرر له من اللسان الذي نشأ عليه الإنسان العربي وتربى عليه، وهي طريقة سيئة لم نعهدها من أبناء اللغات الأخرى الناطقة بغير العربية، ففي فرنسا- على سبيل المثال- توجد قوانين تجرم النطق أو استخدام عناوين بغير الفرنسية، أما في بعض الدول العربية فيعتبرونها وسيلة من وسائل الفخر والتمدن، لذلك فإن هناك ضرورة لوضع قوانين تحفظ للسان العربي بهاءه ورونقه، وتضع العقوبات المناسبة للخارجين عليه.

تهاون مرفوض

ويضيف د.البركاوي أن اللغة العربية جزء من العقيدة الإسلامية، كما أن رقي عقيدة الفرد والمجتمع العربي الإسلامي مرهون برقي اللغة العربية وسمو تعبيرها، بل إن اللغة جزء من شخصية الأمة وكيانها، إذا ما تهاون الناس فيه ضعفت شخصيتهم وذابت في شخصيات الآخرين، ومن

لا توجد لغة على مستوى العالم فرط فيها أصحابها كما فعلنا نحن العرب

العجيب أنه لا توجد لغة على مستوى العالم فرط فيها أصحابها كما فعلنا نحن العرب! فالدول الأوروبية تعتز بلغتها ولا تتحدث بغيرها، ولعل من أهم أسباب إيثار بعض العرب لغة غير لغتهم يرجع إلى أن بعض اللغات قد صارت عالمية، ولا حجة لهم الآن وقد أصبحت لغتنا العربية لغة عالمية يُتحدث بها في جميع المحافل الدولية وعبر الوسائل الإعلامية العالمية المختلفة، كما أن علماء اللغات يقولون إنه لا مانع من تعلم لغات أخرى بشرط أن تكون متعلمًا ومتمكنًا من لغتك الأصلية إلى درجة فقهها، ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين يستخدمون أسماء غربية لأبنائهم ومحلاتهم جريا وراء ما يسمى بالحضارة الغربية وتقليدًا أعمى للآخرين، وهم بهذا يفقدون هويتهم، ويتجاوزون أمر دينهم.

وحتى نقضي على هذه الظاهرة لابد من وضع خطط للتعاون مع وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وذلك لبث حملة إعلانية قوية تبصر الناس بخطورة ما يصنعون، وتؤكد لهم أن من الانتماء لدينهم ووطنهم أن يجعلوا الأسماء العربية هي الأصل في جميع تعاملاتهم.

سمات وخصائص

ويقول د.مبروك عطية أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر- إن الأمة العربية والإسلامية لها سماتها الخاصة بها، ولكل شعب من الشعوب سماته الخاصة به أيضا، وقد تناقل الناس قولا عزيزا في مضمونه، حيث قيل «إن العرب حضارتهم في لسانهم»، والمراد باللسان هو اللغة العربية، وهي من أنفس ما ورثناه عن أسلافنا، وقد بلغ اعتزاز العرب بها قديما مبلغا عظيما، ونصبوا لها الأسواق، وقدروا المجيدين الذين برعوا في نظم الشعر ومأثور الخطب والأمثال والحكم، وحين أشرق فجر الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كان شرفا للعربية وأهلها نزول الذكر الحكيم قرآنا عربيا غير ذي عوج، وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية، فما ألفت الكتب والمقالات إلا خدمة لهذا الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا كان لزامًا على العرب أن يعتزوا باللغة العربية، وأن يتمسكوا بأساليبها.

حضارة مشرقة

وتوقف د.عطية أمام تساؤل مهم بقوله: ماذا على الإعلام العربي لو أدار وجهه وتردد في الحفاظ على الذات؟ ولم يصبح ممثلا لطبيعة أمته، وتاريخ حضارة تفجر نورها في مشارق الأرض ومغاربها؟.

أما د.عبدالغفار هلال- عميد كلية اللغة العربية الأسبق- فيؤكد أن واجب كل عربي ومسلم أن يلتزم باللغة العربية في كلامه ومختلف تعاملاته اليومية، لأن اللغة العربية هي أساس الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، ومن يلتزم بها فإنما يعبر عن انتمائه، فكل شعوب العالم تعتز بلغتها وتتمسك بها وتتعصب لها. فهناك في فرنسا الجمعية الوطنية الفرنسية التي تمنع أن يتكلم أحد أو يكتب بغير الفرنسية، أو أن يضيف ما هو ليس من اللغة الفرنسية عليها، ويعاقب القانون- الذي وضعته هذه الجمعية- كل من يزيد شيئًا ليس من اللغة الفرنسية، كذلك تركيا التي تدعي أن اللغة التركية هي أصل لغات العالم، بل واشتقت منها جميع اللغات، ورغم أن هذا الكلام ليس صحيحا، فإنه نتيجة لشدة تعصبها واعتزازها بلغتها.

إساءة وتشويه وإفساد

ويطالب د.هلال الأمة العربية والإسلامية بالالتزام باللغة العربية، وأن يحافظوا عليها من أي ألفاظ أجنبية دخيلة أو أي تغيير غير عربي، لأن دخول أي مفردة غير عربية عليها يتسبب في الإساءة إليها، بل إنه يشوهها ويفسدها.

صور من الدعوة إلى السلم في الأدب الإسلامي

عبداللطيف خروبة

الأدب الإسلامي يدعو إلى السلم والتصالح ونبذ الحروب والعنف، مهما كانت درجتهما وقوتهما ووسائلهما، وسواء كانت بين المسلمين أو بين غيرهم. فمنذ أن نزل الإسلام رفع الأدباء المسلمون راية السلم، ونادوا بأصواتهم المدوية المتحاربين إلى طرح السلاح، واللجوء إلى التحاور والتفاوض، وكيف لا يكونون كذلك، والقرآن الكريم قد دعا إلى السلم ونبذ الحرب والأعراف الجاهلية القائمة على العصبية القبلية التي طالما أدت إلى معارك طاحنة، والآيات التي تدعو إلى السلم والتصالح كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (الأنفال:٦١).

وما الحرب في عرف الإسلام إلا للضرورة التي تفرض عليه، حتى يرد اعتداءات الآخرين عليه، أو حتى تتوقف الطائفة التي تبدأ الحرب على الأخرى، حين يتعلق الأمر بالمؤمنين، قال تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الحجرات: ٩).

والأحاديث النبوية الشريفة التي وجه فيها النبي ﷺ أمة الإسلام إلى السلم والابتعاد عن الحرب كثيرة، كقوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري)، وقال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (رواه البخاري).

وإن أدب التحية عند المسلمين هو لفظ السلام وإن «السلام» اسم من أسماء الله الحسنى.

كما حذر الإسلام من الفتن التي طالما أدت إلى المعارك التي أتت على الأخضر واليابس، وأفرغ القلوب من القيم السلبية، وملأها بالقيم الإيجابية، فالشجاعة مثلا خلق وقيمة محمودة حين لا تتعدى إلى البطش، والفخر محمود ولكن حين يكون بالحق وليس بالباطل.

ومن صور الدعوة إلى السلم في الأدب الإسلامي مدح النبي ﷺ لاعتبار أن النبي ﷺ جاء داعية إلى السلام العالمي، والحرية والتعايش بين مختلف الأديان والأجناس، «كلكم لآدم وآدم من تراب».

قال حسان بن ثابت يوم أراد الرسول ﷺ أداء العمرة هو والصحابة -رضوان الله عليهم- طالبا من كفار قريش أن يفتحوا الطريق أمام الرسول ﷺ ليعتمر، ومعلنا أنه عليه الصلاة والسلام جاء مسالما غير محارب:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء

إنها دعوة صريحة من الشاعر للسلم ونبذ الحرب، إلا إذا دعت الضرورة لذلك، فالمسلم ليس إنسان حرب، كما يتصوره الكثير من الناس، وكما تصوره الثقافات الأخرى. وفي السيرة النبوية عدد كبير من المواقف الدالة على ميل النبي ﷺ إلى السلم ورفض الحرب، وكثيرا ما كان كبار الصحابة يتنقلون من غير سلاح، يقول حسان بن ثابت مادحا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين رآه أعزل من السلاح وهو مسافر على رأس الركب:

فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم
وصاحب الركب عثمان بن عفانا

وهذا الشاعر علي محمود طه يتحدث عن فاتح السنة الهجرية، ويعتبر هذا الحدث العظيم بداية لتحقق السلم في العالم منذ القديم:

غن بالهجرة عاما بعد عام
وادع للحق وبشر بالسلام

فالإسلام، في نظره بهذا الحدث (أي الهجرة)، سبّاق إلى السلم وليست الأمم الحديثة، ويبشر بالسلام الحقيقي الذي سيتحقق مستقبلا.

واجمعي أمرك لليوم الذي
يحمل البشرى لعشاق السلام

إن السلام الحقيقي هو ما جاء به النبي محمد ﷺ، فهو الذي أنقذ العالم من الضياع والرعب، وخلصه من التقاتل والصراع، يقول نجيب الكيلاني في مدح النبي ﷺ:

شاعر مغربي

فأنت دليل الهدى والتقى
لعالمنا التائه الأسود
وأنت الإمام، وأنت السلام
لكوكبنا الضائع المرعد

ولم يفتر الأدباء عن الدعوة إلى السلم الحقيقي، وليس كما تدعيه أمم الغرب التي تحارب أمم الشرق الضعيف، ونالت من خيراتها، وحضارتها، وسلطت عليها كل أصناف الأسلحة الفتاكة.

يقول محمد العشماوي:

لغة الحضارة أصبحت في عصرنا
قصفا تموت على صداه لغات
لغة تصوغ القاذفات حروفها
وبعنفها تتحدث العربات

فأي حضارة وأي سلم يتحقق والشيوخ والعجزة والأطفال والعزل من أي سلاح صاروا أهدافا لسلاح جو الدول الغربية القوية؟!

أين الحضارة أيها الغرب الذي
جعل الحضارة جمرة ودخانا؟

وفي نفس الوقت يُعلن للعالم أن المسلمين ليسوا من دعاة الحرب، ولكن الواقع العربي عامة والفلسطيني خاصة دفعهم إليها دفعا، فهم مكرهون في خوض غمارها:

ولسنا من دعاة الحرب لكن
رأينا القدس منا في اشتعال
تشب على الأرامل واليتامى
وتقتحم البيوت على العيال

إن السلام، حسب الواقع المعيش، يبدو بعيد المنال، فالعالم يملأه الكذب والخيانة، وروائح الحروب تفوح في كل مكان، وفي مختلف بقاع الأرض، يقول نجيب الكيلاني:

الحب قد هلك
الصدق قد هلك
فكيف تمرح الزهور؟
وكيف يولد السلام؟

فمظاهر الخوف والرعب التي يحياها الناس تقتل السلام، وتقضي على الوئام.

وقريتي تعاقر الألم
يرعشها العواد والظلام.. والبرودة
وهمهمات الذعر في قلب الظلام
الخوف يقتل السلام

وهذا الشاعر حفيظ الدوسري قد آلمه طول المعارك والحروب بين الشعوب، وأفزعه الاضطراب والفوضى اللذان يعيشهما إنسان هذا العصر، فيتساءل عن زمن رحيل ذلك وحلول السلام محله:

هل سيعيش العالم دوما
كالطوفان بلا شطآن؟
أو سيعيش العالم دوما
كالسرطان بلا بركان؟

إن الدعوة إلى السلم اليوم لا تعني التنازل عن الوطن والدين والحقوق لفائدة العدو الصهيوني أو غيره، ولا التخلي عن المقدسات الإسلامية والمسيحية على السواء، فالسلم الحقيقي هو الذي يحقق للكون كله، وللناس كافة السعادة التامة، والأمن الشامل، ولا يفرق بين المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي ومن لا ملة ولا دين له.

ولذلك ربط الأدباء السلم الكوني بتحقق السلم في فلسطين على وجه الخصوص، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، وبحماية الفلسطينيين من اعتداءات الصهاينة الوحشية المتكررة بقول الشاعر جلول دكداك:

يا أمة العجم
لا تحملوا نعشي
لا تقتلوا حلمي
في موسم السلم
ما جئت عندكم إلا لتحموني
من ذلك الوحش

ويعلن دعوته إلى السلم الحقيقي القائم على العفو والحب الصادق، والحلم والتعايش بين الأمم والشعوب:

يا أمة العجم
لا تخطئوا فهمي
وأنا شرعت لكم بوابة السلم
بالعفو بالحلم
بالصدق بالحب
في أمة العرب

ويلفت الأديب المسلم نظر العالم إلى الذين يدعون أنهم يبذلون الجهد من أجل السلام، وهم في الحقيقة لا يزالون يذكون نار الفتنة بين الشعوب المستضعفة، ويشعلون ويؤججون لهيب الحروب في مختلف أنحاء العالم، يقول الشاعر عبدالرحيم لقويشي:

سلام عادل زعموا افتراء
وبعض سلامهم حمم ونار
وبعض سلامهم أسرى وجرحى
وبعض سلامهم قتلى صغار
وكل سلامهم خور وذل
وكل سلامهم خزي ونار

إن النماذج المذكورة تدل على أن موضوع الدعوة إلى السلم حاضر على الدوام في الأدب الإسلامي، فعلى مر العصور كان الأديب المسلم وسيظل رافعا شعار السلام.

أثر البيئة في الشعر

عبدالهادي صافي

هناك في الأدب عوامل كثيرة تؤثر فيه وتوجهه وتحدد مساره، من هذه العوامل مثلا ثقافة الأديب، وجملة المعارف التي يختزنها في فكره وعقله، والعصر الذي يعيش فيه ومؤثراته الكبيرة، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط به، ولكن العامل الأكبر هو العامل الجغرافي والبيئي، أعني عامل المكان الذي نجد تأثيره الكبير في الشعر خاصة.

نقرأ الشعر الجاهلي فنجده قد اعتنى بوصف البيئة والصحراء والإبل والحيوان والأزهار البرية، ونجد الشعراء يقدمون لقصائدهم بمقدمات طللية يطيلون فيها الوقوف على أطلال الديار، ويبكون على الآثار الباقية الدارسة بعدما فارقوها وارتحلوا عنها، وعندما بدأت الحياة في العصر الأموي تتغير بعض الشيء وتتقدم نوعا ما، بدأنا نشعر بأثر هذا التطور في الأدب والحياة، حتى إن زوجة معاوية ميسون حنت الى حياة البادية وسئمت جو القصور فقالت في أبيات لها مشهورة منها:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف

ولما جاء العصر العباسي، وآلت الخلافة لبني العباس، اتصف هذا العصر بالغنى والثراء وبالترف والنعيم، وببناء القصور والحدائق، وتبدلت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فآثر الناس حياة الدعة والهدوء وحياة البذخ والإسراف، فأثر ذلك كله في الأدب والشعر. وقد لاحظ النقاد القدامى أثر تطور البيئة في الشعر، فنجد في كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني شذرات نقدية حول هذه الفكرة، وهي شذرات نقدية بارعة، تحدث عن أثر الإقليم والبلد في تطور الشعر، واختلافه من بلد إلى بلد، ومن مناخ الى آخر، فابن الصحراء يصف المفازة والإبل، أما ابن الحاضرة والمدن فيصف القصور والبساتين والورد والأزهار، ولايذكر الإبل إنما يصف الخيل، وينعي على الشعراء ويتهكم بهم تهكما مرًا، عندما تشبهوا بشعراء الجاهلية فوصفوا في مقدمات قصائدهم الفلاة وهم لم يشاهدوها، والإبل وهم لا يركبونها، وانما يفعلون ذلك تشبها وتقليدًا، غير أنه يمتدح ويثني على الشعراء الذين يوائمون بين شعرهم وبيئتهم، وينسجمون مع أنفسهم في شعرهم، ويصفون ما يرونه من آثار البيئة من حولهم وتحضرها، لايصفون الخيام لأنهم باتوا يعيشون في بيوت، ولا يقفون على الأطلال لأنهم لا يرتحلون ولا يتنقلون، ولا نجد في قصائدهم ذكرا للديار وآثارها، ولا نجد وصفا للفيافي والرمال، وإننا نجد الشعراء في العصر العباسي يحسون هذا التطور والتغير الذي أصاب بيئتهم وأخذوا يتلاءمون معها ويعيشون أجواءها، ويعبرون عن أثرها في أشعارهم.

يقول ابن رشيق في سياق حديثه عن أثر البيئة في الشعر: «ومقاصد الناس تختلف: فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم، وذكر المياه

ناقد أدبي

للبيئة تأثير واضح في الشعر الجاهلي لكنه يختلف عن تأثيرها في العصر الأموي أو العباسي

التي يلتقون عليها والرياض التي يحلّون بها من خزامى وأقحوان وبها «وظيّان وضوة وعرار...، وأهل الحاضرة يأتون على ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ووصف الورد والنسرين والنيلوفر وما شكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية».

وفحوى كلامه أن البيئة هي التي تحدد للشاعر معانيه واتجاهه والأبواب التي يطرقها في شعره، لذلك قسم الشعر إلى طريقين: طريق أهل البادية وطريق أهل الحاضرة، وكل شاعر يصف واقعه ومحيطه، وإن وصف شاعر غير بيئته فمن باب التشبه والتقليد.

ويقول موضحا نظرية الإقليم أكثر «كانوا قديما أصحاب خيام، ينتقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم (أشعار الجاهلين) بذكر الديار فتلك ديارهم، وليست كأبنية الحاضرة، فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا».

ويعيب على الشعراء المحدثين الذين يقلدون شعر الجاهلية ويصفهم بالكذب «وكانت دوابهم الإبل لكثرتها، وعدم غيرها، وبصبرها على المتاعب وقلة الماء والعلف، ولذلك أيضا خصوها بالذكر دون غيرها، ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب كما يفعل المحدثون».

وفي عصرنا الحديث ذهب الأدباء أبعد من ذلك، فقد أعطوا أثر البيئة في الشعر والأدب أبعادا كبيرة فقسموا الأدب حسب الأقاليم، فقالوا: الأدب المصري والشامي والعراقي، فخرجوا بنظرية في الأدب هي النظرية الإقليمية، وعلى رأس هؤلاء الأدباء أمين الخولي مؤلف كتاب «الأدب المصري» ويعتبر مؤسس هذه النظرية والمدافع الأول عنها، وهو يوضح في كتابه الفروق بين هذه الآداب، ويخص الأدب المصري بالحديث، فللأدب المصري خصائصه وسماته التي يتميز بها عن الأدب الشامي، وهكذا، وقد وجدنا بذور هذه النظرية عند ابن رشيق القيرواني.

وجاء بعده نقاد وأدباء فوضعوا مناهج للدراسة الأدبية، ومن هذه المناهج الدراسة الإقليمية التي تقوم على تقسيم الأدب حسب البلد والاقليم.

ولكن هل صحيح أن أثر البيئة والاقليم قوي الى المستوى الذي يلغي الخصائص الكبرى التي تجمع الأدب العربي، ويقيم هذه الحدود المصطنعة بين الأدب الذي أنشأه أدباء مصريون وبين الأدب الذي أنشأه أدباء سوريون أو عراقيون؟! ألا يتلاقى الأدباء على سمات رئيسية بينهم؟ أليس هناك من حبل متين يشد هذه الآداب؟ ألا تصب هذه الجداول والأنهار أخيرا في محيط الأدب العربي فإذا له خصائص كبرى تصفه وتدل عليه؟!

وهل صحيح- من وجهة نظر نقدية- أن يكون للبيئة أثرها القوي في الشاعر والأديب، بحيث يكون مقلدا ومحاكيا للبيئة، هل يجب أن يحاكي الشاعر- كما يقول أرسطو- الطبيعة في شعره وأدبه؟! وهل حقا يجب على الشاعر أن يصف محيطه وواقعه وصفا واقعيا صادقا؟!

أين إذن ذاتية الشاعر وأين إبداعه؟! وأين ما يضيفه على ذلك الواقع وتلك البيئة؟! شوهد مرة رسام يرسم لوحة فنية لمنظر طبيعي أمامه، سأله أحد المارة: ولكنك يا سيدي، رسمت الطبيعة من حولك وزدت عليها بيتا ليس موجودا فيها، فرد عليه الرسام قائلا: ألا تتمنى أن يكون لك بيت تعيش فيه بين أحضان هذه الطبيعة الخلابة؟!

فالشاعر يضيف الى واقعه ولا ينقله إلينا نقلاً حرفيا، إنه يجمل واقعه ويحسن عناصره، ويعكس عليه نفسيته ونظرته الى الكون والوجود، وبذلك يتغلب على البيئة ويعطيها امتدادا فنيا ليس فيها.

أرجوزة الإمام محمد البشير الإبراهيميّ

هذه أرجوزة بليغةٌ رائقةٌ نظَمَها الشّيخ البشير الإبراهيميّ (رحمه الله) مخاطبًا بعض علماء نجد، وقد تضمّنت ثناءً عاطرًا على دوحة العلم «نَجْد»، وعلى أئمّة الدعوة وسائر عُلماء نجد، ثم ثنّى بالمعاصرين، وعلى رأسهم صديقُه وأخوه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وصاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ (رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آنذاك) رحمهم الله جميعًا. وفيها دلالاتٌ على أنّ الحقّ المتمثّل في تجديد دعوة التوحيد لا يختصّ ببلد، ولا يحصره إقليم، بل هو واسع الأفق زمانًا ومكانًا، كما أنّ هذه المنظومة تحكي سموّ أخلاق الشيخ البشير الإبراهيمي فخْر علماء المغرب العربيّ، وتُنادي بصفاء أجواء الأخوّة التي جمعَت ذلك العالِم القادم من الغرب مع أقرانِه من علماء الشرق، فيا سَقاها الله عهودًا وأزمانًا.

يقول العلاّمة الإبراهيميّ (رحمه الله وأعلى في الدّارين مقامه):

إنّا إذا مَا لَيْلُ نَجْدٍ عَسْعَسَا ... وَغَرّبَتْ هذِي الجَوَارِي خُنّسَا
والصُّبْحُ عَنْ ضِيَائِه تَنْفَسَا ... قُمْنا نُؤَدّي الوَاجِبَ المُقَدّسَا
وَنَقْطَعُ اليَوْمَ نُنَاجِي الطُّرُسَا ... وَنَنْتَجِي بَعْدَ العِشَاءِ مَجْلِسا
مُوَطّدًا عَلَى التُّقَى مُؤَسَّسَا ... فِي شِيخَةٍ حَدِيثُهُمْ يَجْلُو الأَسَى
وَعِلْمُهُمْ غَيْثٌ يُغَادِي الجُلَسَا ... خَلائِقٌ زُهْرٌ تُنِيرُ الغَلَسَا
وَهِمَمٌ غُرٌّ تَعَافُ الدَّنَسَا ... وَذِمَمٌ طُهْرٌ تُجَافِي النَّجَسَا
يُحْيُونَ فِينَا مَالِكًا وَأَنَسَا ... وَالأَحْمَدَيْنِ وَالإِمَامَ المُؤْتَسَا
قَدْ لَبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَهَ مَلْبَسَا ... ضَافَ عَلَى العَقْلِ يَفُوقُ السُّنْدُسَا
فَسَمْتُهُمْ مِنْ سَمْتِهِ قَدْ قُبِسَا ... وَعِلْمُهُمْ مِنْ وَحْيِهِ تَبَجّسَا
بُورِكْتِ يَا أَرْضٌ بِهَا الدِّينُ رَسَا ... وَأَمِنْتِ آثَارُهُ أَنْ تَدْرُسَا
وَالشِّرْكُ فِي كُلِّ البِلادِ عَرّسَا ... جِدْلانَ يَتْلُو كُتْبَهُ مُدَرِّسَا
مُصَاوِلاً مُوَاثِبًا مُفْتَرِسَا ... حَتّى إِذَا مَا جَاءَ جَلْسًا جَلَسَا
مُنْكَمِشًا مُنْخَذِلاً مُقْعَنْسَا ... مُبَصْبِصًا قَدْ قِيلَ لَهُ اخْسَأْ فَخَسَا
شَيْطَانُهُ بَعْدَ العُرَامِ خَنَسَا ... لَمّا رَأَى إِبْلِيسَهُ قَدْ أُبْلِسَا
وَنُكِّسَتْ رَايَاتُهُ فَانْتَكَسَا ... وَقَامَ فِي أَتْبَاعِهِ مُبْتَئِسَا
مُخَافِتًا مِنْ صَوْتِهِ مُحْتَرِسَا ... وَقَالَ إِنّ شَيْخَكُمْ قَدْ يَئِسَا
مِنْ بَلَدٍ فِيهَا الهُدَى قَدْ رَأَسَا ... وَمَعْلَمُ الشِّرْكِ بِهَا قَدْ طُمِسَا
وَمَعْهَدُ العِلْمِ بِهَا قَدْ أُسِّسَا ... وَمَنْهَلُ التّوْحِيدِ فِيهَا انْبَجَسَا
إِنِّي رَأَيْتُ «وَالحِجَى لَنْ يُبْخَسَا» ... شُهْبًا عَلَى آفَاقِهِ وَحَرَسَا
فَطَاوَلُوا الخَلْفَ وَمَدّوا المَرَسَا ... وَجَاذَبُوهُمْ إِنْ أَلاَنُوا المَلْمَسَا
لاَ تَيْأَسُوا، وَإِنْ يَئِسْتُ، فَعَسَى ... أَنْ تَبْلُغُوا بِالحِيلَةِ المُلْتَمَسَا
وَلَبِّسُوا إِنّ أَبَاكُمْ لَبّسَا ... حَتّى يَرَوْا ضَوْءَ النّهَارِ جِنْدِسَا
وَالطّامِيَاتِ الزّاخِرَاتِ يَبَسَا ... وَجَنّدُوا جُنْدًا يَحُوطُ المَحْرَسَا
مَنْ هَمُّهُ فِي اليَوْمِ أَكْلٌ وَكِسَا ... وَهَمُّهُ بِاللّيْلِ خَمْرٌ وَنِسَا
وَفِيهِمُ حَظٌّ لَكُمْ مَا وُكِسَا ... وَمَنْ يَجِدْ تُرْبًا وَمَاءً غَرَسَا
تَجَسّسُوا عَنْهُمْ فَمَنْ تَجَسّسَا ... تَتَبّعَ الخَطْوَ وَأَحْصَى النّفَسَا
تَدَسّسُوا فِيهِمْ فَمَنْ تَدَسّسَا ... دَانَ لَهُ الحَظُّ القَصِيُّ مُسْلِسَا
وَأَوْضِعُوا خِلاَلَهُمْ زَكِىً خَسَا ... وَاخْتَلِسُوا فَمَنْ أَضَاعَ الخُلَسَا
تَلْقَوْنَهُ فِي الأُخْرَيَاتِ مُفْلِسَا ... أَفْدِي بِرُوحِي التّيْهَانَ الشّكِسَا
يَغْدُو بِكُلّ حَمْأَةٍ مُرْتَكِسَا ... وَمَنْ يَرَى المَسْجِدَ فِيهِمْ مَحْبِسَا
وَمَنْ يُدِيلُ بِالأَذَانِ الجَرَسَا ... وَمَنْ يَعُبُّ الخَمْرَ حَتّى يَخْرَسَا
وَمَنْ يُحِبُّ الزّمْرَ صُبْحًا وَمَسَا ... وَمَنْ يَخُبُّ فِي المَعَاصِي مُوعِسَا
وَمَنْ يَشِبُّ طِرْمِذَانًا شَرِسَا ... وَمَنْ يُقِيمُ لِلْمَخَازِي عُرُسَا
يَا عُمَرَ الحَقّ وُقِيتَ الأَبْؤُسَا ... وَلاَ لَقِيتَ -مَا بَقِيتَ- الأَنْحُسَا
لَكَ الرِّضَى إِنَّ الشّبَابَ انْتَكَسَا ... وَانْتَابَهُ دَاءٌ يُحَاكِي الهَوَسَا
وانْعَكَسَتْ أَفْكَارُهُ فَانْعَكَسَا ... وفُتِحَتْ لَهُ الكُوَى فَأَسْلَسَا
فَإِنْ أَبَتْ نَجْدٌ فَلاَ تَأْبَى الحَسَا ... فاقْسُ عَلَى أَشْرَارِهِمْ كَمَا قَسَا
سَمِيُّكَ الفَارُوقُ فَالدّينُ أُسِّسَا ... نَصْرُ بْنُ حَجّاجَ الفَتَى وَمَا أَسَا
غَرّبَهُ إِذْ هَتَفَتْ بِه النّسَا ... لاَ تُبَالِ عَاتِبًا تَغَطْرَسَا
أَوْ ذَا خَبَالٍ لِلْخَنَا تَحَمّسَا ... أَوْ ذَا سُعَارٍ بِالزّنَى تَمَرّسَا
شَيْطَانُهُ بِالمُنْدِيَاتِ وَسْوَسَا ... وَلاَ تُشَمّتْ مَنْهُمُ مَنْ عَطَسَا
وَلاَ تَقِفْ بِقَبْرِهِ إِنْ رُمِسَا ... وَلاَ تَثِقْ بِفَاسِقٍ تَطَيْلَسَا
فَإِنّ فِي بُرْدَيْهِ ذِئْبًا أَطْلَسَا ... وَإِنْ تَرَاءَى مُحْفِيًا مُقَلْنِسَا
فَسَلْ بِهِ ذَا الطُّفَيْتَيْنِ الأَمْلَسَا ... تَأْمَرُكَ المَلْعُونُ أَوْ تَفْرَنْسَا

يَا شَيْبَةَ الحَمْدِ رَئِيسَ الرُّؤَسَا
وَوَاحِدَ العَصْرِ الهُمَامَ الكَيِّسَا
وَمُفْتِيَ الدِّينِ الذِي إِنْ نَبَسَا
حَسِبْتَ فِي بُرْدَتِه شيخَ نَسَا
رَاوِي الأَحَادِيثِ مُتُونًا سُلَّسَا
غُرًّا إِذَا الرَّاوِي افْتَرَى أَوْ دَلَّسَا
وَصَادِقَ الحَدْسِ إِذا مَا حَدَسَا
وَمُوقِنَ الظَّنِّ إِذا تَفَرَّسَا
وَصَادِعًا بِالحَقِّ حِينَ هَمَسَا
بِهِ المُرِيبُ خَائِفًا مُخْتَلِسَا
وَفَارِسًا بِالمَعْنَيَيْنِ اقْتَبَسَا
غَرائِبًا مِنْهَا إِيَاسٌ أَيِسَا
بِكَ اغْتَدَى رَبْعُ العُلُومِ مُونِسَا
وَكَانَ قَبْلُ مُوحِشًا مُعَبِّسَا
دَلَّلْتَهَا قَسْرًا وَكَانَتْ شُمُسَا
فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الزُّلَالِ المُحْتَسَا
فَتَحْتَ بِالعِلْمِ عُيُونًا نُعَّسَا
وَكَانَ جَدُّ العِلْمِ جِدًّا تَعِسَا
وَسُقْتَ لِلْجَهْلِ الأُسَاةَ النُّطُسَا
وَكَانَ دَاءُ الجَهْلِ داءً نَجَسَا
رَمَى بِكَ الإِلْحَادَ رام قَرْطَسَا
وَوَتَّرَتْ يَدُ الإِلهِ الأَقْوَسَا
وَجَدُّكَ الأَعْلَى اقْتَرَى وَأَسَّسَا
وَتَرَكَ التَّوحِيدَ مَرْعِيَّ الوَسَا
حَتَّى إِذا الشِّرْكُ دَجَا وَاسْتَحْلَسَا
لُحْتَ فَكُنْتَ فِي الدَّيَاجِي القَبَسَا
وَلَمْ تَزَلْ تَفْرِي الفَرِيَّ سَائِسَا
حَتَّى غَدَا اللَّيْلُ نَهَارًا مُشْمِسَا
يَا دَاعِيًا مُنَاجِيًا مُغَلِّسَا
لَمْ تَعْدُ نَهْجَ القَوْمِ بِرًّا وَائْتِسَا
إِذْ يُصْبِحُ الشَّهْمُ نَشِيطًا مُسْلِسَا
وَيُصْبِحُ الفَدْمُ كَسُولًا لَقِسَا
كَانَ الثَّرَى بَيْنَ الجُمُوعِ مُوبِسَا
فَجِئْتَهُ بِالغَيْثِ حَتَّى أَوْعَسَا
قُلْ لِلأُلَى قَادُوا الصُّفُوفَ سُوَّسَا
خَلُّوا الطَّرِيقَ لِفَتًى مَا سَوَّسَا
وَطَأْطِئُوا الهَامَ لَهُ والأَرْؤُسَا
إِنَّ النَّفِيسَ لا يُجَارِي الأَنْفَسَ

مرحبًا بالشاعر النصراني

يحيى بشير حاج

إلى الشاعر العربي الشامي «جاك صبري شماس» الذي تفيض قصائده حبًا للعروبة وتمجيدًا للإسلام، وردًا على قصيدته المنشورة في «الوعي الإسلامي» العدد ٥٢٩ رمضان ١٤٣٠، وكان مطلعها:

رمضان إني شاعر نصراني
روحي العروبة، والنخيل كياني

مع التحية:

يا مَرْحَبًا بالشاعر النصراني
وبكلِّ حُرّ صادقِ الوجدانِ
ولَكَ التحيةُ ما استطَالَتْ نخلةٌ
عربيةٌ بَجنى الجنان الدَّاني
ذَكَّرْتَنا بجميل صُنعِكَ «فارسًا»
للّه- ياخوريُّ- في الفُرسانِ (١)
كان انتماؤُكَ للعروبة وحدَها
لا للصَّليبيينَ والرُّومانِ
ظاهرْتَ قومَكَ، والسيوفُ تَنوشُهم
وردَدتَ عنهم صولةَ العدْوَانِ
ورأى العَدُوُّ المُستبدُّ غَضَنفرًا
يَحمي الشآمَ بُحرقةٍ وتَفاني
و«الضّادُ» في الشهباءِ تشمَخُ عاليًا
ببيانِ صاحبِها على الأقرانِ (٢)
عَزَفَتْ على وَتَرِ العروبةِ نغمةً
قُدسيةً ذهبَت بكل لسانِ
و«الشاعُر القَرويُّ» يهتِفُ صادقًا
للعُرْبِ والفُصحى وللقرآنِ (٣)
ياشاعرَ الفصحى ومُظْهِرَ حُسْنِها
كاللؤلؤِ المكنونِ والمَرجانِ
أتُعيدُ سيرةَ أخطلٍ لما شَدَا
لِبَني أميةَ أعذبَ الألحانِ
هذي قصائدُكَ الجميلةُ غرّةٌ
في جَبهةِ الشعرِ الفصيحِ الباني
عربيةٌ في سبكِها وقَوامها
شرقيةُ القَسَماتِ والألوانِ
تاريخُنا رُغْمَ العِدا متوحِّدٌ
من «زَحْلةٍ» حتى رُبى «تَطْوانِ»
ورجالُه فخرٌ لنا طولَ المَدى
مهما ادّعى الأفاكُ ذو الأضغانِ
عُمرٌ، أبوبكرٍ، عَلِيٌّ يُقْتَدى
عثمانُ والأصحابُ والحَسَنانِ
نحنُ العروبةُ قد زهَتْ بمحمدٍ
وبدينِه، لم تَزْهُ بالأوثانِ
دينٌ لنا الإسلامُ، وهو حَضارةٌ
لِبَني العمومةِ مِنْ بَني غَسَّانِ

١- رئيس وزراء سورية سابقًا فارس الخوري الذي قارع الاستعمار الفرنسي.
٢- صاحب مجلة الضاد «الحلبية» الأديب العربي المسيحي عبدالله يوركي حلاق.
٣- الشاعر رشيد سليم الخوري، المحب لقومه، المنصف لهم.

شرح عمدة الأحكام

التحرير

المؤلف: الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي

ناقل الإملاءات: الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي

تقديم: العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

المحقق: أنس بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل

الطبعة: الأولى، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)

عدد الأجزاء: ٣ أجزاء

أولًا: اسمه ونسبه، هو الشيخ العلامة أبوعبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي، من بني تميم.

ثانيًا: مولده، وُلد في عنيزة في القصيم في الثاني عشر من محرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

ثالثًا: نشأته، نشأ الشيخ يتيمًا، فقد توفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، ولكنه نشأ نشأة صالحة، وقد أثار الإعجابَ فقد اشتهر منذ حداثته بفطنته، وذكائه، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره إحدى عشرة سنة، ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده فاجتهد في طلب العلم وجَدّ فيه وسهر الليالي وواصل الأيام حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يَتَعلم ويُعلِّم.

رابعًا: نبذة من أخلاقه، كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعًا للصغير، والكبير، والغني، والفقير، وكان يقضي بعض وقته بالاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم مجلسًا علميًا، حيث إنه يحرص على أن يحتوي على البحوث العلمية، والاجتماعية، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث، وكان يتكلم مع كل فرد بما يناسبه، وكان ذا شفقة على الفقراء، والمساكين، والغرباء مادًا يد المساعدة لهم بحسب قدرته، ويستعطف لهم المحسنين ممن يُعْرف عنهم حب الخير في المناسبات.

وكان على جانب كبير من الأدب، والعفّة، والنّزاهة، والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليمًا، وأبلغهم تفهيمًا.

خامسًا: مكانته العلميّة، كان - رحمه الله- ذا معرفة فائقة في الفقه وأصوله، وكان أول أمره متمسكًا بالمذهب الحنبليّ تبعًا لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد، والتفسير، واللغة، وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما تَرَجّح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب، وله مكانة مرموقة في علم التفسير، إذ قرأ تفاسير عدة، وبرع فيه وألف تفسيرًا جليلًا، فسّره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره.

كان دائما، رحمه الله، يقرأ مع تلاميذه في القرآن الكريم ويفسره ارتجالًا، ويستطرد، ويبين من معاني القرآن، وفوائده ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى إنّ سامعه يودّ ألا يسكت، لفصاحته وجزالة لفظه، وتوسّعه في سياق الأدلة والقصص.

ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه؛ عرف مكانته العلمية، وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

سادسًا: مصنفاته، كان - رحمه الله تعالى- ذا عناية بالغة بالتأليف، حيث شارك في كثير من فنون العلم فألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، وأغلب مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها، ومن **هذه المؤلفات:**

١ الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

٢ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

٣ التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.

٤ توضيح الكافية الشافية.

٥ التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.

٦ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

٧ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.

٨ الخطب المنبرية على المناسبات.

٩ الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية.

١٠ رسالة في القواعد الفقهية.

١١ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة.

١٢ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد

والضوابط والأصول.

١٣ فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

١٤ الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

١٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن.

١٦- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة.

١٧- القول السديد في مقاصد التوحيد.

١٨- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

١٩- المناظرات الفقهية.

٢٠- منظومة في أحكام الفقه.

٢١- منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة.

سابعًا: وفاته، بعد عمر دام تسعًا وستين سنة قضاها في التعلم والتعليم والتأليف وخدمة الأمة الإسلامية وافاه الأجل المحتوم فتوفي سنة ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

أصل الكتاب: هذا الشرح عبارةٌ عن أمالٍ من الشيخ عبدالرحمن على طلّابه؛ كان تلميذه الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي يقيّدها في كراريس، والظاهر أنّ السبب في ذلك - زيادةً على حرصه- كونُه معيدًا للدّرس عند الشيخ على الطلّاب، كما يفهم من كلام الشيخ البسّام في ترجمته، وقد يقصد غير ذلك.

فالشرح إذن تعليقاتٌ وإملاءاتٌ على عمدة الأحكام ألقاها الشيخ في أثناء شرحه

أنس العقيل

له على طلابه في جامع عنيزة سنة ١٣٤٩هـ، وقد بقيت هذه التقييدات مخطوطة من حينها، ثم يسّر الله تعالى لأبناء ناسخها - جزاهم الله خيرًا وغفر لوالدهم- أن يُظهروها؛ فحصل المحقّق على نسخة منها، وقام بخدمتها والعناية بها.

وهذا الإملاء كصنيع ابن دقيق العيد في شرح العمدة، حيث أملاها على تلميذه الوزير الصالح العماد الحلبي، ومثله كثير من كتب المتقدمين؛ كالتعليقة للقاضي حسين على مختصر المزني، وكتاب الأم للشافعي، ومثل ما طُبع من كتب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعناية الشيخ

الشيخ ابن عقيل

محمد بن قاسم؛ كحاشية آداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات والواسطية.

ولاشكّ أنّ الفضل لله تعالى في ظهور هذه الإملاءات، ثم لناسخها الشيخ العوهلي يرحمه الله، ثم لأبنائه البررة الذين حرصوا على نشرها ونفع الناس بها، ونرجو أن يكونوا بذلك قد حازوا الأجر من الله تعالى، وهم بلاشكّ محلّ ثناء وإكبار وإجلال من عامّة طلاب العلم في بقاع العالم الإسلامي، فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم، كما لا ننسى جهد الشيخ المحقق الأستاذ أنس العقيل على تعبه وخدمته للكتاب وحسن إخراجه له.

مقدّمة الشيخ عبدالله بن عقيل

قال الشيخ في تقديمه للكتاب: فهذا أثرٌ جديدٌ من آثار شيخنا العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله -، ولا تزال الأيام تظهر لنا دُررًا ونفائس من آثاره، ونرجو أن يكون ذلك مما ادّخر له من أجر ونفع يتوالى ويتجدد إلى يوم القيامة.

هذا الشرح النفيس هو ما أملاه شيخنا شرحًا لكتاب عمدة الحديث، للحافظ

عبدالغني المقدسيّ - رحمه الله-، وكتبه عن إملائه تلميذه شيخُنا وزميلُنا الكبير الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي رحمه الله، ويظهر فيه - كسائر آثار شيخنا- نفَسه العلميّ، وجودة ذهنه، ودقّة استنباطه، وتحرّيه للدليل، وسعة أفقه، وحرصه على تبسيط المعلومات، وإفادة الطالب علميا وتربويا، وهكذا كانت دروسه - رحمه الله-، نجد فيها الفائدة الغزيرة بالأسلوب الواضح الخالي من التكلّف، مقرونة بالدليل والمِران على الترجيح، بأسلوب تربوي حكيم.

ولمّا رأيت هذا الشرح وتأمّلته سُررت به، وحرَصت أن يطبع وينشر؛ ليعُم به النفع، إن شاء الله، ومن ثَمّ أشرت على الابن أنس بن عبدالرحمن أن يشتغل بخدمته ونشره.

منهج المحقق

أبان المحقّق عن طريقته في التحقيق، وهي باختصار:

ضبط النصّ.

إثبات أحاديث المتن.

الإحالة إلى أبرز مصادر شرح المتن.

تخريج الآيات والأحاديث.

توثيق النصوص التي ذكرها الشارح عن أهل العلم.

توثيق مذاهب العلماء.

التعليق المختصر على بعض المواضع.

توضيح بعض الألفاظ.

جمع اختيارات الشارح الفقهية.

جمع القواعد التي استدل بها الشارح.

ترجمة المصنف، والشارح المملي، والناسخ المستملي.

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجوْدة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمُّل وطول التدبّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنُّفوس من الخلل والتأثر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم.جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُساجَلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كُلّ واحد منهما في سَجْلَه مثْل ما يُخرج الآخَر، فأيُّهما نَكل فقد غُلب. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشَّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجوْدة المحفوظ، وتجدُّد الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

د.الطاهر خذيري
ALmadani9@Gmail.com

بين الإمام أبي زرعة الرّازي وسليمان الشّاذكوني

حول «حفظ الأحاديث واستحضارها»

هو الإمام الحافظ عبيدالله بن عبدالكريم، محدّث الرّيّ، ولد بعد المائتين بقليل، وطلب علوم الشريعة، واختصّ بعلم الحديث وهو حَدَث، وارتحل إلى كثير من البلدان كالحجاز والشّام، ومصر والعراق، والجزيرة وخراسان، وكَتَب ما لا يُوصف كثْرة، وكان إمامًا ربّانيًا، حافظًا متقنًا مُكثرًا.

قال الحافظ أبوأحمد بن عدي (تاريخ بغداد: ٣٢٤/١٠- ٣٢٥): سمعت أبي يقول: كنت بالرّيّ وأنا غلام، فحلف رجلٌ بطلاق امرأته أنّ أبا زرعة يحفظ مائة ألف حديث؛ فذهب قوم- أنا فيهم- إلى أبي زرعة، فسألناه، فقال: ما حَمَله على الحلف بالطلاق؟ قيل: قد جرى الآن منه ذلك، فقال أبوزرعة: ليُمسك امرأته، فإنّها لم تطلق عليه.

ولجلالته وتمام معرفته وعُلوّ قدْره، قال يونس بن عبدالأعلى الصّدفيّ (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي: ٣٢٥/٥): حدّثني أبوزرعة، فقيل له: من هو؟ فقال: إنّ أبا زرعة أشهر في الدُّنيا من الدّنيا!

لقد كانت لأبي زرعة- رحمه الله- حافظةٌ نقيّةٌ واعية، وهي التي جعلت الإمام إسحق بن راهويه يقول (الإرشاد: ٦٨١/٢): «كلّ حديث لا يعرفه أبوزرعة الرازي، فليس له أصْل!»، ومن سروره به كتب إليه بخطّه يقول (الجرح والتعديل: ٣٢٩/١): إني أزداد بك كلّ يوم سرورًا، فالحمد لله الذي جعلك ممّن يحفظ سنّته، وهذا أعظم ما يحتاج إليه اليوم طالب العلم، وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يُفرط، وإن لم يكن فيك بحمد الله إفراط، وأقْرَأني كتابَك إليه بنحو ما أوصيتك من إظهار السّنة وترك المداهنة، فجزاك الله خيرا، فدمْ على ما أوصيتك فإنّ الباطل جولةٌ ثم يضمحل، وإنك ممّن أحبُّ صلاحه وزَيْنَه، وإنّي أسمع من إخواننا القادمين ما أنت عليه من العلم والحفظ فأُسرُّ بذلك».

وقد قال في وصف مكارمه العالمُ الحافظ أبوحاتم الرّازي (تاريخ بغداد: ٣٣٣/١٠): حدّثني أبوزرعة عبيدالله، وما خَلّف بعده مثله علمًا وفهمًا وصيانةً وحِذقًا، وهذا ما لا يُرتابُ فيه، ولا أعلم من المشرق والمغرب مَن كان يفهم هذا الشّأن مثله، ولقد كان من هذا الأمر بسبيل.

وفي (الجرح والتعديل: ٣٤١/١): أنّ رجلاً سأل الإمام أحمد بن حنبل، فقال: بالريّ شابٌّ يقال له أبوزرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شابّ! كالمنْكر عليه، ثم رفع يديه، وجعل يدعو الله عزّ وجلّ لأبي زرعة، ويقول: اللهم انصره على مَن بغى عليه، اللهمّ عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم اللهم... في دعاء كثير، قال الراوي: فلمّا قدِمْتُ حكيْت ذلك لأبي زرعة، وحملتُ إليه دعاء أحمد بن حنبل له، وكنت كتبته عنه، فكتبه أبوزرعة، وقال لي أبوزرعة: ما وقعتُ في بليّة فذكرت دعاء أحمد إلاّ ظننتُ أن الله عز وجلّ يفرّج بدعائه عنّي.

وقد بقي الإمام على هذه الشّاكلة من الخيرية في العلم والعمل حتى ختم الله تعالى له بخير الخواتيم، وقصّة خاتمته تلك يرويها لنا وَرّاقُه المختصُّ به أبوجعفر محمد بن عليّ، قال (سير أعلام النبلاء: ٧٧/١٣، وتاريخ بغداد: ٣٣٥/١٠): حَضَرْنا أبا زرعة بمَاشهْرَانَ، وهو في السّوْق (في آخر لحظات عمره)، وعنده أبوحاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله»، واستحْيَوا من أبي زرعة أن يلقّنوه- لأنّه كان شيخَهم في العلم والعمل- فقالوا: تعالوا نذكر الحديث.

فقال ابن وارة: حدّثنا أبوعاصم، حدثنا عبدالحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ابنُ أبي، ولم يجاوزه.

وقال أبوحاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبوعاصم، عن عبدالحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز.

والباقون سكتوا.

فقال أبوزرعة وهو في السّوق: حدثنا بندار، حدثنا أبوعاصم، حدثنا عبدالحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرّة، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وتوفي (رحمه الله).

وهذه كرامةٌ صحيحة السّند رواها أبوعبدالله الحاكم وغيره، عن أبي بكر محمد بن عبدالله الوراق الرازي، عن أبي جعفر بهذا، كما نقل ذلك الذهبيّ في ترجمته، وقد توفي أبوزرعة في آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين.

وأما الشّاذكوني، فهو العالم الحافظ البارع أبوأيوب سليمان بن داود بن بشر المنقري البصريّ الشاذكوني، كما قال الذهبيّ في (سير أعلام النبلاء: ١٠/٦٧٩)، قال السمعاني في (الأنساب: ٣/٣٧٢): هذه النسبة إلى شاذَكوه، وظني أنها ناحيةٌ بجرجان، والله أعلم.

وهذا الشاذكونيّ من أوضح الأمثلة على أنّ أصحاب الشأن من الأئمة المحدّثين قد حفظوا سنّة النبيّ ﷺ وصانوها من عبث العابثين وكذب الكذابين، فهو على جلالته في الحفظ والجمع وطول الرّحلة والرّواية، وقد شَهد له بذلك جمعٌ من الحفاظ المتقنين، مع كلّ هذا حين جُرِّب عليه الكذب أسقطوه وتركوه، ونبذوا حديثه، ولم يبالوا بما كان شُهد له به من الحفظ وتمام الإتقان، غيرةً على حديث رسول الله ﷺ، وإثباتًا لتجرّدهم للحق وعدم مجاملتهم لأحد أيًا كان مَحلّه.

قال إبراهيم بن أورمة-رحمه الله- (تاريخ بغداد: ٩/٤٢): «كان الطيالسيّ بأصبهان، فلمّا أراد الرّجوع بكى، فقالوا له: إنّ الرّجل إذا رجع إلى أهله فرح! قال: لا تدرون إلى مَن أرجع، أرجع إلى شياطين الإنس، ابن المديني، والشاذكوني، والفلّاس!». (وهذا وصف على المبالغة وليس على حقيقته، أي أنّهم الأئمّة الحفّاظ المتقنون).

وسُئل الحافظ صالح جزرة - رحمه الله- عن الشاذكوني، فقال: ما رأيت أحفظ منه، قيل: بم كان يُتّهم؟ قال: كان يكذب في الحديث. وسئل عنه أحمد بن حنبل- رحمه الله- فقال: «جالَسَ حماد بن زيد، ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل، فما نَفَعه الله بواحد منهم!». وقال ابن معين-رحمه الله-: «جرّبتُ على الشّاذكوني الكذب».

وهذا هو منهج أهل الحديث؛ حيث إنهم يتشدّدون جدًا في الرّواية عن رسول الله ﷺ، ويرون ذلك التشدّد دينًا يتقرّبون به إلى الله تعالى، وقد اشتهر عنهم في ذلك مقالتُهم: «الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء»، بخلاف غير أهل الحقّ من أهل البدع والأهواء الذين يرفعون رؤوسهم بمرويات الكذابين والدجّالين والمخرّفين، ثم لا يستحون ولا هم من ربهم يخافون! «وإنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (البخاري).

قال إسماعيل بن الفضل- رحمه الله-: (سير أعلام النبلاء: ١٠/٦٨٢، وتاريخ بغداد: ٩/٤٨): رأيت ابن الشّاذكوني في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان، فأخذني المطر ومعي كتب، ولم أكن تحت سقف، فانكببت على كتبي حتى أصبحت، فغفر لي بذلك.

وقد رُوي عنه ما عساه يكون غَسَل عنه ما علق به من التهمة في الرواية، فقد قيل: إنّه لمّا احتُضر قال: «اللهم إنّي أعتذر إليك، غير أني ما قذفتُ محصنة، ولا دلّستُ حديثا». رحمه الله وعفا عنه.

سياق المساجلة

قال الحافظ أبوعلي صالح جزرة: قال لي أبو زرعة: مُرّ بنا إلى سليمان الشاذكونيّ نذاكرْه، قال: فذهبنا، فمازال يذاكره حتى عجز الشاذكونيّ عن حفظه، فلمّا أعياه، ألقى عليه حديثًا من حديث الرّازيّين، فلم يعرفْه أبوزرعة، فقال سليمان: يا سبحان الله حديثٌ بلدك هذا مخرجُه من عندكم! وأبوزرعة ساكت، والشّاذكوني يخجّله ويُري مَن حضر أنه قد عجز، فلمّا خرجنا، رأيتُ أبا زرعة قد اغتمّ، ويقول: لا أدري من أين جاء بهذا، فقلت له: وضَعَه في الوقت كي تعجَز وتخجَل، قال: هكذا؟ قلت: نعم، فسُرّي عنه.

وقال سعيد بن عمرو الحافظ: سمعت أبا زرعة يقول: دخلت البصرة، فحضرت سليمان الشاذكونيّ يوم الجمعة، فروى حديثا، فرددت عليه،ثم قال: حدّثنا ابن أبي غَنيّة عن أبيه عن سعد بن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن أبيه، قال: «لا حِلْف في الإسلام» فقلت: هذا وهْمٌ، وَهِم فيه إسحاق بن سليمان، وإنما هو سعد، عن أبيه، عن جبير.

قال: مَن يقول هذا؟ قلت: حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي غنيّة، فغضب، ثم قال لي: ما تقول فيمن جعل الأذان مكان الإقامة؟ قلت: يعيد.

قال: مَن قال هذا؟ قلت: الشعبي.

قال: مَن عن الشعبيّ؟ قلت: حدّثنا قَبيصة، عن سفيان، عن جابر، عن الشعبيّ.

قال: ومَن غير هذا؟ قلت: إبراهيم، وحدثنا أبونعيم، حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن مغيرة، عنه.

قال: أخطأتَ.

قلت: حدثنا أبونعيم، حدّثنا جعفر الأحمر، حدثنا مغيرة.

قال: أخطأتَ.

قلت: حدّثنا أبونعيم، حدّثنا أبوكدينة، عن مغيرة.

قال: أصبتَ.

ثم قال أبوزرعة: اشْتَبَه عليّ، وكتبتُ هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي نُعَيم، فما طالعتُها منذ كتبتُها.

ثم قال: وأيّ شيء غير هذا؟ قلت: معاذ بن هشام، عن أشعث، عن الحسن.

قال: هذا سرقته منّي- وصدق-، كان ذاكرني به رجلٌ ببغداد، فحفظته عنه.

رحمة الله عليهما وغفر الله لهما.

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أنه قد اهتم علماء المسلمين بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل النورستاني

مدينة «سِجِسْتان»

«سِجِسْتَان» اسمٌ لناحية كبيرة وولاية واسعة جنوب خراسان، وتقع بين إقليم مَكْران جنوبًا، وخراسان شمالاً، وقُوهِسْتان وصَحراء كرمان الكبرى غربًا، بينما حدودُها الشرقية ليست دقيقة، إلا أنها تدخلُ في حدود بلاد السند عند القدماء(١).

هذا على وصف البلدانيين القدامَى، أما وصفُها الآن (٢): فهي تقع في الجنوب الغربيّ من أفغانستان، وتشمل الولايات: قَندَهار، وهِلْمَنْد، ونِيْمْرُوْز، وتمتدُّ إلى داخل الحدود الإيرانية الشرقية.

وقصبةُ إقليم «سجستان» هي مدينةُ «زَرَنْج»، وتقعُ في الجنوب الغربيّ من أفغانستان، وهي الآن مركزُ ولاية «نيمروز» الأفغانية.

ومدينةُ «زَرَنْج» تُعرف بـ «مدينة سجستان»، ولم يكن البلدانيون العرب المتأخرون يَعرفونها إلّا بمدينة سجستان، ولذلك قد يذكر بعضُهم أنّ «سجستان» و«زرنج» مترادفتان، وليس الأمرُ كذلك، إلا أنه لما كانت «زرنج» قصبة ذلك الإقليم غلبَ عليها اسمُها، ويُقابلُها بالفارسية «شَهْرِسْتَان».

وباسم «مدينة سجستان» كانت تُسمّى «زرنج» حين خرّبَها تيمور سنة (٧٨٥هـ- ١٣٨٣م) (٣)، وقد أعيدَ بناؤها في الموقع نفسه، ومازالت معروفةً بهذا الاسم إلى الآن.

وقد فتحَ المسلمون إقليمَ «سجستان» في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام (٢٣هـ)، بقيادة عاصم بن عمرو التميمي، وعبدالله بن عمير.

وحدودُ «سجستان» ليست واحدة على مرّ العصور، بل ظلّت تختلف باختلاف العصور، فبينما كانت حدودُها (شرقًا وشمالاً) تشملُ جميعَ جنوب ووسط أفغانستان، بما فيها مدينة غَزْنَة، وبُسْت، وما بعدها جنوبًا، كمدينة قندهار وما بعدها غربًا .. بينما نجد ذلك في بعض العصور: نجد هذا الاسمَ في العصور المتأخرة تنحسرُ رقعتُه إلى حدود «سيستان» المعروفة الآن.

وقد اشتدّ الصراعُ بين أفغانستان وإيران حول سجستان «سيستان»، مما أتاحَ لبريطانيا التدخُّل، وقبلت الدولتان تحكيمَها في ترسيم حدود سجستان، فوضعت البعثةُ البريطانية عام ١٨٧٢م خطّ الحدود، وأصبحَت سجستان مقسمة بين إيران وأفغانستان، بحيث يخصُّ إيران أربعون بالمائة منها، والباقي لأفغانستان، وتقعُ مدينةُ زَرَنْج- وهي عاصمةُ سجستان- في القسم الأفغاني.

وينتسبُ إلى سجستان خلقٌ كثيرٌ من العلماء المعروفين، على رأسهم الإمامُ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عمران الأزدي، أبوداود السِّجِسْتاني.

وقد اشتُهرَ الإمامُ بكنيته أكثر من شهرته باسمه، فلا يكاد يُذكر إلا بالكنية.

والإمامُ أبوداود عربيٌّ أَزْديٌّ من قبيلة الأَزْد، وولد في بلده سجستان سنة اثنتين ومائتَين، وكان من المبَكّرين في الرحلات، ومن المكثرين منها، خرجَ في طلب العلم وعمرُه دون العشرين عامًا، ورحل إلى مراكز العلم في ذلك الوقت، منها: هراة، بغلان، الري، نيسابور، أصبهان، بغداد، البصرة، وقد استوطنها أخيرًا ومات فيها، الكوفة، مكة المكرمة، المدينة النبوية، دمشق، حمص، حلب، حرّان، الجزيرة، الرملة، طرَسوس، بيروت، مصر.

وبعد هذه الرحلات الكثيرة المتتابعة خارج سجستان وخراسان رجع إلى خراسان، ثم خرج إلى موطنه سجستان لتفقُّد ما يملكه من أسباب المعيشة هناك، ولم يزل يتردد على بغداد، حتى طلب منه «الموفق» الانتقالَ إلى البصرة فانتقلَ إليها، وتوفي هناك.

والمدنُ التي رحلَ إليها تشملُ دولًا عديدةً هي: أفغانستان، وإيران، والعراق، وسوريا، والأردن، وتركيا، وبلاد الحرمين، ومصر، تُضاف إليها: طاجكستان، وأوزبكستان، وتُركمانستان، والتي تقعُ في إقليمَي «خراسان» و«ما وراء النهر».

وألّف الإمامُ أبوداود مؤلّفات كثيرةً في علم الحديث، وعلم الرجال، والفقه، والعقيدة، والتفسير، من أشهرها كتابُه «السنن».

ويكفي للدّلالة على المكانة العالية التي تبوّأها أبوداود قصّتُه مع الأمير «الموفّق»، حيث إنه لَمّا تسبّبَ الزّنج في خراب مدينة البصرة طلبَ الأميرُ «الموفّقُ» من أبي داود أن يَنتقلَ إلى البصرة لتعمُر به.

قالَ أبوبكر بن جابر- خادم أبي داود: كنتُ معه ببغداد، فصلّينا المغربَ، إذ قُرِعَ البابُ ففتحتُه، فإذا خادمٌ يقول: هذا الأميرُ أبوأحمد الموفّق يَستأذنُ؟ فدخلتُ إلى أبي داود، فأخبرتُه بمكانه، فأذنَ له، فدخل وقعَد، ثم أقبلَ عليه أبوداود وقال: ما جاءَ بالأمير في مثل هذا الوقت؟! فقال: خِلالٌ ثلاث، فقال: وما هي؟ قال: تنتقلُ إلى البصرة فتتّخذُها وطَنًا؛ ليَرحَلَ إليكَ طلَبَةُ العلم من أقطار الأرض، فتعمُرَ بك، فإنها قد خَربَت، وانقطعَ عنها الناسُ لما جرى عليها من محنة الزّنج.

فقال: هذه واحدة، هات الثانية.

قال: وتَروي لأولادي كتابَ السنن.

فقال: نعم، هات الثالثة.

قال: وتُفردُ لهم مجلسًا للرواية، فإنّ أولادَ الخلفاء لا يَقعدون مع العامّة.

فقال: أمّا هذه فلا سبيلَ إليها؛ لأنّ الناسَ شريفَهم ووَضيعَهم في العلم سواء.

قال ابنُ جابر: فكانوا بعد ذلك يحضرون ويَقعدون في كُمّ جيريّ، ويُضرَبُ بينهم وبين الناس سترٌ فيسمعونَ مع العامّة(٤).

وقد أثنى عليه كثيرٌ من الأئمة، ولَما صنّفَ أبوداود «السنن» قال الإمامان محمد بن إسحاق الصّاغاني (ت ٢٧٠هـ) وإبراهيم الحربي (ت ٢٨١هـ): «أُلين لأبي داود الحديثُ كما أُلين لداود عيله السلام الحديد»(٥).

وقال موسى بن هارون الحافظ (ت ٢٩٤هـ): «خُلقَ أبوداود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة، ما رأيتُ أفضلَ منه»(٦).

وقال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، وتبعَه أبوسعد السمعانيُّ (ت٥٦٢هـ): «أبوداود أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلمًا، وحفظًا، ونسكًا، وورعًا، وإتقانًا، ممّن جمَع وصنّف، وذبّ عن السُّنَن، وقمَعَ مَن خالفَها وانتَحَلَ ضدّها»(٧).

وقال الحاكمُ النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): «كان أبوداود إمامَ أهل الحديث في عصرِه بلا مُدافَعة»(٨).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): «البخاري وأبوداود أفقهُ أهلِ الصحيح والسنن»(٩).

والثناءُ عليه من الأئمة المتقدّمين والمتأخرين كثيرٌ جدًا، وأكتفي بما سَردتُه هنا، مختتمًا بما ذكرَه الحافظُ السّلَفيّ (٥٧٦هـ)- بعد ذكره لبعض ما قيل من ثناء العلماء على أبي داود- قال: «وفضائل أبي داود كثيرة، ورتبتُه بين أهل الرُّتَب كبيرة، وما أوردتُه ههنا من فضله وقول كبيرٍ بعد كبير، فقليلٌ من كثير...»(١٠).

ولم أقف- بعد طول بحث- على اسم المدينة أو القرية التي وُلِدَ فيها الإمامُ أبوداود داخل إقليم سجستان، وكلُّ ما ذُكر أنه سجستاني، وأنه وُلِدَ بسجستان.. هكذا دون تعيين مدينة أو قريةٍ داخل ذلك الإقليم الكبير.

والسببُ في ذلك- والله تعالى أعلم- أنّ قصبةَ الإقليم- وهي مدينةُ زرنج- كانت تُسمّى بمدينة سجستان، وهي المرادُ عند الإطلاق.

فالإمامُ أبوداود سجستاني، ومن مدينة زَرَنْج الأفغانية.

وجديرٌ بالذكر هنا أنّ سجستان هي الحدُّ الجنوبيُّ لـ«خراسان»، كما أنّ خراسان هي الحدُّ الجنوبيُّ لـ«ما وراء النهر»، والمنطقة الواقعةُ جنوبَ سجستان هي «مكران»، وتمتدُّ إلى بحر الخليج العربي.

توفي الإمامُ أبوداود يومَ الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمسٍ وسبعين ومائتَين.

ومن شدّة تحرّيه في اتباع السنة أنه لمّا مرِضَ مرَضَ الموت أوصى أن يُغسّلَه حسنُ بنُ المثنى؛ لتقدّمه في ذلك. قال: فإن اتّفقَ، وإلّا فانظروا في كتاب سليمان بن حرب عن حماد بن زيد فاعملوا به.

وقد حصلَ ما وصّى به، حيث غسّله ابنُ المثنى بعد صلاة الجمعة، وصلّى عليه العباسُ بن عبدالواحد بن جعفر بن سليمان الهاشمي، ودفنوه بالقرب من قبر الإمام سفيان الثوري- رحمه الله.

رحمَ اللهُ الإمامَ أبا داود، وأجزلَ له المثوبة، وتقبّل منه كلّ ما قدّمه للأمة الإسلامية، وأسكنَه فسيح جَنّاته، وجمعَنا به في الفردوس الأعلى.

الهوامش

(١) انظر: معجم البلدان، للحموي (٣/ ٢٣)، توضيح المشتبه، لابن ناصرالدين (٥/ ٥٨).
(٢) انظر التفصيل في: دائرة المعارف الإسلامية، ١١/ ٢٨٣- ٢٩٥)، بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٧٢- ٣٩١)، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، ص٤٩٠- ٤٩٣).
(٣) انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٧٣.
(٤) انظر: معالم السنن (١/ ٧).
(٥) تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٦).
(٦) تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٦)، تهذيب الكمال (١١/ ٣٦٥).
(٧) الثقات، لابن حبان (٨/ ٢٨٢)، الأنساب، للسمعاني (٣/ ٢٢٥).
(٨) انظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٣).
(٩) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/ ٢٢٥).
(١٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٣٢١).

جامع عقبة بن نافع بالقيروان

تركي محمد النصر

نشأت مدينة القيروان- التي تبعد (١٥٥كم) عن العاصمة التونسية- في عهد الخليفة الأموي الأول الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، على يد والي إفريقيا الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه سنة (٥٦هـ)، الموافق (٦٧٥م)، الذي اختار لها موقعًا يبتعد عن شاطئ المتوسط بقدر ما يقترب من الصحراء، فكانت قيروانًا (١) لجيش الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وخُطّطت هذه المدينة حول نواة جامع من الطين والحجر، وفي أقل من قرن أصبحت بوابة المغرب الإسلامي، الذي سرعان ما شمل بلاد الأندلس، ومن بعدها جزيرة صقلية المجاورة، وقد رُسمت ملامح المدينة العمرانية بدقة وإتقان، وكرّست أعمال العلماء والأدباء ومهارة الحرفيين عهدًا ذهبيًا من الثقافة القيروانية التي لم ينطفئ بريقها إلى يومنا هذا في هذه المدينة التونسية العريقة التي كانت ومازالت سوقًا للمعرفة، يغترف من مناهلها الواردون على أحواضها، والمتعطشون لمعارفها، فذاعت شهرتها في الآفاق، وعم ذكرها أرجاء العالم الإسلامي، فلا غرابة بعد ذلك أن يقول فيها بانيها: «فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًا للإسلام والمسلمين».

قال أبو الحسن علي الحصري القيرواني (شاعر الزمان)، (ت ٤٨٨هـ):

ألا سقى الله أرض القيروان حيا
كأنه عبراتي المستهلات
فإنها لدة الجنّات تربتها
مسكية وحصاها جوهريات
إلاّ تكن في رباها روضة أنف
فإنّما أوجه الأحباب روضات

قال الشاعر أبو القاسم الغزاري:

فهل للقيروان و ساكنيها
عديل حين يفتخر الفخور
بلاد حشوها علم وحلم
وإسلام ومعروف وخير

بعد أن بدأ القائد المجاهد والي بلاد إفريقيا عقبة بن نافع الفهري يخطط لبناء مدينة القيروان، جعل الجامع ودار الإمارة أساسًا ومركزًا للتخطيط، وبدأ ببناء أقدم مساجد إفريقيا الذي بات يعرف فيما بعد باسمه.

قال خليفة بن خياط:

«وفي سنة خمسين اختط عقبة القيروان، وأقام بها ثلاث سنين»، وعندما عزم عقبة ومن معه على وضع محراب المسجد الجامع فكروا كثيرًا في متجه القبلة، وراقبوا طلوع الشمس وغروبها عدة أيام، وقال له أصحابه: إن أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمه، واجتهد عقبة، وكان موفقًا في اجتهاده، وأصبح محراب القيروان أسوة وقدوة لبقية مساجد المغرب الإسلامي.

بدأ بناء المسجد بسيطًا، صغير المساحة، تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف، وشكله الخارجي يوحي للناظر أنه حصن ضخم، إذ إن جدران المسجد سميكة ومرتفعة، وشُدت بدعامات واضحة، وحافظ الذين جددوا بناءه فيما بعد على هيئته العامة، وقبلته ومحرابه، وقد تمت زيادة مساحته كثيرًا، ولقي اهتمام الأمراء والخلفاء والعلماء، في جميع مراحل التاريخ الإسلامي، حتى أصبح معلمًا تاريخيًا بارزًا ومهمًا.

تجديد الجامع

بعد مضي أكثر من عشرين عامًا على بناء الجامع على يد القائد عقبة بن نافع، قام حسان بن النعمان الغساني بهدمه كله، ما عدا محرابه، وأعاد بناءه وقواه بعد أن زاد فيه ووسعه.

ثم قام الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بتجديد الجامع عن طريق واليه على القيروان بشر بن صفوان عام (١٠٥هـ)، فزاد في بنائه ووسعه، وأمر بشراء الأرض المحاذية للمسجد من جهته الشمالية وضمها إليه، وأضاف لصحن المسجد مكانا للوضوء، وبنى مئذنة للمسجد في منتصف جداره الشمالي عند بئر تسمى بئر الجنان.

وبعدها بخمسين عامًا قام يزيد بن حاتم والي أبي جعفر المنصور على إفريقيا بإصلاح وترميم وزخرفة المسجد.

وفي عام (٢٢١ هـ)، قام الأمير زيادة الله بن الأغلب بهدم أجزاء من الجامع لتوسعته، ورفع سقفه، وبنى قبة مزخرفة بلوحات رخامية على اسطوانة المحراب.

أراد الأمير زيادة الله هدم المحراب وتجديده، إلا أن فقهاء القيروان عارضوه وقالوا له: «إن من تقدمك توقفوا عن

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

ذلك؛ لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه»، وقال له بعض المعماريين: «أنا أُدخله بين حائطين فيبقى دون أن يظهر في الجامع أثر لغيرك»، فأخذ بهذا الرأي وأمر ببناء محراب جديد بالرخام الأبيض المخرم الذي يطل منه الناظر على محراب عقبة الأساسي.

في عام (٢٤٨هـ) قام أحمد ابن محمد الأغلبي بتزيين المنبر وجدار المحراب بلوحات رخامية وقرميد خزفي، ثم قام فيما بعد بتوسعة الجامع، وبنى قبة باب البهو وأقام مجنبات تدور حول الصحن.

أما المقصورة الخشبية الموجودة بجانب المحراب إلى يومنا هذا، فهي من حسنات المعز بن باديس، حيث قام بتجديد المسجد في عام (٤٤١هـ).

وفي سنة (٤٤٩هـ) غَزَتْ القبائل الهلاليّة الهمجية القيروان، وعاثوا فيها فسادًا، وأجلوا أهلها عنها، فاندسّ عمرانها، وعمّت الفوضى سائر البلاد وطوّقها البدو من كل جانب، وحوّلوا الأراضي المحيطة بها إلى مراع لمواشيهم، وغُلب أهل القيروان على أمرهم، وأصبحوا يشكون الفقر والفاقة، وتحوّلت المدينة- على حدّ قول الشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ)- إلى «أطلال دارسة وآثار طامسة».

وبعد انتهاء هذه الهجمة الشرسة قام الحفصيون بتجديد الجامع مرة أخرى، ثم توالى كثير من الولاة الذين اعتنوا بالجامع وخدموه، مع محافظتهم على مقاييسه الأولى التي كان عليها أيام إبراهيم بن أحمد الأغلبي.

جامع عقبة الكبير شاهد على دور القيروان في نشر الدين الإسلامي في المغرب العربي

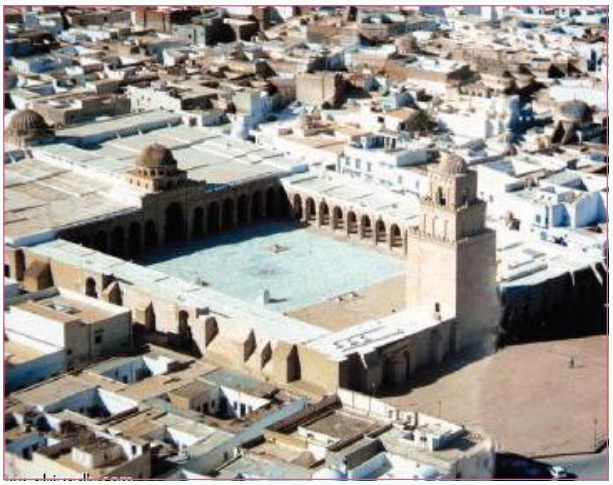

تبلغ مساحة الجامع الإجمالية (٩٧٠٠) متر، بطول بلغ (١٢٦) مترًا وعرض (٧٧) مترًا، أما صحنه المكشوف فيبلغ طوله (٧٠) مترًا، وعرضه (٣٨) مترًا، ولهذا الصحن مجنبات، عرض كل منها نحو ستة أمتار وربع المتر، ويغطي بيتُ الصلاة نصفَ مساحة المسجد تقريبا.

أما مئذنة الجامع التي تقع في الجدار المواجه للقبلة فهي من أجمل المآذن التي بناها المسلمون في العالم، فهي تتكون من ثلاث طبقات مربعة الشكل، تتدرج بحجمها، وفوق الطبقات الثلاث قبة مفصصة، يصل ارتفاع المئذنة إلى (٣١,٥) مترًا، يُصعد إليها بدرج ضيق بداخلها.

كما يتميز المسجد بأبوابه التسعة الضخمة، وقبابه الست: (قبة المحراب، وقبة باب البهو، وقبتان تعلوان مدخل بيت الصلاة في الشرق والغرب، وقبة تعلو المجنبة الغربية للمسجد وقبة في أعلى المئذنة).

أما زخارف المحراب والمنبر فهي من أروع زخارف الجامع، حيث تعد من تحف الفن الإسلامي النادرة، وآية في الإبداع والجمال.

التاريخ العلمي للجامع

كانت مدينة القيروان تقوم بدورين مهمين في آن واحد، هما: الجهاد والدعوة، فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والتوسعات، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلّمون العربية وينشرون الإسلام.

وكانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب العربي، تليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى، وقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة، وكانت حلقات التدريس في جميع العلوم تُعقد في مسجد عقبة، الجامع الذي كان له دور كبير في نشر الدين وتعليمه، وكان مذهب أبي حنيفة رحمه الله أظهر المذاهب، حتى جاء الملك المعز بن باديس (ت ٤٥٤هـ) وحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، رحمه الله، وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال على ذلك.

وقد أسست المدارس التي تم إلحاقها بالجامع وبغيره، وكان يطلق عليها اسم «بيت الحكمة»، حيث تعقد فيها مجالس العلم، وكان يحضر هذه المجالس العلماء البارزون من فقهاء المالكية والحنفية وغيرهم، ومن هذا البيت (بيت الحكمة) تسربت علوم الحكمة والمعرفة إلى العالم كله.

وقد أمّ الجامع وزارَه ووفد إليه ودَرَسَ ودرّسَ في مدارسه وفي مدارس القيروان كوكبة عظيمة من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مر العصور، ومن أشهرهم:

١- الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب، (ت ٧٣هـ)، توفي رضي الله عنه بمكة، وهو آخر من مات بها من الصحابة.

٢- الإمام التابعي إسماعيل ابن عبيدالله الأنصاري، (ت ١٠٧هـ)، وكان يُعرف بـ: «تاجر الله»، وقد انتفع أهل القيروان بعلمه كثيرًا.

٣- أبوعبدالله أسد بن الفرات بن سنان، (ت ٢١٣ هـ)، فاتح صقلية، الإمام المجاهد، والقاضي الفقيه المالكي، كاتب علم أبي حنيفة، وراوي الموطأ، والجامع لفقه الأحناف والمالكية وأعلم الناس بهما في المغرب.

٤- الفقيه القاضي سحنون

بن سعيد بن حبيب التنوخي، (ت ٢٤١هـ) «صاحب المدونة»، إليه انتهت رئاسة العلم في المغرب، وعنه انتشر علم مالك فيها، وحصل له من أصحاب مالك ما لم يحصل لأحد، ولما توفي رحمه الله تصدر للتدريس بعده في مجلسه بجامع القيروان عبدالعزيز بن يحيى المدني القيرواني.

٥- «مالك الصغير» ابن أبي زيد أبومحمد عبدالله القيرواني المالكي، (ت ٣٨٦هـ)، الإمام العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، «رائد المدرسة الفقهية المالكية».

٦- أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، له كتاب «العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه» الذي قال عنه ابن خلدون: «هو الكتاب الذي انفرد في صناعة الشعر وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله».

٧- الشاعر الأديب تميم بن المعز (ت ٥٠١هـ)، الذي أبقى على ديوان ضخم ينبض وجدانًا ومرارة.

٨- أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن علي الأنصاري، (ت ٦٩٩هـ).

٩- أبوإسحق إبراهيم بن عبدالسلام بن عبدالغالب المراتي، (ت ٧٠٤هـ)، خطيب جامع القيروان، وعلى يده انقطع الخمر من القيروان، بعدما كان بيعها إشهارًا جهارًا.

١٠- القاضي قاسم بن محمد نعيسي، (ت ٨٠٤هـ)، المعروف بـ: «ابن نعيسة».

هذا ولا يتسع المقام لذكر جماهير العلماء والأدباء الذين وفدوا ودرّسوا في المسجد، حيث كوّنوا مع بقية علماء القيروان مدارس متنوعة العطاء ومتكاملة الجهود.

وهكذا أصبحت مدينة القيروان مركزًا للعلم في المغرب الإسلامي، حتى كانت مفخرة المغرب ومركز السلطان، وأحد الأركان، ومنها خرجت علوم المذهب المالكي، وقد شهد مسجدها الجامع أنواعًا من حلقات العلم في جميع فروعه، إذ حلّ به في أول عهده جماعة من علماء التابعين، ولكنه لم يقتصر على علوم الفقه واللغة العربية وآدابها، فقد اشتغل علماؤه وطلابه فيما بعد بعلوم الفلك والطب والنبات والهندسة والرياضيات، وعلى الأخص في عهد الصنهاجيين والأغالبة وما بعدهما.

وكانت الكتب الفقهية التي ألفها علماء القيروان ابتداء من كتاب المدونة لصاحبه الفقيه الكبير «سحنون» والذي أصبح مرجعا دينيا لرجال القيروان، إلى رسالة ابن أبي زيد ونوادره وزياداته إلى تهذيب «أبي سعيد البراذعي»، كانت هذه الكتب وأمثالها عمدة الدارسين والشرّاح والمعلقين، لا يعرفون غيرها إلى المائة السابعة من التاريخ الهجري، عندما ابتدأت كتب المشارقة تأتي إلى المغرب، مثل «مختصر ابن الحاجب» و«مختصر خليل» فيما بعد.

ويتواصل اليوم إشعاع الجامع القيرواني؛ ليبقى المنارة التي حملت وأشاعت حضارة ديننا الحنيف، وساهمت في تواصل هذه الحضارة خالدة شامخة شموخ الإسلام ورسالته النبيلة، وازدادت هذه المنارة بريقًا عندما احتفل العالم الإسلامي بتتويج القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية لعام (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

المصادر

(١) قيروانًا: أي مكانًا للسلاح ومحطًا للجيش.
١- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي الفضل التنوخي، (ت ٨٣٩هـ).
٢- مختصر رياض النفوس في طبقات علماء مدينة القيروان (مخطوط)، تأليف الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد المالكي.

حوار

الشيخ الوشلي في حوار خاص:

مجالس العلم تحافظ على التراث الإسلامي

التحرير

أكد الشيخ محمد الوشلي أن الأمة اليوم مطالبة بالتمسك بالسنة المطهرة واتباع الهدي النبوي والتمسك بالقواعد الراسخة في عمق الإسلام.

وأوضح أن المحدث ينبغي أن يكون معروفًا بالاستقامة والصدق والدراية بالرواية، لافتا الى أن سبب قلة المحدثين في عصرنا الحالي يرجع الى فتنة الدنيا وشهواتها، وتربص الأعداء.

وقال الوشلي: إنه يفضل الحفظ عن الفهم، لأنه أساس المحافظة على ثوابت الإسلام.. «الوعي الإسلامي» التقت الشيخ على هامش زيارته للكويت أخيراً، وإليكم نص الحوار:

■ ما سبب الزيارة؟

– جئت إلى الكويت بدعوة من بعض طلبة العلم للقراءة عليَّ كتب البخاري ومسلم، والشمائل المحمدية للترمذي، والمنهاج للنووي، واللمع في أصول الفقه للشيرازي وغيرها من الكتب في مختلف الفنون.

■ ماذا تعني مجالس السماع؟

– هذه المجالس تعمل على الحفاظ على التراث الإسلامي الممتد على مدار ١٤ قرناً حتى باتت كل الأديان تعترف بالدين الإسلامي القائم على قواعد وقوانين ثابتة.

■ بالنسبة لطالب العلم، أيهما أهم الحفظ أم الفهم؟

– أرى أن الحفظ أهم لأنه أساس المحافظة على ثوابت الإسلام.

■ لماذا لايوجد مثل هذه المجالس في التعليم الأكاديمي؟

– لأن هذا الأمر متعلق بحاجات شخصية ورؤى ذاتية، حتى إني وقعت في مناظرة ذات مرة مع محافظ في اليمن حول مدى أهمية هذه المجالس للعلم والعلماء.

■ من الملاحظ في العصر الحالي قلة المحدثين، فما رأيكم؟

– صدقت، الواقع اليوم يؤكد قول النبي ﷺ بأننا غثاء كغثاء السيل، خاصة أن الفتنة في أوج نشاطها، وأعداء الله يكيدون ويتربصون بنا في الدنيا، والشهوات الحيوانية مرتع كثير من الشباب، والمثقفون والمسؤولون يعلمون ذلك علم اليقين.

■ ما هي أخلاقيات وصفات المحدث؟ وهل من الضروري أن يكون المحدث فقيهًا؟

– قد يكون المحدث فقيهًا أو غير فقيه، وقد يكون محدثًا وليس لديه من العلوم الكثير، فالمحدث العارف بالعلوم والفنون يكون أفضل، فأهم شيء في المحدث أن يكون معروفًا بالاستقامة والصدق والقدرة على الملاحظة والدراية بالرواية.

■ يقال إن هناك نية لعمل مجالس لكتب الفقه، ما رأيكم في ذلك؟

– هذا طبيعي، لأن الفقيه مرجعه مجالس الفقه المتعددة.

■ ما مواصفات طالب العلم؟

– الحرص والاجتهاد والقدرة على الإرشاد.

■ كلمة أخيرة توجهها إلى عموم المسلمين؟

– إن أهم ما نوصيهم به أن يتمسكوا بالسنة المطهرة وبالأخص قول الرسول ﷺ في حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا...»، كذلك ينبغي على المسؤولين اتباع هدي النبي ﷺ والتمسك بالقواعد الثابتة.

ترجمة الشيخ

- محمد بن قاسم بن اسماعيل الوشلي
- مواليد مدينة الزيدية في اليمن العام ١٣٦٠هـ
- قضى عمره في الدراسة على العلماء وطلب العلم ونشره ومرافقة والده.
- شيوخه: أحمد محمد عامر - عبد الرحمن الوشلي - عبدالله عبادي اللحجي - حسن المشاط - حسن الشاعر - حسين الزواك - محمد بن يحيى دوم - أحمد الشحري

يوم غابت القدوة

رشيد ناجي

إنها لمصيبة كبيرة أن يفقد النشءُ الجديد حقه من القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين، فيحتاج إلى أن يتدربَ على منهج الفصل بين كلام المربي وسلوكه، فيتعودَ على ألا يتأثرَ بالفعل إذا جاء مخالفا للقول عند المربي، ويتدربَ على طريقة الفصل بين النظرية والتطبيق، بحيث يَقبل النظرية ويؤمنُ بها ويعمل بها، دون أنْ يجد أثرَها في المربين، وهذا في الحقيقة تكليف بما لا يطاق، فأنى للصغار أن يتمكنوا من هذه القدرة الفائقة في حسن الانتقاء عن المربين، فيأخذون- بدقة- ما حَسُن من أقوالهم وأفعالهم، ويتركون الشائنَ من أخلاقهم وسلوكاتهم، وقاعدتُنا في كل زمان ومكان أنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

هل صدمتَ يوما في قدوتك؟ هل أحسست يوما أنك أخطأتَ في اختيار قدوتك؟ هل أنت اليوم بلا قدوة؟ هل افتقدتَ القدوة؟ هل كوَّنتَ شخصيتَك بنفسك دونَ الاعتماد على قدوة؟ هل قلتَ لقدوة خذلتك يوما: عذرًا، الآن لا أستطيع أنْ أتخذك قدوتي ومَثَلي؟ ولمن تقول: اسمح لي أنْ أقتدي بك؟

تختلف كلمات رجال التربية وقادة الإصلاح ورموز التغيير في الوسائل التي تصلح الرعية وتَبثُّ الروح في القلوب الميتة، ولعلَّ «القدوة» هي الكلمة التي نريدها أنْ تكون نموذجًا فعليًا لا حرفيًا في هذه المرحلة التي تمر بها الأمة.

بحثتُ عن رموز يمكن الاقتداء بهم في تراثنا فوجدتهم كثرا، كانوا هم سُلَّم المجد لأمة الإسلام عَبْر دقائق الزمن، وكانوا بحقٍّ نجوم السماء في ظلمات الجهل، فأين الأشباه والنظائر؟

لنرحل إلى حياة العلماء ولنفتحْ تاريخَهم، فماذا سنقرأ؟ أخبرني ماذا سنجد؟ إننا سنجد أعلى صور العزة في أقوى أزمنة الذل، وسنرى أروع المواقف في وقت الهوان، فأين الأشباه والنظائر؟

ولندخلْ إلى حياة الأبطال الذين هدموا- بالهمم- كلَّ آثار الكسل، وحطموا- بقوة الإرادة- جبال الخوف والوهم، فأين الأشباه والنظائر؟

فياعجبا لهم، كانوا في حياتهم رموزا وقدوات، ووالله إنهم بعد مماتهم قدواتٌ ورموزٌ، فأين الأشباه والنظائر؟

كانت حياتهم عظة وعبرة لكل مقصر، والآن حياتهم لنا أجملُ عظة، فأين من سيقرأ لعله يرقى؟

القدواتُ.. أعمالُهم أعلى من كلماتهم، وهمتُهم حياةٌ لأمتهم، وتاريخُهم صانعٌ لحضارات قادمة، فأين المتشبه بهم؟

القدواتُ صامتون ولكنَّ أعمالَهم تنطق عبرَ أثير الزمن لتكتبَ بماء الذهب في ديوان التاريخ «نحن صناع الحياة»، القدواتُ سيرتهم تنبئ عن سريرتهم، وذكرُهم يحيى أقوامًا موتى.. فما أعجبهم!

لذا تشتد حاجة المسلمين اليوم إلى مُثُل عليا، يقتدون بها، ويقتفون أثرها، ويحذون حذوها، وذلك بسبب ضعف فهم الناس للدين، وقلة تطبيقهم له، وغلبة الأهواء، وإيثار المصالح العاجلة، مع قلة العلماء العاملين، والدعاة المصلحين.. ففي هذه المرحلة من الزمن- وقد بدأت آثارُ الصحوة الحقة تظهر في مجتمعنا المسلم- تتضاعف حاجة المسلمين في مختلف أوساطهم وطبقاتهم إلى قدوات وريادات تكونُ نماذج واقعية، وأمثلة حية يرى الناسُ فيهم معاني الدين الصحيح، علمًا وعملًا، وقولًا وفعلا فيُقبلون عليهم، ويَنجذبون إليهم.

إنَّ التأثيرَ بالأفعال والأحوال أبلغُ وأشدُّ من التأثير بالكلام وحده، وقد قيل «شاهد الحال أقوى من شاهد المقال».

ويشهد لأهمية ذلك أنَّ الله- جلَّ وعلا- جعل نبيه ﷺ أسوة لمن بعده فقال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (الأحزاب: ٢١)، كما أمره أن يقتديَ بمن سبق من الأنبياء فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام:٩٠)، وهذا خليلُ الله إبراهيمُ عليه السلام لما جعله الله إمامًا للناس يُقتدى به قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أخبره الله تعالى أنَّ فيهم عاصيًا وظالمًا لا يستحقُّ الإمامة فقال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤) قال ابن جرير رحمه الله: هذا خبرٌ من الله- جل ثناؤه- عنْ أنَّ الظالم لا يكون إماما يَقتدي به أهلُ الخير، لأنَّ الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به.

ورأسُ الأمر في القدوة والأسوة الحسنة أنْ ندعوَ

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الناس بأفعالنا مع أقوالنا، يقول عبدالواحد بنُ زياد: «ما بلغ الحسنُ البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناسَ بشيء يكون أسبقَهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدَهم عنه»، ولما نبذ رَسولُ الله ﷺ خاتمَه وقال: «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه وقال: «إني لن ألبسَه أبدا» فنبذ الناس خواتيمهم (البخاري)، فدلَّ ذلك على أنَّ الفعل أبلغ من القول. ونحن- كما أسلفت- في هذه الفترة العصيبة التي تمر على الأمة من الضعف والهزيمة نحتاجُ أنْ نحققَ في أنفسنا أنموذجَ التطبيق الصحيح لهذا الدين، لكي يحقق الله لنا النصر والتمكين، ونسد على المتربصين أعداء الدين منافذ تسلطهم وسطوتهم باسم الإصلاح وحفظ الحقوق، إذ إنَّ المسلم القدوة أشدُّ على أعداء الدين من كل عُدَّة، ولذلك لما تمنى الناس ذهبا ينفقونه في سبيل الله، كانت مقولة عمر بن الخطاب «ولكني أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعينَ بهم على إعلاء كلمة الله»، فعسى إنْ كنا على مستوى حُسن الأسوة والتأسي أنْ يمكن الله لنا في الأرض وأنْ يجعلَنا أئمة ويجعلَنا الوارثين.

وفكرة القدوة مبنية في الطبيعة الإنسانية على مبدأ المحاكاة والتقليد المتأصلة في الطبيعة الإنسانية، فالكلُّ يقلد ويحاكي، كبارا كانوا أم صغارا، فأما الكبارُ فإنهم يقلدون في ملابسهم، وأثاثهم، ومراكبهم، وأنواع طعامهم، ومناهج تفكيرهم، ومذاهبهم، وتصوراتهم ونحوها، وأما الصغارُ فإنهم يقلدون في حركاتهم، وألعابهم، وكلماتهم

حاجة المسلمين تشتد اليوم إلى مثل عليا يقتدون بها ويقتفون أثرها

ونحوها. وكل ذلك لا يخرج عن التقليد والمحاكاة، سواء كان من الكبار أو الصغار، إلا أننا- لاعتيادنا- نتعجب من تقليد الصغار ومحاكاتهم التي تخلو عادة من المنطق، ولا نتعجب من أنفسنا حين يحاكي بعضُنا بعضا في أنواع اختياراتنا المختلفة في سلوكنا وفكرنا وتوجهاتنا، والتي تخلو أحيانا- بل ربما في كثير من الأحيان- من المنطق العقلي، والنظر الشرعي الصحيح، وإلا فأيُّ نظر شرعي، أو منطق عقلي يبررُ تقليد المسلمين للكفار في مذهب فكري ضال، أو سلوك خُلقي شائن؟!

ولما كان تأثيرُ القدوة مؤكَّدًا في ميدان التربية جاء التحذيرُ الشديدُ من الله- تعالى- للمؤمنين أنْ يتجنبوا الازدواجية السلوكية وذلك في مخالفة الأعمال للأقوال، حيث يقول تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٢-٣) نعم كبُر مقتا أنْ يقول المربي ويدَّعي ما لا يفعل، لأنَّ هذا القول وهذا الادعاءَ الذي يُكذبه الواقع العملي له تأثيرٌ سلبي على النشء من المتلقين، فهم لا يستطيعون أنْ يوفقوا بين أقوال المربي الحسنة، وبين أعماله القبيحة، وقدراتهم العقلية وقلَّة خبرتهم لا تسمح لهم بقبول القول والتغاضي عن العمل لصغر سنهم، فهذا صعب في عالَم الطفولة، في حين كم هو سهل في عالم الكبار، فكلُّنا أو جلُّنا لا يتعجبُ من مسلك النفاق الذي استشرى في الحياة الإنسانية، فقد أصبح مقبولًا في حياة الكبار أنْ يجمع الشخصُ في وقت واحد بين المتناقضات، فلا مانع من المناداة بالحق مع العمل بالباطل، ولا مانع من الأمر بالتقوى والمناداة بها مع التفريط في الواجبات، لقد أصبح مستساغا مقبولا عند جمهرة الناس أن أقوال الناس لا تطابقُ أعمالهم، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، فلا إنكارَ فيما بينهم، الكلُّ قد تلبَّس بهذا المسلك المشين، وكما قال الحكيم: «افتُضحوا فاتفقوا».

وبعض الناس يحبُّ أنْ يكون قدوة يُقتدى به في الخير، لما يعلم من عظيم الأجر والثواب الذي يصله من تأثّر الناس بفعله وقوله، كما قال تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾(الأنبياء:٧٣)، قال الحسن البصري رحمه الله: «من استطاع منكم أن يكون إماما لأهله، إمامًا لحيه، إمامًا لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب»، ومن دعاء الصالحين:﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ قال البخاري رحمه الله: «أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويَقتدي بنا من بعدنا»، وبعضُ الناس يريد أن يكون رأسا في الدين ليشار إليه بالبنان، ويوجه الأنظارَ إليه، ولينالَ بذلك حظوظا دنيوية- والعياذ بالله، فهذه رياسة في الدين مذمومة، بخلاف الرياسة المحمودة التي لا تريد شيئا مما في أيدي الناس، وإنما تتمنى الازدياد من الأجر بقدر استفادة الناس منها، وكونُ الإنسان قدوة يتطلب منه أن يتخلق بأخلاق الأنبياء، وهذه تحتاج مجاهدة عظيمة، ومن صدق الله وفقه وأعانه، وبلَّغه مقصودَه.

وبعد، فنحن في هذا الوقت في أمسِّ الحاجة إلى قدوات في العبادة، والدعوة، والأخلاق، وفي أمسِّ الحاجة إلى البحث في أسباب قلة النماذج التي يقتدى بها.

وإذا كان التوجيه الرباني للرسول ﷺ أن يقتدي بهدى الأنبياء، فنحن نتأسى به ﷺ ونسير على خطاه، مع استحضار أن وجود القدوة في هذا الوقت عنوان على شموخ الإيمان، وعزة الإسلام، فيالها من قلوب مؤمنة تلك التي اختارت طريق الجنة، وصبرت وجاهدت.

من أجل مجتمع أفضل

الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد

د. رامز الطنبور

من المعلوم أن الرقابة عملية كشف ومتابعة ووضع للأمور في نصابها، وهي عملية مستمرة تستهدف التأكد من صوابية العمل ومدى مطابقته للغاية المرسومة له.

لقد أدركت مختلف المدنيات قيمة الرقابة ودورها في توجيه الأعمال وتحقيق نجاحاتها، ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام الحنيف بالرقابة كأداة ناظمة للمجتمع، تصوب مسيرته وتسد ثغراته واعتبرها ضمانة لحق العباد المصان في الشريعة الإسلامية.

وتتنوع مداخل الرقابة في الإسلام في صورة رباعية الأبعاد، تحقق إحاطة حيوية إنسانية متكاملة، وتتوزع على المدخل الذاتي للرقابة، والمدخل الاجتماعي، والمدخل الإداري، والمدخل القضائي، وتؤمّن مُجتمِعة ضمانة كبرى لمجتمع متضامن متكامل.

الرقابة في الإدارة الإسلامية ذاتية واجتماعية وإدارية و قضائية

الرقابة الذاتية هي استعداد لمراقبة النفس، وهي تعتمد على دافع إيماني داخلي لا يمكن مراقبته خارجيًا، فالرقابة الذاتية فعل إيمان بالله، فالمؤمن يراقب الله تعالى في كل تصرفاته، وكلما زاد إيمانه زادت مراقبته لنفسه وقام على تقويمها وضبطها في المسار الذي يرضاه الله تعالى، وتلك مرتبة رفيعة وهي مرتبة الإحسان، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (صحيح البخاري).

والمسلم الملتزم يعمل على القيام بحق الله تعالى وبحق العباد، ويراقب عمله ويحاسب ذاته كي يصوب ويصحح المسيرة، وهو بذلك يكون قد أدى الأمانة ووفى بالعهد، وهذه من صفات المؤمنين، قال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ (المؤمنون: ١-٨).

فالعمل مهما كانت طبيعته ومركزه هو أمانة في يدي العامل به، والمراقبة الذاتية تكون قبل العمل بحسن الاستعداد له، وأثناء العمل من خلال الاتقان في تأديته، وبعد العمل من خلال مراجعة الأخطاء، وفي هذا المضمار يقول الإمام العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

والرقابة الذاتية فعل مرتبط بإيمان الفرد بالله تعالى، لذلك فهو يعمل على أن تكون تصرفاته موافقة لما يريده الله ويرضاه، والفرد العامل في منظمة ما يجب أن يراعي حق صاحب المنظمة من خلال قيامه بكامل واجباته، وهذا ما يدعو إليه الإسلام، وقوة الرقابة الذاتية وفعاليتها تأتي من إيمان الفرد برقابة الله تعالى عليه، فهو يشعر في كل آونة وكل حركة وكل معاملة أنه في كنف الله تعالى يطلع عليه وعلى أعماله، لذلك يحاول أن تكون على أفضل صورة، قال تعالى ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ (آل عمران:٥)، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (غافر: ١٩) وعلى هذا الأساس ينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل، هل حركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان الله تعالى أمضاه وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

وقد عرف المجتمع الإسلامي صورًا عديدة من الرقابة الذاتية أثرت بعمق في نفوس المسلمين، وليست قصة بائعة الحليب وحوارها مع ابنتها إلا صورة من تلك الصور، جاء عن أسلم قال «بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعس بالمدينة إذ عيي فاتكأ على جانب جدار، وفي جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامزجيه بالماء، قالت لها يا أمتاه، أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء، فإنه بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء».

الرقابة الاجتماعية، وهي وجه آخر من وجوه الرقابة، حيث إن تركيبة المجتمع الإسلامي تقوم على التضامن والتكافل والروح الجماعية، قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١).

وهذا النوع من الرقابة يطال جميع العاملين، والناس على مختلف مواقعهم مما يؤكد أن للرقابة الاجتماعية دورًا بارزًا، وغالبًا ما كانت تُحسّن من الأداء وتضبط السلوك، وتتجسد الرقابة الاجتماعية في مواقف مهمة من تاريخ المسلمين، فقد خطب أبوبكر الصديق رضي الله عنه يوم مبايعته للخلافة قائلًا: «فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة»، وليس بعيدًا عن ذلك ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه «من رأى فيّ اعوجاجًا فليقومه بحد السيف».

هذا الإصرار والطلب للرقابة

باحث إداري واقتصادي

الاجتماعية متناسق مع عمق حقيقة الرقابة الذاتية، ومن صدق استشعار المسؤولية.

أما الرقابة الإدارية، فبالرغم من اهتمام الإسلام بالرقابة الذاتية والاجتماعية، إلا أنه لم يغفل عن الرقابة الإدارية التي تتجلى في مراقبة المسؤول لعماله والمدير لموظفيه.. مهما بلغ كبر وحجم الوظيفة رسمية كانت أم خاصة، وتعتمد الرقابة الإدارية على المتابعة والمساءلة والمحاسبة، ذلك أن انعدام عنصر المتابعة يجعل الأمور متروكة على غاربها، وفقدان عنصر المساءلة يجعل الموظف والعامل لا يأبهان بالعمل الموكل إليهما، أما إغفال عنصر المحاسبة فيؤدي إلى أنه لا فرق في أداء العمل ونتائجه جيدة كانت أو سيئة، فيصبح الاجتهاد والكسل سواء، وينعدم العبء بالنتائج والانتاج، فتنقلب الأمور، ويضيع حق الناس، وهذا ما يحاربه الإسلام وينأى عنه، ويؤكد بالمقابل على عكس ذلك، قال تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١) فللإنسان سعيه وعلمه وعطاؤه، وهذا السعي ليس متروكًا سدى بل هو ملحوظ ومتابع ومرئي، ونتيجة ذلك سيكون الجزاء (المساءلة والحساب) الجزاء الأوفى على قدر السعي، وتأكيدًا على المساءلة والمحاسبة وارتباطهما بالشخص الفاعل وليس بسواه، قال تعالى ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (الأنعام: ١٦٤).

وقد تم اعتماد أساليب عدة من الرقابة الإدارية أبرزها:

١- رصد العيون، فقد كان الخليفة يرصد العيون للتأكد من أن الولاة يقومون بمهامهم بالشكل

المطلوب، وهذا الأمر جعل الولاة يشعرون دومًا بأنهم مراقبون، وفي كتاب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه إلى والي مصر الأشتر النخعي يرشده لمراقبة عماله قال: «ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء».

٢- اتخاذ عامل لمراقبة الولاة، حيث كان الخليفة ينتدب وكيلًا خاصًا ليتقصى حقيقة الشكاوى الواردة إليه عن ولاته في الأمصار من عامة الناس أو من العيون والرقباء، وقد أوكل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى محمد بن مسلم مهمة التحقيق في الشكاوى التي ترد إليه من الناس.

٣- الكشف عن الممتلكات: وهي رقابة على الغني والثروة غير المتلائمة مع المدخول، ويقضي هذا الإجراء بأن يقدم الوالي أو الموظف كشفًا عن ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة، ثم يكون عرضة لمساءلة المسؤول أثناء الوظيفة أو بعدها عما طرأ على ممتلكاته، إذا كان ما طرأ عليها من زيادة يفوق التصور ويفوق المدخول، وهو ما يعرف بزماننا: «من أين لك هذا»؟ وقد عرفته الإدارة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؟!

٤- الاحتكام إلى المظهر، وهو قريب من الكشف عن الممتلكات وفيه أنه إذا ما ظهر على عامل دلائل الغنى والمظاهر الفخمة فإنه يسأل عن ذلك.

٥- الاطلاع على ما يحمله عند العودة: فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر ولاته القادمين إلى المدينة المنورة - مركز الخلافة حينها- أن يدخلوها نهارًا، ليظهر عيانًا ما يحملونه من متاع.

٦- سؤال الرعية عن حال الموظفين (الولاة)، فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وسائل رقابته على ولاته في الأمصار أنه كان إذا ما وفد عليه وفود من تلك الأمصار سألهم عن أحوالهم وحال ولاتهم وإداراتهم وحكمهم.

ولم تنحصر الرقابة في الإسلام في الأشكال الثلاثة التي تم عرضها، الذاتية والاجتماعية والإدارية، بل يضاف إليها **الرقابة القضائية** التي كان يهابها الكثير من الناس فشكلت بذلك عنصرًا رقابيًا إضافيًا، حتى إن رأس الدولة (الخليفة) خضع لرقابة وسلطة القضاء، فكيف بالموظفين الإداريين ورؤساء الدوائر والمنظمات، والقضاء هو المؤهل للنظر في الخصومات الخاصة التي تقع بين كبار رجالات الدولة فيما بينهم وبين المواطنين، حيث كان يمثل الخصمان أمام القاضي مهما كان مركز كل منهما، ويستمعان إلى ما يقوله، ويعملان بحكمه، من دون تردد، وهذا شكل آخر من أشكال الرقابة التي اعتمدتها الإدارة الإسلامية، ورغم أنها تأتي كنتيجة علم ما ولكنها تعتبر حافزًا مهمًا لأشكال الرقابة التي سبق ذكرها، حيث إن نزاهة القضاء واستقلاليته تُطمئن العامة والخاصة بأن الحق سيعود إلى نصابه وأن المنحرف عنه سينال جزاءه لاحقًا، وفي ذلك حافز للإحجام عن ارتكاب التقصير والإهمال.

وهكذا فإن الرقابة في الادارة الاسلامية رقابة متماسكة متكاملة توحي بالإحاطة التامة بمجريات الأمور في المنظمة، وتقوم بأساسها على عامل ديني مهم، وهي الإيمان المطلق برقابة الله تعالى بحيث يشكل الردع الإيماني الأساسي للرقابة الذاتية، وإذا تحقق امتثال سائر أعضاء المنظمة لهذا الشكل الرقابي كان خيرًا وايجابية كبرى، وإلا فيأتي دور الرقابة الاجتماعية التي يمثلها المجتمع، ومن حق المجتمع أن يتدخل، لأن أي خلل وهدر وفساد في الإدارة سينعكس سلبًا عليه، أما الرقابة الإدارية فهي التي تمسك بمعظم الإجراءات المفضية إلى حسن الأداء وتقويم المسلكية من داخل المنظمة ولها حق استعمال السلطة حين لا يمتثل المعنّي طوعًا ونظامًا لآداب وتعاليم الإدارة الإسلامية.

استقلال الأرض الحبيسة «كوسوفا»

اعتراف أم تجاهل؟

د. صلاح عبدالمتعال

الخبير الاجتماعي

كوسوفا ليست حبيسة كغزة فلسطين بفعل وغدر إسرائيل وأضرابها من صهاينة أميركا وأوروبا الذين يساندونها في باطل القول والفعل، ويحكمون الحصار والعدوان عليها إلى درجة التهديد بالموت والإفناء، ولكنها حبيسة من ناحيتين، الأولى بفعل موقعها بين أحضان الحدود الإقليمية السياسية لصربيا والجبل الأسود ومقدونيا وألبانيا، دون أيّ منافذ بحرية، والثانية أنها ـ ثالثة مع غزة في الحصار العدواني المستمر عليها من صرب البلقان لرغبة شعبها الألباني المسلم في التحرر وإعلان دولته المستقلة عن نفوذ بلغراد التي ألغت حكمها الذاتي الذي كانت تمارسه إبان حكم يوغسلافيا الاتحادية قبل انفراط عقدها.

كوسوفا الدولة التي استقلت عن جمهورية الصرب في ١٧ فبراير ٢٠٠٨م، وعاصمتها «برشتينا»، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢,٥ مليون تمثل الأغلبية ٩٢٪ من الألبان، وأقلية من الصرب والمونتينجري والبوسنيين والغجر والأتراك، ويعتبر الإسلام هو الدين الرسمي داخل الإقليم، حيث تبلغ نسبة المسلمين وسط الألبان حوالي ٩٩٪، كما أن هناك أقلية ألبانية صغيرة جدا تعتنق المذهب الكاثوليكي تتمركز في شمال كوسوفا.

وهي في الأصل جزء من ألبانيا وقت خضوعها للحكم العثماني طيلة خمسة قرون، ولكنها اجتُزأت إثر أفول نجم الخلافة الإسلامية وضمها إلى صربيا للحيلولة دون قيام دولة إسلامية في أوروبا، وبعد الحرب العالمية الثانية ضُمّ إقليم كوسوفا إلى يوغسلافيا الاتحادية في عهد الرئيس «تيتو» ومُنِح حكما ذاتيا سنة ١٩٧٤م حتى أواخر سبعينيات القرن العشرين، وبُعَيد تفكك اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ألغى مجرم الحرب الرئيس الصربي «سلوبودان ميلوسوفيتش» الحكم الذاتي، وأخضعها بحكم قمعي في غاية العنف والاضطهاد العرقي والديني، مما ترتب عليه حركة مقاومة قومية دينية أدت إلى إجراء استفتاء عام انتهى إلى التأييد والمطالبة بالانفصال عن صربيا وإقامة جمهورية مستقلة، وأعقبه في نفس عام ١٩٩٢م قيام عصيان مدني في إطار حزب الاتحاد الديموقراطي الألباني بقيادة الأديب الأستاذ الجامعي «إبراهيم روغوفا» الذي انتخب رئيسا لجمهورية كوسوفا التي لم تعترف بها صربيا، ولكن لم ينجح الرئيس المنتخب بمنهجه السياسي السلمي في كسب التأييد للاعتراف الدولي، وإثر ذلك تم تأسيس الجيش الشعبي لتحرير كوسوفا واشتبك في صراع دام مع الجيش الصربي الذي ارتكب مجازر وَحشية ضد المدنيين الألبان، بلغ ذروته سنة ١٩٩٨م مما دعا القوى المؤثرة في حلف الناتو وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية إلى التدخل في مارس ١٩٩٩م، فشنت طائرات الحلف غارات جوية على صربيا مما أرغم ميلوسيوفيتش على الانسحاب من كوسوفا، وفقدت بلجراد السيطرة الفعلية على إقليم وُضع تحت حماية الأمم المتحدة والحلف الأطلسي، وانتشر في ربوعه نحو ١٧ ألف عسكري، فكسبت قوات الحلف باسم تأييدها للدول المستضعفة سمعة سياسية لتدعيم الحريات، وفي الوقت نفسه أرست قواعد لها في منطقة البلقان ضد الحسابات الروسية المستحدثة لحائط الدرع الصاروخي.

إذا كان استقلال كوسوفا مطلبا مصيريا لأهلها قد تحقق، إذ اعترفت باستقلالها ٦٣ دولة على رأسها الولايات المتحدة وعدد من دول الاتحاد الأوروبي والسعودية والبحرين، ولكي تصبح عضوا في الأمم المتحدة يجب أن تحصل على اعتراف ٩٧ دولة، وهناك دول أوروبية كإسبانيا لم تعترف باستقلال كوسوفا على اعتبار أن إسبانيا ترفض استقلال إقليم الباسك عن أراضيها؛ لذلك فهي لا تؤيد انفصال إقليم آخر، لأنه «غير قانوني ومخالف لاتفاق وقف إطلاق النار»،

وعلى نفس النهج والمبررات رفضت روسيا استقلال كوسوفا، ومازالت صربيا تتمسك بسراب عودة كوسوفا إلى نفوذها باعتبارها جزءًا منها فلجأت إلى محكمة العدل الدولية طمعا في استصدار حكم يدعم موقفها رغم أنه قرار استشاري غير ملزم، ولكن على الأقل يفتح أبواب التفاوض لحل المشكلة سلميا، ولكن تؤكد كوسوفا بأنه ليس ثمة ما يمكن التفاوض فيه مع الصرب.

لقد أوضح «حسيني سكندر» وزير خارجية كوسوفا أن الجمهورية تتفوق على صربيا من حيث عدد الدول التي تدعم قرار الاستقلال، مبينا أن كلا من الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والنرويج والأردن وكرواتيا وبلغاريا والبحرين والدانمارك وفنلندا ستقوم بتقديم توضيحات شرعية تدعم قرار الاستقلال، وتوقع حسيني أن يكون قرار المحكمة هو المرحلة الأخيرة في خسارة صربيا لمعركتها في فرض هيمنتها على كوسوفا، مشيرا إلى أن قرار المحكمة المنتظر سيؤدي إلى تدفق الاعترافات الدولية باستقلال بلاده.

ومن ناحية أخرى إذا كانت كثير من دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة قد أيدت هذا الاستقلال، فإنه لم يكن لأجل خاطر عيون ألبان كوسوفا أو انتصارًا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو للديموقراطية كما تزعم الولايات المتحدة الأميركية، فأين هم من مؤازرة الدول المقهورة سياسيا؟! وأين هي الولايات المتحدة من نصرة الشعب الفلسطيني عندما تسيء استخدام الفيتو لرفض حقوقه على المستوى الدولي في مجلس الأمن؟ فثمة واقع أن تحرير كوسوفا على يد ضربات الناتو لصربيا هي في الوقت ذاته مطمع لأوروبا وأميركا بسبب الخيرات الكثيرة التي تنعم بها ويتوقع أن يقتسمها الجانبان بعد ضمها للاتحاد الأوروبي، فكوسوفا رغم أن مساحتها لا تتعدى حوالي ١١ ألف كم فإنها تعتبر من أخصب المناطق في البلقان وأغناها بالثروة المعدنية، حيث إنه على مستوى الاتحاد اليوغسلافي السابق كانت تنتج أكبر نسبة من الرصاص والزنك

مفتي كوسوفا يستغرب تردد بعض الدول العربية والإسلامية في الإعتراف بإستقلال بلاده

والفضة والنيكل والذهب ونسبة هائلة من احتياطي البسموس والفحم والمغنسيوم، وتوجد أيضا كميات كبيرة من البوكسيت الحديدي والجاليوم والنحاس والزئبق، وتشتهر بزراعة القمح والشعير والشوفان وزهرة الشمس والبنجر.

وبالنظر إلى تركز كل هذه الثروات الطبيعية فيها كانت دوما هدفا للطامعين على مر التاريخ، ويرجح أن يستمر هذا مستقبلا، وثمة أمر آخر لا يغيب عن الوعي أو البال وهو أن من أهم مكاسب التأييد الأميركي الأوروبي الحدّ من محاولات إقامة دولة إسلامية في أي بقعة من أوروبا، والتأكيد على علمانية الدولة الناشئة مثلما فعلت بالنسبة للبوسنة والهرسك، لقد فرض الجانب الذي تتزعمه الولايات المتحدة- بعد إجبار الجيش الصربي على الانسحاب- على جيش تحرير كوسوفا أن يحل نفسه، ويسلم أسلحته ويتحول إلى حزب سياسي للحيلولة دون سيطرته على السلطة أو تشكيل جيش مسلم مستقبلا، إضافة إلى ذلك وبدلًا من تمكين الكوسوفيين من إدارة شؤونهم بأنفسهم ولو تحت حماية دولية فُرض على كوسوفا إدارة أجنبية مدنية وعسكرية للحيلولة دون تشكيل حكومة ذات صبغة إسلامية.

هذا ما انتهى إليه المشهد السياسي في كوسوفا التي استقلت ويربض عليها، إلى حين كما يزعمون، قواعد ومعسكرات متناثرة على أراضي كوسوفا.

ولكن في مشهد واقعي اطّلعت عليه ضمن وفد مجلس أمناء اتحاد الجمعيات الأهلية في العالم الإسلامي Union Of NGO.s In Islamic world UNIW وذلك في زيارة لمشيخة كوسوفا في برشتينا العاصمة في ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩م أفاض فضيلة مفتي كوسوفا وعميد كلية الدراسات الإسلامية الشيخ «رجب بويا» حول الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية في مجتمع كوسوفا الذي يتمتع بأغلبية ٩٢٪ من الألبان المسلمين، وكيف أن مؤسسات العمل الاجتماعي هي الدعامات الأساسية التي يمكن أن تستنهض فيها الهمم لإعادة بناء كوسوفا المستقلة بعد مخلفات معركة التحرير التي ارتكب الصربيون فيها مجازر يشيب لها الولدان ضد مدنيين دمرت مساكنهم، وهدمت مئات المساجد أعيد بناء ٢٨٠ منها، وأنشئ ١٨ مسجداجديدا بفضل الجهود السعودية والإماراتية والكويتية والبحرينية والتركية، كذلك الدعم من ماليزيا وسلطنة بروناي، كما قام البنك الإسلامي بإنشاء ١٧ مدرسة حكومية، وجدير بالذكر أن إيطاليا قامت بترميم ٤ مساجد بإتقان فني ملحوظ، وهناك ١٢ مسجدا من القرن الخامس عشر الميلادي تنتظر الترميم.

ويذكر فضيلة المفتي أنه مقابل العمل الاجتماعي الإسلامي تدعم المؤسساتُ التبشيرية المسيحية ٨٢٠ مؤسسة تحت مظلة الأعمال الخيرية، ورغم ذلك لم يُنَصّر إلا ١٦٠ فقط من أهل الديار، ويشكو فضيلته أنه منذ عشر سنوات لم يدخل لميزانية المشيخة أي دعم مالي من أي جهة رسمية، ولكن تستمر المشيخة في أنشطتها بفضل التدعيم الأهلي من الشعب الكوسوفي مما يساند المشيخة لأداء رسالتها لنشر الإسلام ودعمه في أوروبا رغم الصعوبات والمشكلات الحياتية التي خلفها العدوان الصربي خلال معارك التحرير، وتشجيعها وتدعيمها للعمل الاجتماعي لحل مشكلة البطالة التي بلغت نسبتها نحو ٨٠٪ إثر الانتهاء من العدوان الوحشي الصربي.

لقد حاولت نخوة بعض القوى الشعبية في العالم العربي والإسلامي دعم هذه البلاد في محنتها معنويا وماديا وجهاديا مما ترتب عليه غلبة الهاجس الأمني للأنظمة السياسية للدول المترددة في الاعتراف والتأييد بكل أشكاله، حيث أصبحت هذه المناطق أشبه بالدوائر المحظور الاقتراب منها إيثارا للسلامة والبعد عن الشكوك الأمنية المغلوطة.

الصهيونية وتأثيرها في تكوين المصطلح السياسي الغربي

رجب عبدالوهاب

«استطاعت الصهيونية العالمية أن تتوغل في البيت الأبيض ووزارة الدفاع (البنتاجون)، كما سيطرت على أكثر مقاعد مجلس الشيوخ الأميركي (الكونجرس)، ووزارة الخارجية، واستطاعت أيضا توجيه السياسة الأميركية منذ انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية». هذا خلاصة ما توصل إليه شتيفان ولت، وجون ميرسهايمر، أستاذا العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعتي هارفارد وشيكاغو في كتابيهما «تأثير اللوبي الاسرائيلي- الصهيوني على السياسة الأميركية» الصادر في عام ٢٠٠٧م، والمدقق في الأمر لا يرى تأثير الصهيونية يقف عند المذكور آنفًا، وإنما يمتد على نطاق واسع، حيث يشمل أغلب المجتمع الغربي في الماضي والحاضر.

يؤكد ذلك أن نقف عند «المصطلح السياسي الغربي» لنرى مدى التأثيرات الصهيونية في تكوينه وإعطائه مدلولاته التي تخدم مصالحها وتدفع به في اتجاه يخدم أهداف هذا الكيان الذي بات شوكة في ظهر الإسلام والعروبة.

معاداة السامية

وهو من أهم المصطلحات السياسية التي أحرزت شيوعًا في العالم الغربي، ويعكس التحيزات العرقية والمركزية الغربية التي ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفي (آري- سامي)، ويظهر فيه بوضوح أثر الصهيونية، يدلنا على ذلك أن المجال الدلالي له أصبح يشير إلى أي شيء، ابتداء من محاولة إبادة اليهود، وانتهاء بالوقوف ضد إسرائيل بسبب سياستها القمعية ضد العرب، مرورًا بإنكار الإبادة.

وقد عملت الصهيونية لنشر هذا المصطلح على نطاق واسع في العالم الغربي، ويكفي هنا أن نذكر أنه في شهر إبريل من عام ٢٠٠٥م انشغلت أكثر الدول الأوروبية بظاهرة تنامي «معاداة السامية» على جدران شوارعها وصفحات جرائدها ذات التوجه الليبرالي، ففي هذا الشهر عُقد ما لا يقل عن ثلاثة مؤتمرات وصدر تقريران، كلها تتعرض لظاهرة «معاداة السامية» وأتاحت هذه الفعاليات مجالا للمنظمات اليهودية في أوروبا ولساسة إسرائيل ومن والاهم من الأوروبيين لإعادة التذكير بمأساة المحرقة ودق طبول التحذير مما هو آت.

أحد هذه المؤتمرات عقد في برلين، وعقدته «منظمة الأمن والتعاون الأوروبي» التي تعد أكبر تجمع إقليمي يعنى بالشؤون الأمنية، وأصدر وثيقة صدرت تحت اسم «بيان برلين» وحذرت من أن «معاداة السامية قد بدأت تأخذ أشكالاً جديدة تشكل تهديدًا للديموقراطية وقيم الحضارة، وبالتالي لأمن دول الاتحاد».

ليس هذا فحسب، بل سعى البيان أيضًا إلى حشد كل المنظمات التابعة للأمم المتحدة مثل لجنة الأمم المتحدة لمكافحة التفرقة العنصرية واللجنة الأوروبية ضد العنصرية والتعصب، وكذا المركز الأوروبي لرصد اتجاهات العنصرية ومعاداة الأجانب وغيرها من المنظمات.

الغريب في الأمر أن هذه التقارير والفعاليات التي ركزت جل اهتمامها على المعاناة التي يتعرض لها يهود أوروبا، تلمح أحيانا وتصرح أحيانا أخرى بأن السبب الرئيس في هذه المعاناة هم أفراد من الجاليات الإسلامية المقيمة في أوروبا.

الليبرالية السياسية

ومن المصطلحات التي كان للصهيونية تأثير في شيوعها في العالم الغربي «الليبرالية السياسية»، وطبقًا لقواميس ومعاجم المصطلحات الغربية يشير هذا المصطلح إلى نظام سياسي يقوم على ثلاثة أسس هي العلمانية والديموقراطية والحرية الفردية.

وقد لعب الصهاينة الدور الأكبر في ترسيخ الفكرة الليبرالية في المجالات الغربية.. السياسة والاقتصاد والفكر، وقد لا يكونون هم من ابتدعها، فالأقرب أنها ابتدعت تلبية لحاجة نفسية، وثورة على كبت مطلق، لكنهم أحسنوا استغلال هذه الحاجة والثورة، بما يحقق أهدافهم على حين غفلة.. يقول كتيبهم المشهور بـ« البروتوكولات» «إن هتافنا بكلمات

باحث في القضايا السياسية

الحرية، والمساواة، والإخاء، مع جهود دعاتنا المسخرين اجتذب في كل أنحاء العالم جيوشا جرارة من البشر، حملت أعلامنا بكل فخر وحماسة، في حين أن هذه الكلمات الساحرة كانت سوسا ينخر في كيان المسيحيين (الجوييم).

هذا يؤكد أن الصهيونية انطلقت في ترسيخ الفكرة الليبرالية من فهم نفسيات الشعوب، من حيث سيطرة العاطفية والسطحية على شعورها، وضعف إدراكها لخفايا الأمور.

وقد اتخذ الصهاينة هذه الفكرة وسيلة لهدم كل الحكومات الأرستقراطية الملكية القائمة الثابتة، الحاكمة حكما مطلقا، واستبدال حكومات غير ثابتة ومتغيرة على الدوام، وذات سلطة محدودة بها، بدعوى تحقيق الليبرالية، التي يدركون يقينا أنها لن تكون خيرا من الملكيات والحكومات ذات السلطات المطلقة، لكن كان لابد من الترويج لها من أجل هذا الهدف، وهو إزالة الأنظمة التي تعوق خطط الصهيونية اليهودية الماسونية في الوصول إلى الحكم.

النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني

مصطلح «النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني» أحد المصطلحات المراوغة التي تهدف إلى إقرار حق الطرفين في الأرض، فالنزاع ينشأ غالبًا بين طرفين لكل منهما حق، والمصطلح بهذا المعنى يقلب الحقائق التاريخية، إذ يقر للصهاينة بحقهم في أرض فلسطين، ويجعل المسألة الفلسطينية تبدو وكأنها مجرد تنازع على ملكية أرض، لطرفي القضية حق فيها، والغاية الرئيسية لهذا المصطلح السياسي السائد

مصطلح «النزاع الاسرائيلي الفلسطيني» مصطلح مراوغ يهدف إلى إقرار حق الطرفين في الأرض

في الصحافة الأميركية، هي دفع القراء والجمهور الأميركي لقبول كل ما يصدر عن إسرائيل والموافقة الآلية على ما قد يرفضه الجمهور نفسه فيما لو كان يتعلق بطرف آخر غير إسرائيل، وهو ما يفسر لدينا إعلان البيت الأبيض ترحيبه بالخطاب الأخير لرئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو في شهر يونيو الماضي، معلنًا أنه «خطوة كبيرة للأمام».

اللافت للنظر أن هذا المصطلح طُوِّر في الإعلام الأميركي الخاص بتغطية القضية الفلسطينية، حتى باتت السمة الرئيسية لهذا المصطلح أن يهيكل ويمنهج الطريقة التي تقرأ بها هذه القصص والتغطيات الإخبارية الخاطئة على نحو يجعل من الصعب على القارئ إدراك كنه هذه القصص ومدى صحتها من عدمه، بل تحجب تلك الطريقة عن الساسة الغربيين أنفسهم فرصة النظر الناقد إلى ما يكتبونه عن القضية الفلسطينية.

يؤكد ذلك أن أوصاف الساسة الفلسطينيين والحركات السياسية الممثلة لهم، في الإعلام الغربي غالبًا ما تعتمد أوصافا تتراوح بين «المتطرفين» و«المعتدلين» وعادة ما يبدو صوت الفئة الفلسطينية «المعتدلة» مقبولا، بينما ينظر نظرة سلبية إلى مواقف وآراء «المتطرفين»، وترى الجميع يستخدم هذه المصطلحات ويقرر مواقفه وآراءه بناء عليها، من دون أن يكلف نفسه مشقة تأمل ما تعنيه على وجه التحديد.

في مقابل ذلك يلاحظ صبغ الساسة الصهاينة بصبغة مختلفة عن تلك التي يصبغ بها الساسة والمتحاورون الفلسطينيون، فالساسة الإسرائيليون يقسمون في الإعلام الأميركي مثلا على أساس «صقور» و«حمائم»، وخلافًا لنظرائهم الفلسطينيين، فليست ثمة صفة سلبية تلحق بأي من هذين الوصفين للساسة الإسرائيليين المستعارين من عالم الطيور، وهنا يجب علينا أن نثير السؤال: لماذا لا يوصف أي سياسي فلسطيني في المصطلح السياسي الغربي بأنه ينتمي إلى فئة «الصقور»، كما لا يوصف أي سياسي إسرائيلي بأنه «متطرف»؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال تتضح إذا بحثنا عن دور الصهاينة ودعاياتهم في التأثير على الخطاب السياسي الغربي، فمتابعة الدعاية الصهيونية وآثارها في الإعلام الغربي، تكشف أن اليهود تضخ مئات الملايين من الدولارات على ما يطلق عليه بالعبرية «هاسبارا» أو المعلومات الموجهة إلى العالم الخارجي، وتضاف إليها الخدمات الإعلامية والمتمثلة في الرحلات المجانية للصحافيين النافذين والولائم والهدايا، بالإضافة إلى إمطار أعضاء الكونجرس الأميركي بدعوات لزيارة الكيان الصهيوني، فضلًا عن غزارة المطبوعات والندوات والمؤتمرات وتدريب المذيعين وتلقينهم الإشارة دائمًا إلى المحرقة ومحنة اليهود وتشويه صورة الانتفاضة بالإرهاب، والهدف دائمًا هو إظهار الكيان بأنها ضحية بريئة للعنف والإرهاب، وأن العرب لا سبب لديهم للنزاع معها سوى الكراهية اللاعقلانية المستحكمة لليهود.

لقد نجحت الصهيونية في التأثير في الخطاب السياسي الغربي وتكوين مصطلحاته، فبات هؤلاء «الجوييم»- كما تصفهم «البروتوكولات»- مقتنعين بأن ما يفعله العرب بحق الإسرائيليين مدمر، متعصب، عنيف، يستهدف إبادتهم ورميهم في البحر، ومناهض للسامية، وإنها - أي إسرائيل - الحليف الصادق الوحيد، وهكذا تدفقت عليها المساعدات، ويكفي هنا أن نذكر أن حجم المساعدات التي تلقتها إسرائيل بين عامي (١٩٦٧-١٩٨٥م) بلغ ٩٢ مليار دولار، بمعدل ٥ مليارات دولار سنويًا.

وهذا هو بالضبط ما يفسر تهنئة الصحافة الأميركية لنتنياهو على موافقته على قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في خطابه الأخير في يونيو الماضي، فنرى عنوانًا عريضًا يقول: «رئيس الوزراء الإسرائيلي يدعم قيام دولة مستقلة للفلسطينيين»، كما كتبت صحيفتا «نيويورك تايمز» و«لوس أنجلوس تايمز» خبرًا يقول: «نتنياهو يتمسك بحل الدولتين»، ويصف الناطق الرسمي باسم الرئيس أوباما إعلان نتنياهو بأنه يمثل «خطوة كبيرة» باتجاه الحل السلمي للنزاع.

إنه تأثير الصهيونية الواضح على الخطاب السياسي الغربي وتكوين مصطلحاته، وهنا يبقى السؤال: أين العرب والمسلمون من كل هذا؟ إنه سؤال مازال على «طاولة» البحث ينتظر الإجابة.

الحملات الإعلامية ودورها في إحداث التغيير في المجتمع

د. عبدالله بدران

تعد وسائل الإعلام من أهم العوامل المؤثرة في حياة المجتمعات والأمم، وتكوين فكرها والتأثير في قيمها وسلوكها وأخلاقها، ذلك أن الإنسان بتكوينه الفطري يحمل استعدادات وإمكانات قابلة للتشكيل النفسي والاجتماعي بالمؤثرات المحيطة به.

وتؤدي وسائل الإعلام دورا مهما جدا يوصف بأنه سلاح ذو حدين، فهي في الجانب الأول تسهم في تسهيل مهمة الاتصال ونشر المعرفة والثقافة العامة بين شتى أفراد المجتمع، إضافة إلى قدرتها على إحداث نوع من الترفيه المرغوب والمحبب، وخلق رأي عام ذي اتجاهات وأنماط من السلوك لم تكن مألوفة لدى الجمهور، ويحدث أثرًا في التربية والتنشئة الاجتماعية، إلا أنها في جانب آخر سلاح خطر جدا إذا لم يحسن استعمالها لمصلحة المجتمع وتحقيق غاياته وأهدافه النبيلة، ولم تستغل الاستغلال الأمثل الهادف.

ولما كانت الحملات الإعلامية من أهم الوسائل الإعلامية المستخدمة في توجيه الرأي العام نحو قضية معينة والتأثير فيه بصورة سريعة وفاعلة، فإنه يمكن استخدام هذه الوسيلة في تعزيز القيم لدى شرائح المجتمع المختلفة.

وأثبتت دراسات عدة، وخبرات متراكمة، قدرة الحملات الإعلامية على إحداث التأثير المطلوب منها، وإمكانها تحقيق المهام المنوطة بها، ونجاحها في معظم الأهداف التي وضعت من أجلها، وجدواها في الإقناع والتغيير، لكن ذلك كله منوط بالقيام بتخطيط سليم لمثل هذه الحملات، واتباع الأسس الصحيحة والخطوات العلمية والعملية التي تساعد على نجاحها، وإلا فإن هذه الحملات ستواجه تحديات كبيرة وصعوبات بالغة ومشكلات جمة، يأتي في مقدمتها عدم اهتمام الجمهور برسائلها، وعدم التجاوب مع شعاراتها، أو عناده وتمسكه بالسلوك القديم وعدم الرغبة في التغيير.

التخطيط السليم للحملات الإعلامية

ولاشك أن هذا التخطيط السليم المتميز للحملات الإعلامية، والاعتماد على أسس علمية وعملية سليمة ومدروسة ومنتقاة وفق معايير دقيقة عند تصميمها ووضع أهدافها ومراحلها، يسهمان في بلوغ الغايات التي وضعها القائمون على هذه الحملات والمعنيون بكل خطواتها، ومن ذلك ضرورة إجراء دراسة دقيقة للوضع القائم حاليا وكيف كان في الماضي، وما هي التوقعات المستقبلية المبنية على البحوث والإحصاءات والدراسات، مع ضرورة مراعاة أن يخضع تخطيط الحملات لدراسة مستفيضة للخطوات التي يجب اتباعها للتعرف إلى المشكلة موضوع الدراسة، وأسبابها والمتسببين فيها، وأهداف الحملة، والوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى جمهور هذه الحملة بأيسر الطرق وأسهلها، وبخاصة في الحملات الإقناعية التي تهدف إلى تغيير الاتجاهات والسلوكات، والتي توجه إلى قطاع كبير من الجماهير، وكيفية تصميم مضمون الرسائل الموجهة لجمهور الحملة وأشكالها، وتحديد الجداول الزمنية للحملة، وأساليب التقويم المتبعة، إضافة إلى ضرورة توافر إمكانات مادية كبيرة، ومشاركة جميع الأجهزة الحكومية المعنية ووسائل الإعلام والتعليم والمؤسسات الخاصة وغيرها.

وكلما كانت الحملة تحمل معاني إنسانية عامة، ومفاهيم أخلاقية حضارية، وتوجهات وطنية مجتمعية نبيلة، يكتب لهذه الحملة قدر كبير من النجاح، وتستطيع تحقيق معظم أهدافها إن لم يكن كلها، وتصل إلى أكبر شريحة ممكنة من الجمهور المستهدف.

وترتبط مدة استمرار أي حملة إعلامية ارتباطا وثيقا بالتخطيط السليم والدراسة الدقيقة لمراحلها ومفاهيمها ورسالتها وشعاراتها، ومادامت ترتبط بمفاهيم وطنية مجتمعية دائمة فإن مدة الحملة قد تستمر سنوات عدة، لكن مع مراعاة إجراء تعديل مستمر لشعاراتها، وتطوير مطرد لمحاورها الإعلانية والإعلامية، إضافة إلى وجود نفس إبداعي في كل مرحلة من مراحلها.

أهمية الإمكانات المالية

ويراعى في كل حملة توفير الإمكانات المالية اللازمة لانطلاقتها واستمرارها، ووجود تمويل كاف من جهات مختلفة تضمن عدم تعثرها أو توقفها فجأة، وبهذا الصدد تلجأ الجهة المعنية القائمة على الحملة والمشرفة على فعالياتها ومراحلها بمخاطبة جهات عدة في القطاعين الحكومي والخاص للحصول على تمويل كاف للحملة، إضافة إلى الاستعانة بالجمعيات المعنية بالعمل التطوعي للاستفادة من خبراتها ومن الكفاءات الموجودة

صحافي في وكالة كونا الكويتية.

لديها، وهو أمر يسهم إسهاما كبيرا في نجاح الحملة وإعطائها زخما جماهيريا واسعا، وتعتبر أهداف أي حملة إعلامية من أهم مقومات الحملة وعناصرها، بل يمكن القول إنها المحور الرئيسي الذي تدور حوله الحملة، وكلما كانت هذه الأهداف واضحة جلية من جهة، ونبيلة سامية من جهة أخرى تحقق للحملة النجاح المنشود.

ويقصد بالأهداف الأمور المرجو تحقيقها من الحملة، والغايات المراد الوصول إليها، من هنا وجب وضع أهداف محددة وواضحة لأي حملة إعلامية لتكون قابلة للقياس في المستقبل.

ويراعى في كل حملة إعلامية اختيار شعار خاص يتميز بتناسقه وتناغمه مع أهداف الحملة وغاياتها، مع الحرص على أن يكون واضحا يسهل حفظه وتذكره وتكراره، ويبقى مدة زمنية طويلة في النفوس يترسخ من خلالها في الذاكرة.

وتسعى الحملات الإعلامية إلى الاستفادة من كل الوسائل المتاحة والممكنة لتحقيق الأهداف المنشودة منها، ولاسيما وسائل الاتصال التي تدرس كل منها دراسة متأنية ويستفاد من كل خصائصها، ولاسيما وسائل الاتصال الجماهيرية التي تتميز بقدرتها على توصيل الرسالة إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص في أكبر حيز جغرافي، وتشمل بصورة رئيسية وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة وبصورة خاصة الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات إضافة إلى مواقع الإنترنت والمنتديات والرسائل الهاتفية القصيرة، ويشمل ذلك أيضا وسائل الإعلان الموجهة إلى الجمهور مثل المنشورات واللافتات والملصقات واللبانرات. وسيأتي تفصيل لذلك في كل حملة.

ومن وسائل الاتصال المهمة أيضا وسائل الاتصال الشخصي التي تتسم بقدرة كبيرة على التأثير وإحداث التغيير المطلوب، لكنها تقدم لجمهور محدود جدا، بصورة تقارب اللقاء الشخصي الفردي بين شخص وآخر أو شخص رئيسي وعدد صغير من الجمهور المتلقي.. وهذه الوسائل يمكن استخدامها في عدد من أمكنة العمل، وبعض التجمعات الصغيرة، والجمعيات المتخصصة.

جمهور الحملات الإعلامية

وثمة نوعان رئيسيان تتوجه إليهما الحملات الإعلامية

١- جمهور أولي: هو الجمهور المقصود الذي يرغب القائمون على الحملة في الوصول إليه والتأثير فيه وتحقيق الأهداف المنشودة من خلاله، ويكون محددا لدى هؤلاء القائمين والمشرفين من جميع النواحي، وهذا يساعد على اختيار الوسائل المناسبة، والوقت المناسب للوصول إلى هذا الجمهور، ومعرفة الرسائل الإعلامية والإقناعية المناسبة، وأساليب وأشكال الصياغة والعرض والإنتاج للرسائل الإعلامية إضافة إلى اختيار وسائل الإعلان الملائمة.

٢- جمهور ثانوي: وهو الجمهور الذي يتوقع منه أن يساعد على نجاح الحملة بسبب اتصاله المباشر وغير المباشر بالجمهور الأولي، ويعتبر جمهورا غير تقليدي، وممن يحتمل وجود تأثير قوي لهم، ومن هؤلاء الشخصيات الاجتماعية الموثوق بها والتي تحظى بتقدير وإجلال واحترام لدى شرائح المجتمع (علماء وفنانون ورياضيون وإعلاميون وأكاديميون وعلميون وسياسيون ورجال أعمال) والجمعيات المتخصصة في مجالات معينة.

وللموت موعد مع العلّامة عبدالعظيم الدّيب

تلقّى العلماء وطلبة العلم وعموم المسلمين نبأ موت الفقيه المحقق الشيخ د.عبدالعظيم الدّيب- رحمه الله- بنفس راضية بقضاء الله مطمئنة لقدره، والذي وافته المنيّة صباح يوم الأربعاء ٦ يناير ٢٠١٠م في مستشفى حمد بالعاصمة القطرية الدوحة بعد معاناة طويلة مع المرض.

لقد نذر الشيخ الديب حياته للعلم وتعليمه ونشره وخدمة تراث الأمة، وحقَّق كتبا في الفقه وأصوله تعتبر علامات بارزة في فنِّ التحقيق، كلها من تراث إمام الحرمين- رحمه الله، تخرَّجت الأجيال على يديه، وأحبَّه تلاميذه حبًّا جمًّا، طلابا وطالبات؛ لأنه كان يعتبر التعليم رسالة، ولا يعتبره مجرد وظيفة، كما عاش حياته بعيدا عن أضواء الإعلام، برغم إلحاح الإعلاميين عليه، ولقي ربه غير مَشوب بشائبات الدنيا، بل أخلص دينه لله، وأخلصه الله لدينه، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا.

وقد أصيب الشيخ- رحمه الله- بوعكة صحية نتيجة جلطة في قدمه أدخل على إثرها المستشفى قبل يومين من وفاته، وأجريت له عملية جراحية، الثلاثاء، قبل أن تصعد روحه إلى بارئها صباح اليوم التالي.

ولد د. عبدالعظيم الديب- رحمه الله تعالى- في إحدى قرى مصر بمحافظة الغربية سنة ١٩٢٩م، حفظ القرآن الكريم بكُتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر الشريف، وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ثم وجّه جل اهتمامه لدراسة التراث الإسلامي الذي يرى أنه هو الأساس الذي لا أساس سواه لبناء ثقافتنا، له العديد من المؤلفات والبحوث في مختلف جوانب الفكر الإسلامي، واختصّ أكثر بتراث إمام الحرمين الجويني، ومن هذه الكتب: «البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين» و«الغياثي، غياث الأمم في التياث الظُّلَم» و«الدرة المضية» و«نهاية المطلب في دراية المذهب» وهو آخر ما حقق ومن أهم ما أخرج، و«إمام الحرمين أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني، حياته وعصره- آثاره وفكره»، و«فقه إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني، خصائصه- أثره- منزلته»، و«الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية»، و«الندوة الألفية لإمام الحرمين الجويني»، و«الغزالي وأصول الفقه»، و«المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي» من إصدارات كتاب الأمة.

أدبُ الانسحاب مِن مودّة الأصحاب

التحرير

للّه ما أحْسن التخالُل بين الأحباب إذا كان المقصود منه مرضاة الله تعالى! فإنّ الخلّة الصّادقة هي الباقيةُ النافعة يوم القيامَة قال تعالى ﴿الأخلاءُ يَوْمَئذ بَعْضُهُمْ لبَعْض عَدُوٌّ إلا المُتّقين﴾ (الزخرف:٦٧)، ولذلك حثّ النبيّ ﷺ على صدْق الحبّ والتآخي، وجعله من مُقرّرات حَلاوَة الإيمان؛ فعن أنس عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري)، بل إنّ المتآخيَ على الحقيقة مترفّهون بظلّ الله يوم لا ظلّ إلاّ ظله؛ ففي حديث السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم القيامة؛ ذكر منهم النبيّ ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» (رواه البخاري).

وإذا ثبتَ هذا وتقرّر؛ فإنّ من زكّى الله تعالى دخيلة نفسه وميّزه بالفهم لا يُقرّب منه صاحبًا على سبيل المُخالَلة والمؤالفة إلاّ إذا تيقّن أخلاقه، وتوافُقَ طباعه مع طباعه، وغير ذلك ممّا لا تتمّ أخوةٌ إلاّ به، كما لابدّ بعد التوافق في الخلال والطباع أن يحرص على ذي الفضل والعلم والدين؛ فإنّ العاقل- كما ذكر ابن المقفّع في أدبه الصغير- لا يخادنُ ولا يُصاحبُ- ما استطاعَ- إلاّ ذا فضل في العلم والدّين والأخلاق؛ فيأخذُ عنهُ، أو موافقًا لهُ على إصلاح ذلك فيؤيّدُ ما عندهُ، وإن لَم يكن لهُ عليه فضلٌ؛ فإنّ الخصال الصّالحة من البرّ لا تحيا ولا تنمَى إلاّ بالموافقين والمؤيّدين، قال: ولذلك زعمَ بعضُ الأوّلين أن صُحبةَ بليدٍ نشأ مع العلماء أحبُّ إليهم من صحبةِ لبيبٍ نشأ مع الجهّال.

والحصيفُ النّبيهُ لا يجعل الناس كلّهم في كفّة ميزانٍ واحد، ولكنه يُصنّفهم على حسب ما يليق بهم من الخيرية أو عكسها، أو العلميّة وضدّها، وهكذا؛ فمثلاً يلبسُ للعامّة لباسَ التحفّظ وبعض الانقباض، ويلبس للخاصّة من أهل العلم والأدب والشّرف لباسَ اللطف والانبساط.

وهنا معنى بوّب عليه العلماء في كتبهم، وهو الاقتصاد في الحبّ والبغض، وأصله ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا قال: «أحبِبْ حبيبك هونًا ما؛ عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

ومعناه -كما قال الحافظ ابن العربي المالكي- أنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ فقد يعود الحبيب بغيضًا وعكسه؛ فإذا أمكنتَه من نفسك حال الحبّ وعاد بغيضًا؛ كان لمعالم مضارّك أجْدَرَ لَما اطّلع منك حال الحب بما أفضيت إليه من الأسرار؛ ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «لا يكن حبُّك كَلَفًا ولا بغضك تلفًا»، وفي هذا يقول الشاعر:

وأبغضْ إذا أبغضْتَ بُغضًا مقاربًا
فإنك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معْدِنا للخير واصفح عن الأذى
فإنّك راءٍ ما عملتَ وسامعُ
وأحببْ إذا أحببتَ حبًا مقاربًا
فإنّك لا تدري متى أنت نازعُ

وقال الحسن البصريّ رحمه الله: «أحبّوا هونًا وأبغضوا هونًا؛ فقد أفرط قوم في حبّ قوم فهلكوا، وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا».

سبحان الله! ما كان الغلوّ في شيءٍ إلاّ أفسده، وقلب حلاوته مرارة.

إنّ الأخ المسلم يمكن أن يُحبّ أخاه بصدق، ويَفي له بحقوق الأخوة كاملة غير منقوصة، ولكنّ الأيام حبالى تلد كلّ عجيب، لذلك قد تنقلب مودّته الكاملة إلى فتور، ويَشوب صفو علاقته الأخوية مع أخيه شيءٌ من البرود أو كثير منه.

لا يُنكَر هذا ولا يستغرَب؛ فإنّ القلوب بيد الله تعالى، والمشاعر قد تتقلّب كما القدر إذا استجمعت غليانًا؛ لا عجب في هذا ولا منقصة.

لكنّ المنكور المستغرَب أن يَنْسلّ الصّاحب من مودّة صاحبه بعنف وبلا تُؤَدة، وكأنّه ما عرفه يومًا ولا صافاه، وكأنّه ما سَارّه يومًا ولا ناجاه، وكأنه ما قرّبه يومًا ولا أدناه!

وقد حدث هذا لإمام أهل الظاهر ومفخرة الأندلس الفقيه أبي محمد ابن حزم الظاهريّ؛ حيث قال في «مداواة النفوس»: «وأنا أُعْلمك أنّ بعض مَن خالَصَني المودّة وأصفاني إياها غاية الصفاء؛ في حال الشدة والرخاء، والسعة والضيق، والغضب والرضا؛ تَغيّر عليّ أقبح تغيُّر بعد اثنيّ عشر عامًا متّصلة في غاية الصفاء، ولسببٍ لطيف جدًا ما قدّرتُ قطّ أنه يؤثّر مثلَه في أحدٍ من الناس، وما صَلح لي بعدها، ولقد أهَمّني ذلك سنين كثيرة همًّا شديدًا».

عجيبٌ أمر بعض الأصحاب، يُقْبل أحدهم على أخيه إقبالَ الرّياح الهُوج العاتية، ويُدْبر عنه إدبار الفَرَس المُوَلّية!

لا مرية في أنّ الفُجاءة في الانفصال الأخويّ قد تكون بسبب ذنْب أحدثاه، أو أحدثه أحدهما؛ ففي مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما توادّ اثنان ففرق بينهما إلاّ بذنب يُحْدثُه أحدهما»، ومع ذلك فإنّ الذوقَ وحُسْن العهد وتمامَ المروءة وكمالَ الوفاء ألا يقطع الإنسان بمن يحبّ قطيعةَ العدوّ بعدوّه، فذلك فجورٌ في الصّحبة ومنقصة في الأخلاق، ولذلك يَتَنَاءى عنه الكَمَلَةُ من الناس؛ لأنهم يدركون أنّ خيرَ الأصحاب عندَ الله خيرُهم لصاحبه، وخيرَ الجيران عندَ الله خيرُهم لجاره؛ كما صحّ

بذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ، ومن مقتضيات هذه الخيرية في أقلّ حالاتها أن يحسن الواحد منّا «الانسحاب من مودة الأصحاب»؛ لأنّ ذلك دليلٌ على تأصُّل زكاء نفسه، وذهابها في المجد مذهبا جميلًا، وهذا عمرو بن معدكرب يقول:

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رُدِّيت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

وقد ساق العرب، كما حكاه عنهم ابن المقفع، مثلًا عجيبًا في غدر الإخوان ببعضهم؛ قال: زعموا أنه كان بأرض كذا تاجرٌ، فأراد الخروج إلى بعض الوجوه لابتغاء الرزق؛ وكان عنده مائةُ مَنّ حديدًا؛ فأودعها رجلًا من إخوانه، وذهب في وجهه، ثم قدم بعد ذلك بمدة؛ فجاء والتمس الحديد، فقال له: إنّه قد أكلته الجرذان؛ فقال: قد سمعت أنه لا شيء أقطع من أنيابها للحديد! ففرح الرّجل بتصديقه على ما قال وادعى، ثم إنّ التاجر خرج، فلقي ابنًا للرجل؛ فأخذه وذهب به إلى منزله؛ ثم رجع إليه الرجل من الغد فقال له: هل عندك علمٌ بابني؟ فقال له التاجر: إني لمّا خرجتُ من عندك بالأمس رأيت بازيًا قد اختطف صبيًّا، ولعله ابنك؛ فلطم الرّجل على رأسه وقال: يا قوم، هل سمعتم أو رأيتم أنّ البزاة تخطف الصبيان؟ فقال: نعم، وإنّ أرضًا تأكل جرذانها مائةَ مَنّ حديدًا ليس بعجب أن تختطفَ بُزَاتُها الفيلة! قال له الرجل: أنا أكلتُ حديدك وهذا ثمنه فاردُدْ عليّ ابني. وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّك إذا غدرتَ بصاحبك فلا

عجيبٌ أمر بعض الأصحاب يُقبل أحدهم على أخيه إقبال الرّياح الهُوج العاتية ويُدبر عنه إدبار الفرَس المُولّية!

شكّ أنك بمن سواه أغدر؛ وأنه إذا صاحَبَ أحدٌ صاحبًا وغَدَر بمن سواه؛ فقد عَلّم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضعٌ؛ فلا شيء أضيع من مودةٍ تُمنَح مَن لا وفاء له، وحِباءٍ يصطنع عند مَن لا شكر له، وأدبٍ يُحمل إلى مَن لا يتأدّب به ولا يسمعه، وسرّ يُستودع مَن لا يحفظه؛ فإنّ صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشرّ؛ كالريح إذا مرت بالطّيب حملت طيبًا، وإذا مرت بالنّتن حملت نتنًا.

على مَن ابتُلي بالصّاحب الذي لا يُحسن الانسحاب من الأصحاب؛ أنْ يعلم أنّ بعض الناس مدخولون في أمورهم؛ فهم كما قال الأوّل: «قائلُهم باغٍ، وسامعُهم عَيّابٌ، وسائلُهم مُتعنّتٌ، ومجيبُهم متكلفٌ، وواعظُهم غيرُ محقّقٍ لقوله بالفعل، وموعُوظُهم غيرُ سليمٍ من الاستخفاف، يتناقضُونَ الأنباء، ويتراقبون الدّول، ويتعايَبونَ بالهمز، مُولعونَ في الرّخاء بالتحاسد، وفي الشدة بالتخاذُل» إلاّ مَن رحم الله.

وإنّ من الحكمة التي يلزم توخّيها مَن أراد الانسحاب ما حدّثنا به ابن الجوزيّ حين قال: «كان لنا أصدقاء وإخوان أعتدّ بهم، فرأيت منهم من الجفاء وترْك شروط الصداقة والأخوّة عجائب؛ فأخذت أعْتِب، ثم انتبهتُ لنفسي فقلت: وما ينفع العتاب، فإنهم إنْ صَلُحوا فللعتاب لا للصّفاء؛ فهممتُ بمقاطعتهم، ثم تفكّرتُ فرأيت الناس بين معارف وأصدقاء في الظاهر وإخوة مُبَاطَنين، فقلت: لا تصلح مقاطعتهم، إنما ينبغي أن تنقُلهم من ديوان الأخوة، إلى ديوان الصّداقة الظّاهرة؛ فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف، وعاملتهم معاملة المعارف، ومن الغلط أن تعاتبهم».

أيها الصّاحب المنسحب: ليس ضروريًّا من الأحوال إذا رغبتَ عن أخيك أنْ تَرْمِيَه ولا تبالي به، بل ذلك لؤمٌ لا يليق بكرام النّاس، ومن المروءة أنْ تتدرّج به في التّرك حتى تأنسَ نفسُه لبُعْدِك، وتستسيغَ فقْدَك؛ فإنّ طول المواصلة وكثرة المخالطة إذا أعْقَبهما قَطعٌ بَاتٌّ؛ أضرّا وأدّيا إلى نقيض المقصود؛ فبَدَل الراحة ينشأ الهمّ، وربما وَغِرَت الصّدور فامتلأت بالحقد والشحناء.

وهذا ابن المقفّع العاقلُ يوصيك بقوله في «أدبه الكبير»: «اجعل غاية تشبّثك في مؤاخاة مَن تؤاخي، ومواصلة من تواصلُ؛ توطينَ نفسكَ على أنه لا سبيل لكَ إلى قطيعة أخيك، وإنْ ظهر لكَ منهُ ما تكرَهُ، فإنهُ ليس كالمملوك تعتقهُ متى شئتَ، أو كالمرأة التي تُطلّقها إذا شئتَ، ولكنهُ عِرْضكَ ومروءتُك؛ فإنما مروءةُ الرجل إخوانهُ وأخدانه، فإنّ عثرَ الناسُ على أنّك قطعتَ رجلًا من إخوانك- وإن كنت مُعْذرًا- نزلَ ذلك عند أكبرهم بمنزلة الخيانة للإخاء، والمَلال فيه، وإن أنتَ معَ ذلك تصبّرتَ على مقاربته على غير الرّضا؛ عادَ ذلكَ إلى العيب والنّقيصة؛ فالاتّئادَ الاتئادَ، والتثبّتَ التثبّت!

فإذا عرفت فالزم.

إيوان كسرى في المدائن

إسراء البدر

«المدائن» قضاء في جنوب العراق تبعد مسافة ٤٠كم جنوب بغداد، فيها إيوان كسرى، والمدائن تحمل عدة أسماء فهي «المدائن» بالآرامية، و«طيسفون» بالفارسية، و«سلوقيا» بالإغريقية. وقد بناها الفرثيون وهم أقوام جاءوا من جنوب إيران، واستولوا على العراق عام ١٤١ق.م، وبنوا مدينة «طيسفون» لتكون عاصمة لهم، كذلك اختارها الساسانيون لتكون عاصمتهم الشتوية، مع عاصمتهم الصيفية «سوسة» في إيران، بعد أن تمكن أردشير الساساني من القضاء على ارطبان آخر ملوك الفرثيين عام ٢٢٤م، ومنذ ذلك الوقت حكمت الدولة الساسانية العراق حتى الفتح الاسلامي.

يقع في هذه المدينة مقر الملك في فارس ويدعى «القصر الأبيض» وفي وسطه «إيوان كسرى» قاعة عرش كسرى، وعلى جدرانها رسمت معركة أنطاكية التي دارت بين الفرس والروم، وفي هذا الإيوان تحققت معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ حيث انشق هذا الإيوان بالولادة الشريفة لخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، وقد تم بناء القصر الذي فيه الإيوان في عهد شابور الأول (٢٤١-٢٧٥م) ويعرف بالقصر الأبيض أو قصر كسرى ويحتوي على أشهر -طاق- في التاريخ وهو ما يعرف بطاق كسرى، وقد انفق شابور الكثير من الأموال على هذا القصر ليجعله قصرا فخما وكبيرا يدل على مقدار اهتمام هذه العائلة الساسانية بالرفاهية والبذخ على قصور الملوك، فلقد تحدث كتاب العرب القدامى عن فسيفساء هذا القصر، ونقوشه المطعمة بالذهب والأحجار الكريمة، وستائره الحريرية، وسجاده النفيس، وذكروا التماثيل التي كانت تزين واجهات القصر وردهاته، والكتابات التي كانت مسطرة على جدران الإيوان بالأحرف السريانية واللغتين الفهلوية والفارسية.

وقد وصف البحتري إيوان كسرى والصور واللوحات الموجودة فيه والتي تصور معارك الفرس والروم وانتصارات الفرس قائلا:

فإذا ما رأيت صورة أنطا
كية ارتعت بين روم وفُرس
والمنايا مواثلٌ وأنوشر
وانَ يزجي الجيوش تحت الدِرَفسِ
وعِراكُ الرجال بين يديه
في خفوتٍ منهم وإغماض جَرسِ
من مشيحٍ يهوى بعامل رمحٍ
ومُليحٍ من السّنان بترسِ

فهذا مقبل عليك برمحه وهذا متردد محاذر يحتمي بدرعه

تصف العينُ أنهم جِدُ أحياء
لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابيَ حتى
تتقراهمُ يدايَ بلمس
ليس يُدرى أصنع إنسٍ لجنّ
سكنوه أم صنع جنّ لإنس

فكأني أرى المراتب والقوم
إذا ما بلغت آخر حِسّى
وكأن الوقوف ضاحين حَسرى
من وقوفٍ خلف الزحام وخُنسِ

لقد كشفت البعثات التنقيبية الأجنبية، ومنها الألمانية عام ١٩٣١، بالاشتراك مع متحف «متروبوليتان» في نيويورك الكثير من أسرار هذا القصر، حيث ظهر أن مساحة المدينة هي نحو ٣ كيلومترات مربعة. واستطاعت هذه البعثة الكشف عن أبنية مختلفة، وسور المدينة، وحددت معالم القصر، وقد ظهر أن القصر يتكون من الإيوان الكبير في الوسط، وهو قاعة العرش، وهذا محاط بحجرات صغيرة من الشمال والجنوب، وهي ملاصقة لجداري الإيوان، وأمامها ردهة طويلة تنتهي بردهة واسعة جدا تقع على محور الإيوان، والبناية كلها معقودة بالآجر والجص، ومطلية من الداخل بالجص والألوان الزاهية، أما واجهة البناء التي كانت نحو الشرق، فإنها كانت مزينة بنقوش جصيّة وتماثيل رخامية كبيرة.

يعتبر طاق كسرى من أعظم الطوق في العالم القديم، وأعلاها، وهو جزء من القصر الأبيض، وقد تهدمت جدرانه واندكت ولم يبق من معالمه إلا الطوق وبعض الأسس، وهناك أكوام من الردم والأنقاض منتشرة

كاتبة عراقية

على مسافة مئات الأمتار حول الطاق، وما تبقى من البناء يدل على عظمة القصر عندما كان شاخصا في عهده الغابر، حيث يبلغ ارتفاع الطاق عن سطح الأرض حوالي ٣٠ مترا، وعرضه ٢٥,٥ متر، وسمك جداره من الأسفل ٧ أمتار، ويطل الإيوان على الشرق وله ثلاثة أبواب، واحد من اليمين والآخر على اليسار وكلاهما قرب فتحة الإيوان، والثالث قرب الجدار الغربي، وإلى يسار الإيوان هناك حائط شاهق يعلو حتى قمة الطاق، يبلغ سمكه من الأسفل ٦ أمتار، وقد تم إسناد هذا الحائط بمسند من الآجر والاسمنت أخيرا لحمايته من الانهيار، أما بالنسبة للحائط الذي كان قائما إلى الجانب الأيمن من الإيوان فقد تهدم عام ١٨٨٧م بفعل فيضان دجلة، لكن بقي الطاق وإيوان كسرى شاهدا تاريخيا رغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على انشقاق هذا الإيوان بولادة النبي محمد ﷺ.

ارتجاس وانشقاق الإيوان

لعلنا هنا قدمنا وصفا دقيقا لقصر كسرى وارتفاع الإيوان والطاق لكي نبين كبر هذا القصر وفخامته التي كانت في ذلك العصر، وجبروت الإمبراطورية الفارسية التي غالت وبالغت في بناء هذا القصر لتأكيد عظمتها وقوتها وعدم قدرة أي قوة في ذلك العصر على سحقها، ووسط هذا الجبروت والطغيان يأتي التقدير الرباني والمعجزة الإلهية بولادة الحبيب محمد ﷺ فينشق هذا الإيوان والطاق دون أن يقع أو يتهدم ليبقى على مدى التاريخ ولآلاف السنوات معجزة شاخصة للعيان.

ففي الولادة الشريفة لخير الأنام محمد ﷺ حدث ارتجاس إيوان كسرى، وسقوط الشرفات، وخمود النيران، وغير ذلك من الدلالات.

قال الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب «هواتف الجان»: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وحدث هذا الانشقاق في عهد الملك الفارسي يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وستون سنة.

سعد بن أبي وقاص صلى ثماني ركعات في ايوان كسرى الكائن في المدائن

الفتح الإسلامي للعراق وتحقيق نبوءة النبي محمد ﷺ

لما عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بإمارة الجيش الإسلامي في فتح العراق بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل لا غير مقابل مائة ألف من المقاتلين المدربين، المدججين بأخطر ما كانت تعرفه الأرض يومئذ من عتاد وسلاح.. تقودهم أذكى عقول الحرب يومئذ، وأدهى دهاته، ولكن الصدور العامرة بالإيمان والثقة بقدرة الله عز وجل كانت هي السلاح الأقوى بيد المسلمين فتحقق بكرم وفضل من الله عز وجل نصر المؤمنين بموقعة القادسية، عندها رأى أن الطريق إلى «المدائن» عاصمة الفرس أصبحت ممهدة أمام المسلمين، فأسرعوا بعبور نهر «دجلة» واقتحموا المدائن، وبمجرد رؤيتهم لإيوان كسرى تذكروا وعد رسول الله ﷺ لهم بفتح إيوان كسرى، فحاصر سعد المدينة في ذي الحجة سنة ١٤هـ، وهرب أصحاب القصر، ودخل سعد وجيشه المدائن والقصر الأبيض بعد أن فر منها الملك الفارسي، وصلى سعد ثماني ركعات في إيوان كسرى، وأرسل «سعد» إلى «عمر» يبشره بالنصر، ويسوق إليه ما غنمه المسلمون من غنائم وأسلاب ومنها أساور كسرى وتاجه، وعندما وصلت تلك الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى الصحابي سراقة بن مالك المدلجي الذي تبع النبي محمدا ﷺ وصاحبه أبا بكر في الهجرة النبوية الشريفة ليحظى بجائزة قريش، فلما ساخت يدا فرسه في الرمل قال سراقة: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، وفي رواية أن النبي ﷺ قال لسراقة «كأني بك قد لبست سواري كسرى» فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه فقال له: ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي.

فنرى من خلال تلك القصة كيف تنبأ النبي ﷺ لسراقة أنه سوف يلبس سواري كسرى وتاجه و ذلك بعد حوالي خمس وعشرين سنة في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن أنبأ النبي ﷺ؟

إن إيوان وطاق كسرى في العراق بقي إلى يومنا الحالي شاهدا تاريخيا على حدوث معجزتين عظميتين، انعم الله بهما على نبينا محمد ﷺ، الأولى تمثلت في الانشقاق لهذا الإيوان بالولادة الشريفة، والمعجزة الثانية هي تنبؤ الحبيب محمد ﷺ بأن المسلمين سوف ينتصرون على الفرس ويغنمون تاج كسرى وأساوره، ثم يلبسها بعد ذلك الصحابي سراقة بعد أن انعم الله عليه بالدخول في الإسلام.

التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم الحديث

يعد هذا العنوان واحدا من أشهر العناوين في العصر الحديث إثارة للجدل ومفتتحا للحوارات، حيث تلقاه المسلمون بحفاوة كبيرة عندما صدر في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وظن كثير من الناس انتساب مؤلفه للإسلام، وتُرجم الكتاب لكثير من لغات العالم، ومنها اللغة العربية. وإننا إذ نخصص مقال هذا العدد لهذا الكتاب، رغم كونه مترجما إلى العربية، فإننا نهدف لأبعد من مجرد تقديم الكتاب وتقديم رؤية نقدية له، حيث نهدف إلى بيان أمرين ضروريين في وقت يدأب فيه بعض الإعلاميين من غير المسلمين على ادعاء تناقض الكتب المقدسة (ومنها القرآن) مع العلم.

الأمر الأول، هو توضيح أن العودة إلى الحوار مع الآخرين- خاصة المنصفين منهم- غاية في الأهمية حتى ولو لم يقبلوا بعقيدة الإسلام، لأن الحوار مع أمثال هؤلاء يفيد منه المسلمون أيما إفادة، وذلك بتقوية حجتهم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام: ١٤٩) في الدفاع عن دينهم وفتح آفاق جديدة لهم عند جمهور يصعب الوصول إليه إلا عن طريق هؤلاء المتصلين بالآخر صلة حقيقية وغير مصطنعة، ولكون إنصاف هؤلاء ذاته مفتاحا لسماع آرائهم. الأمر الثاني، هو إيضاح أن رد فعل الغربيين حول مثل هذه الكتابات، التي غالبا ما تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين، إما أن يكون عنيفا لا يستقيم مع الفكر الحر ولا مع الموضوعية العلمية.. وبالتالي يجذب جمهورا كبيرا لفهم الإسلام من خلال هذا النقد المتطرف، وإما أن يكون متوازنا فيفتح لهم طريقا إلى الإسلام.

لقد كانت محاولات إثبات أن النصوص الدينية لا تتعارض مع العلم مهمة شاقة لكثير من المتدينين في العصر الحديث، فكان كل صاحب دين يحاول أن يوفق بين نصوص دينه و معطيات العلم، فهذا هو ارنست رينان الفرنسي يكتب في القرن التاسع عشر مقالا في جريدة «لوديبا» الفرنسية يؤكد فيه أن الإسلام ضد العلم وعلى العكس المسيحية التي تتوافق مع العلم، فرد عليه جمال الدين الأفغاني في الجريدة ذاتها قائلا: إن الإسلام لا يناقض العلم، ثم عاود فرح أنطون الفكرة وادعى أن الإسلام بطبعه مناف للعلم، ومخالف للحقائق العلمية، وأنه يقف حجر عثرة أمام المسلمين لفهم العلم ومتطلباته، فرد عليه الإمام محمد عبده بعدد من المقالات في مجلة «الجامعة» نشرت فيما بعد في كتاب تحت عنوان «الإسلام والمسيحية بين العلم والمدنية»، ومازال الحوار مفتوحا في هذا الجانب بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من أصحاب الديانات.

لكن هذا الجدل أخذ منحى جديدا بكتاب موريس بوكاي «التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم الحديث» (La Bible، le Coran et la science :Les écritures saintes examinées à la lumière desconnaissances modernes) وذلك كون المؤلف اعتمد منهجا علميا موضوعيا منطلقا من حقائق علمية بعينها، ومسقطا إياها على نصوص من الكتب الثلاثة، ما أكسب كتابه مصداقية لم تكن لمن قبله، علاوة على ذلك فإن مؤلف الكتاب طبيب فرنسي ينتمي إلى عائلة مرموقة ومهتم بعلم الآثار، خاصة المصرية منها، ما زاد من مصداقية الكتاب وسرعة قبوله عند القراء.

غير أن الكتاب أثار على الجانب الآخر حمى الرد والنقد، لاسيما أن المؤلف خلص إلى أن النص القرآني أقرب النصوص الثلاثة إلى معطيات العلم الحديث، فقال: «رغم أن الموضوعات ذات السمة العلمية في التوراة والإنجيل أقل بكثير من مثيلتها في القرآن إلا أن ما جاء به القرآن لا يتناقض مع العلم، في حين أن ما جاء في التوراة والإنجيل في ذات الشأن مليء بالمغالطات التي لا تستقيم مع العلم الحديث». ومن تلك الموضوعات: نصوص التوراة ذاتها التي لا تدل على أنها من مؤلف واحد أو من عصر واحد، وكذلك المعارف التاريخية التي حوتها، من مثل خلق العالم، وتطور تاريخ الإنسان، ورواية

د. محمود مسعود
أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الطوفان أو ما يسمى بالتطور الثاني للإنسان.

كما أن الأناجيل المنسوبة للمسيح ذاتها لم تكتب إلا في بدايات القرن الثاني الميلادي، إضافة إلى أنها لا تعدو أن تكون صورة لأدب غير مترابط ومفتقد للتتابع التاريخي، كما يبدو أن ما في الإنجيل من تناقض غير قابل للتذليل، وأهم أخطاء الأناجيل وتناقضاتها، مسألة صعود المسيح، ومسألة عيد الفصح وعشاء المسيح، وكذلك صعود عيسى عليه السلام.

ومما يضاف إلى أهمية الكتاب تأكيد بوكاي على أن الغرب يحال بينه وبين الإسلام بأحكام مسبقة يتلقونها منذ مراحل الدراسة الأولى، من مثل أن الإسلام دين أسسه محمد، وأنه دين الخوف بخلاف المسيحية التي هي دين الحب، حتى إنه هو نفسه لم يكن لديه أي اعتقاد في أن الإسلام دين كالمسيحية واليهودية. غير أن أول ما لفت نظره بوصفه طبيبا هي آراء ابن رشد وغيره في الطب والمعارف الإنسانية، وثمة حدث

آخر أثار فيه الفضول للتعرف على الإسلام ألا وهو لقاؤه الملك فيصل ضمن فعاليات مؤتمر علمي بالمملكة العربية السعودية مما جعله يدرس القرآن دراسة موضوعية قادته إلى إدراك عظمة رسالة الإسلام. وفي هذا يقول: «لم أكن أظن أن نصا مكتوبا منذ ثلاثة عشر قرنا يحوي عددا من البحوث اليقينية المتعلقة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة جميعها مع المعارف العلمية الحديثة».

ولنعد إلى السؤال عن دين موريس بوكاي، هل هو مسلم أم لا؟ وهنا نذكر ما سمعناه من د.محمد سليم العوا في إحدى محاضراته، أنه عندما سأل موريس بوكاي عن إسلامه أخرج من جيبه ورقة مكتوب فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج:١٧)، فهأ هو الرجل لم يشأ أن يبوح بمكنون عقيدته مرجئا أمره إلى الله، غير أنه بكتابه هذا يبقى قيمة مضافة إلى الإسلام في العصر الحديث، ما يؤكد أن الحوار سيصب لا محالة في مصلحة الإسلام، وأن المسلمين سيفيدون من هذا التلاقي الفكري، فلا ينبغي أن يشغلنا القائل عن المقول، ولا حامل رسالة عن الرسالة نفسها، إن ما ينبغي أن يشغلنا هنا هو إيصال رسالة الإسلام على الوجه الصحيح، منا أتت أو من غيرنا كما فعل موريس بوكاي.

ألا ترى أنه لو أسلم عشرات الغربيين ولم يدركوا قيمة تلك الرسالة العظيمة ودورها في العصر الحديث الذي نعيش فيه لما أضافوا بإسلامهم شيئا،

باحث فرنسي اثبت أن النص القرآني هو الأقرب إلى معطيات العلم الحديث

في حين أنه لو أدرك واحد من العلماء الغربيين تلك العظمة وبينها للناس ستكون أعظم وسيلة لكي يفهم كثير من الناس متطلبات تلك الرسالة في العصر الحديث، وهذا هو لب القصيد من ديمومة الرسالة، ألا وهو استمرار عطائها لبني الإنسان في الأرض، أما الإيمان والكفر فموكول أمره ومرده إلى الله جل في علاه، يقول تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(القصص:٥٦).

ومن هنا دعونا نعيد اكتشاف الكتاب من خلال طبعته الفرنسية الثانية بغية أن نصل لشيء جديد من رؤية هذا المؤلف العبقرية، والتي ضمنها دون أن يصرح بها «أن القرآن يحوي التوراة والإنجيل الحقيقيين، وأن ما بقي، صحيحا، من هذين المصدرين إلى اليوم موجود بلاشك في القرآن». وهو يعتمد لإظهار ذلك على أمرين، وهما حقائق التاريخ الراسخة، وتجليات العلم الحديث الواضحة، حيث يبدأ من مسلمات بدهية ومقبولة لدى كل المؤمنين بالرسالات السماوية وهي:

١- أن رسائل الله للبشرية (يعني الوحي الإلهي إلى الأنبياء) منها ما هو موقوت بزمن ومنها ما هو دائم.

٢- أن رسائل الله قبلت وفهمت من خلال عقل البشر الذي هو ذاته معجزة إلهية.

٣- وعقل البشر هذا هو أيضا محدود بحدود زمانية ومكانية وقراءته للمستقبل تزيد مع تجاربه وخبراته بالماضي.

ومن خلال تلك المقدمات اكتشف أن التوراة التي بين يد اليهود صحيحة في إجمالها، لكن بعض كتابها فهموا المؤقت على أنه دائم، مما جعلهم يوقفون عجلة المستقبل وبالتالي يرفضون ما يستجد من وحي مؤقت أو دائم، ولهذا رفضوا نبوة عيسى عليه السلام وكذلك نبوة محمد ﷺ ولما كان هذا الرفض يوجب تغييرا في الإطار المرجعي للتوراة أضافوا لها تفسيرات ونصوصا لا تستقيم معها، ومن هنا بدت متناقضة عوراء رغم صحة مصدرها الإلهي.

وفعل كتاب الإنجيل نفس الشيء مع وحي الله في صورة الإنجيل، حين جعلوا ما هو دائم مساويا لما هو مؤقت، وزاد الأمر خطورة عند المسيحيين أنهم وقعوا أسرى تفسير اليهود المتعسف للتوراة من جانب، ومن جانب ثان لم يكونوا على صلة حقيقية بمصدر الإنجيل، والذي نقل إليهم شفاهة من جيل إلى جيل، وفي عهود الاضطهاد والجور مما أظهر الإنجيل كأنه فقط بشارة للخلاص من الظلم ولم يظهر كرسالة سماوية للإنسان والكون، بل ظهر الانكفاء على الروح والبعد عن مجابهة الوجود والعمل فيه، مما جعل النصارى تابعين للأمم والحضارات وليسوا فاعلين فيها إلا بإلغاء فهمهم الملتوي هذا لرسالة الإنجيل.

أما المسلمون فكانوا أكثر حظا من اليهود ومن النصارى حيث كان الدائم في رسالتهم نفسها أعلى من المؤقت في ذات الرسالة، ثم إنهم استفادوا من تجارب أصحاب الرسالات قبلهم فلم يضيفوا في الدائم من رسالتهم شيئا، ثم زاد من فرص فهمهم لهذه المسألة أن الدائم وهو القرآن كتب فور نزوله وحيا ولم يُفقد منه شيء أو يتوارى خلف تفسيرات تكون بديلة عنه، أما المؤقت عند المسلمين فقد كان معظمه في السنة النبوية وهي مصدر الخلاف عند المسلمين، وتفسيراتهم لها كتفسيرات اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل. أضف إلى هذا أن الوعي التراكمي الذي استفاده المسلمون من التاريخ ومن معطيات العلم في عصرهم جعلهم يقدمون تفسيراتهم منفصلة عن النص وعن السنة النبوية ذاتها، ولهذا وجدنا أن معظم أخطاء المسلمين العلمية لا تنسب للوحي، وإنما تنسب للعلماء والمفسرين الذين أضافوا تفسيرات تتناقض مع العلم وتتعارض مع استمرار الرسالة، وحينما يكتشف المسلمون هذا الخطأ يضرحون به في الأغلب الأعم، فلو لم يكن تفسيرهم هذا منفصلا عن ذات النص الموحى به لالتبس الأمر وأصبح ينسب الخطأ للوحي ذاته، ولما أمكنهم تجنب أن ينسب للوحي تعارض مع العلم، ويضرب مثلا على ذلك تفسيرهم الخاطئ لكلمة يوم في حديث الله تعالى عن خلق السموات والأرض في ستة أيام، حيث يفسرون كلمة يوم بمعنى ليل ونهار في حين أن تفسيره الأقرب إلى الصواب في هذه الآيات وغيرها ويمكن فهمه في العصر الحديث هو دورة أو طور من أطوار الخلق والإيجاد، وهذا هو الفارق الجوهري بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى، فلهذا أفلتت رسالة الإسلام من التناقض وعجت رسالة اليهود والنصارى بالتناقضات ومعارضة العلم الحديث.

الشيخ عثمان بن سند

(١٧٦٦-١٨٢٦م)

عدنان الرومي

هو العالم الجليل الشيخ عثمان بن سند بن محمد بن أحمد بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن مدلج بن حمد بن رباع، والبورباع من عنزة القبيلة المشهورة، وكان جدهم الأول قد سكن في قرية التويم في سدير، ثم نزح إلى بلدة حريملة التي أسسها جدهم راشد بن رباع، وقد سافر أجداده وعشيرته لطلب الرزق إلى نجد والعراق والكويت والشام، وكانت لهم إقامة في «هيت» على ضفة نهر الفرات، ولهم فيها موانئ وأملاك.وقد انتقل أهل الشيخ إلى منطقة الخليج العامرة بالتجارة وسكنوا جزيرة فيلكا، وترددوا على البصرة، ومنها الى العراق سعيا وراء التجارة، وقد استوطن بعضهم البصرة، وما يؤكده والد الشيخ عبدالله السند، ان مولد الشيخ عثمان السند كان في فيلكا.

ولد الشيخ عثمان في جزيرة فيلكا في قرية الدشت الواقعة على الشاطئ الغربي اقرب الى الجنوب منها الى الشمال عام ١١٨٠هـ- ١٧٦٦م، ونشأ وشب في البصرة، وتلقى على مشايخها علومه الأولى.

تكوينه العلمي والشرعي

نشأ نشأة فاضلة، كما ينشأ أبناء الجزيرة العربية، في بيئة علمية، شابا نشيط الشباب، حاد الذكاء مشبوبه، قوي الحافظة، خصب القريحة، وله طبيعة كالينبوع تتدفق بالخصب، ونفس طلعة كلفة بالعلم كلفا، تدعوان إلى الدهشة والإعجاب، فأقبل على كتاب الله فاستظهره حفظًا وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وقواعد الإعراب ثم شرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة، ويقرر صاحب كتاب «روضة الناظر» أنه تعلم علومه الأولى في نجد، والذي يترجح عندنا أنه تلقى تلك العلوم في جزيرة فيلكا والبصرة.

شيوخه

١- الشيخ محمد اسعد الحيدري، مفتي الحنفية والشافعية.

٢- الشيخ محمد الحياني، قاضي بغداد في وقته.

٣- الشيخ علي بن الملا محمد بن عبدالله السويدي البغدادي، أبوالمعالي من أبرز علماء بغداد في عصره توفي ١٢٣٣هـ، وله تصانيف عدة، وقرأ عليه الشيخ عثمان أغلب العلوم.

٤- الشيخ العلامة زين العابدين جمل الليل المدني أبوعبدالرحمن السيد علوي بن السيد باحسن، قرأ عليه أوائل الكتب الستة.

٥- الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي أبومحمد الملقب بـ«سيبويه الثاني» (١١٦١-١٢١٣هـ)، من كبار علماء الإحساء.

٦- الشيخ موسى بن سميكة العالم البغدادي الحنبلي الزاهد والمتوفى ١٢٣٣هـ، قرأ عليه رواية حفص وشعبة.

٧- الشيخ صبغة الله بن مصطفى الكردي، قرأ عليه بعضا من كتاب الشفا للقاضي عياض.

٨- الشيخ خالد النقشبندي.

مذهبه

كان الشيخ مالكي المذهب وله منظومة في فقة المذهب.

تلاميذه

من أبرز تلاميذه الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، المدرس بالحرم الشريف، وهو الذي اختصر كتاب ابن سند «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» وعلق عليه.

باحث في التراث الكويتي

مؤلفاته

١- شرح النخبة في أصول الحديث.
٢- أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد، ويعني به النقشبندي صاحب الطريقة، وهو كتاب له قيمة وفيه فوائد نفيسة أدبية وتاريخية لا توجد في غيره، ومن يطلع عليه يتبين له سعة اطلاع الشيخ، ونضوج عقله، وجزالة نظمه.
٣- منظم الجوهر في مدائح حمير.
٤- فكاهة السامر وقرة الناظر، وهي وسائل أدبية.
٥- نسمات السحر وروضة الفكر.
٦- نظم قواعد الإعراب وله فيها غزل بديع.
٧- مغني اللبيب في النحو، منظومة في خمسة آلاف بيت.
٨- نظم جوهرة التوحيد المسماة بهادي السعيد.
٩- نظم التحفة في الحساب وشرحها.
١٠- الصارم القرضاب في نحر من سب الأصحاب، منظومة في ألفي بيت، وهي رد على الشاعر الشيعي دعبل الخزاعي، المتوفى عام ١٢٤٦هـ- ١٨٦٠م، وقد ألفها الشيخ سنة ١٢١٨هـ.
١١- الكافي في العروض والقوافي (منظومة).
١٢- عوامل الجرجاني وشرحها (منظومة).
١٣- الشافية في علم التصريف.
١٤- ورقات الإمام الجويني في أصول الفقه (منظومة مع شرحها).
١٥- منظومة في مدح خير البرية ﷺ.
١٦- منظومة في مدح إمام السنة أحمد بن حنبل.
١٧- منظومة في فقه السادة المالكية، واسمها «الدرة الثمينة والواضحة المبينة في مذهب عالم المدينة».
١٨- الغشيان عن مقالة الإنسان في النحو تحتوي على ٢٤٧ صفحة.
١٩- رسالة في كسر همزة إن وفتحها، منظومة في ٤٢ بيتا.
٢٠- تعليقات على شرح الكافية للرضي الاستربادي.
٢١- منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة.
٢٢- كشف الزبد عن سلسال المدد (بحث عن العدد تذكيره وتأنيثه).
٢٣- نظم الأزهرية للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري.
٢٤- منظومة في البلاغة.
٢٥- الجوهر الفريد في العروض.
٢٦- السلسل الصافي (منظومة في علم القوافي).
٢٧- الفائض في علم الفرائض.
٢٩- مطالع السعود في تاريخ داود.
٣٠- سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد.

كذلك يوجد مؤلفات مخطوطة أصلية في خزانة وزارة الأوقاف الكويتية وهي:
١- جيد العروض.
٢- بهجة البصر نظم نخبة الفكر.
٣- قصيدة في مدح داود باشا والي بغداد.
٤- زهرة المجتاز وفرقد الساري إلى المجاز.
٥- الفقرات المذهبة وزينة المسائل الملقبة.
٦- الواضحة المبنية حسن معاني الدرة الثمينة.
٧- قواعد سنية.
٨- الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة.
٩- رسالة عثمان بن سند إلى أولاد الشيخ خلف مع أولاد أخيه.
١٠- قصيدة في اهداء نظم متن الورقات.
١١- هداية الجيران في كشف عوامل الجرجاني.
١٢- نظم العوامل.

التدريس

نزل ابن سند البصرة سنة ١٢٢٠هـ الموافق ١٨٠٥م، ودرس بجامع الكواري سنين، وبالمدرسة المحمودية، ثم جمع بين المحمودية والخليلية عام ١٢٢٧هـ الموافق ١٨١٢م، ودرس بالمدرسة الرحمانية في البصرة، فذاع صيته في البصرة وفي غيرها من حواضر العالم الإسلامي.

شعره ونماذج منه

كان الشيخ من المكثرين من نظم الشعر والمطيلين فيه، حيث تبلغ القصيدة من نظمه مائتي بيت، ولو جمع شعره الذي أورد بعضه في تواريخه «مطالع السعود»، و«سبائك العسجد»، و«أصفى الموارد»، لجاء ديوانا ضخما يضعه في طليعة شعراء عصره، وشعره في الغالب من هذا النوع الجزل الضخم الذي يملأ الفم ويقرع الأذن، ولكنه حبيب إلى النفوس التي ألفت شدة الأسر وتذوقت جمال الفصاحة عند فصحاء البادية في عصور عز العربية.

ومن نماذج شعره أبيات ضمنها كتابه «نيل السعود» قوله في ذم الدهر:

شكوت فما اشكاني الدهر إنني
لفي حيرة من ريبه وصروفه
كأني قرن للزمان محارب
إذا رمت سلما سل حمر سيوفه
سقى كل ذي جهل بكأس حياته
وذا العلم أرواه بكأس حتوفه
فلأنك بدر كامل في ضيائه
إذا تم بدر حان وقت كسوفه

وفاته

وقع الاختلاف في وفاته، وفي تعيين مكانها، وزمانها، فقيل في البصرة، وقيل في بغداد، ودفن قرب المرقد المعروف- خطأ- باسم زبيدة زوج الرشيد، أما زمان وفاته فقيل سنة ١٢٤٠هـ و١٢٤٢هـ، و١٢٤٦هـ و١٢٤٧هـ و١٢٤٨هـ و١٢٥٠هـ على ست روايات فمن الترجيح بغير مرجع ما جزم به بعضهم في تعيين سنة ١٢٤٢ لوفاته ليستقيم له بتصحيح هذه الدعوى دعوى نقصان الكتاب «مطالع السعود»، وهي أبعد ما تكون عن الصواب ما لم يقم على توكيدها الدليل.

الطوارق.. لا هوية ولا وطن

عادل صديق

الطوارق TOUAREGS أو الزرق الملثمون، كانت عادتهم ارتداء ثياب صبغت بالنيلة الزرقاء «الزهرة»، ولا يمنع هذا التقليد البعض من «التغيير» وهم شعوب الصحراء الكبرى كما يرى البعض الذين يحاولون عزلهم عن أصولهم العربية، فيقول هؤلاء عنهم: إن تاريخهم يعود إلى أجدادهم «البربر» الذين كانوا يعيشون على امتداد الساحل الشمالي لإفريقيا منذ خمسة آلاف سنة، وانتشروا في الصحراء الكبرى وهيمنوا على طرق التجارة في الشمال الإفريقي.

عرف الطوارق أنهم سادة الصحراء بلا منازع.. وأنهم الزرق الملثمون، لقد كانوا يواجهون منذ القدم صعوبات جمة من التأقلم مع الآخرين تضاف لصعوبات الحياة القاسية في قلب الصحراء، عاش البعض في المدن بعد أن غزت المدنية كل شيء، وبعد أن طرق الغرباء بلادهم.

عرفوا في الكتابات القديمة بالليبو، أو الليبيين، حيث حكموا مصر في عهد شيشوق الأول، وقد شهدت مصر على أيديهم نهضة لم تر مثلها، كما تروي بعض المصادر، ففي عهد الفراعنة: رمسيس الثاني، والثالث استولى أجداد الطوارق على الدلتا وأسسوا الدولة المالكة الثانية والعشرين، وأشهر ملوكها شيشوق الأول، كما أسسوا أيضًا المملكة النبطية التي كانت تمتد من جنوب مصر إلى أراضي الحبشة.

وكان شيشوق هذا - فيما أورد جيمس برستد- قويا وشجاعا نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم وتاريخها المجيد، وكان له ذلك، لذلك يعتقد «غوتيه» أن الطارقي هو الذي أثر في المصري أولا، ونجد من يعارض هذا الرأي من الباحثين.

البدو الرحل

ويرتحل الطوارق فوق إبلهم رفقة طويلة، فهم معا، قائد وسفين فوق أمواج الرمال وسط واحدة من أشد قفار العالم وحشة، وهي الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا. وهم خبراء في الإبل التي تعد عماد حياتهم، أما من يعيشون منهم في الحافة الجنوبية للصحراء، فهم فرسان لا يشق لهم غبار، وقد استطاع الطوارق السيطرة على القوافل القديمة، فيما بين حافة الصحراء الشرقية وبحيرة تشاد، وأصبحوا مرهوبي الجانب، تخشاهم كل شعوب الصحراء.

لا يدري الكثيرون عن تاريخهم شيئا، وإن كانوا ارتبطوا بالاحتفالات التراثية كنماذج بشرية توشك أن تتلاشى مع زحف المدنية، على غرار بقايا الشعوب التي كانت ثم بادت، والآثار التي توجد في كل مكان، فهم الآن فقدوا كثيرا من عاداتهم وخصائصهم، وهم قيد زحف المعطيات التي تغزو كل شيء من ثوابت الحياة، وهناك محاولات من الحكومات لتوطينهم على غرار شعوب الإسكيمو والهنود الحمر وسكان استراليا، وشعوب جنوب إفريقيا، فتركوا مواطنهم الأصلية وسكنوا في أطراف وقيعان المدن.

العروبة هل هي رافد واحد؟

الاسم «الطوارق» يعود إلى كلمة «تارقة» التي تعود إلى منطقة فزان في ليبيا، وهناك اعتقاد خاطئ في العالم العربي، وبخاصة تلك الدول التي تقع في الشمال الإفريقي منه، أن الطوارق ينسبون للقائد العربي المسلم الشهير طارق بن زياد لكونه من أصول بربرية.. ولكن التسمية يرجح أنها تأتي من «تماشق» أو «تمازغ» وتعني بلغة البربر «الرجال الأحرار» وإن كان الاسم ظهر بعد وجودهم في المكان، وربما كان للأصل اللغوي دورٌ في إطلاق الاسم عليهم فهم سريعو التنقل، وربما ينزلون منزلا في بعض من الليل، ويغيرون على أعدائهم بطريقة خاطفة تدعم اللثام الذي يبث الرعب في قلوب أعدائهم بليل، هكذا يروي تراثهم الذي وصل، لقد حط بعض أجداد هؤلاء الرحل مع الهجرات العربية أثناء الفتوح الإسلامية، ويذكر أنهم يعودون إلى الجزيرة العربية ومنطقة اليمن بالتحديد حيث قبائل «حِمْيَر» حيث يظهر هذا في ملامح سحنتهم العربية، ولكن اختلطوا مع شعوب المنطقة فأخذوا من ألوانهم مثل: قبائل الهوسا، والماندينج، والفولاني وكلها من القبائل الإفريقية المسلمة المتاخمة للصحراء الكبرى الإفريقية، ولكن ربما كانت الأصول العربية رافدا واحدا من روافد متعددة تصب في معين «الطوارق».

أقسام الطوارق

يقسم المختصون الطوارق إلى بدو الصحراء وتتركز غالبيتهم في منطقة «فزان» ومدينة غدامس بليبيا وجنوب الجزائر

باحث في التاريخ

وتونس، والقسم الآخر يتمثل في طوارق الساحل المتركزين في مدينة يلمدن بمنطقة طاوة بدولة النيجر ومدينة تمبكتو عند منعطف نهر النيجر بدولة مالي، وتمتد أفخاذهم إلى موريتانيا ولكن بصورة قليلة.

وهناك من الطوارق أصحاب اللسان الأمازيغي وينتمون إلى قبيلة صنهاجة القديمة، وتحديدا فروعها: مسوفة وغدالة ولمتونة، وهي ذات القبائل التي ينتمي إليها المرابطون مؤسسو الدولة التي تحمل ذات الاسم، وهي واحدة من أكبر الإمبراطوريات المغربية عبر التاريخ. وإضافة إلى الطوارق البربر، فإن اسم الطوارق، تنضوي تحته قبائل عربية، أقامت سلطانا في الصحراء، تتكون في الأساس من قبائل هاجرت صوب الصحراء في العهد المغربي الذي امتد سلطانه إلى ثنية نهر النيجر في تمبكتو. كما ذكرنا. وهذه القبائل اندمجت مع الطوارق إلى درجة أن بعضها تحول عن اللغة العربية إلى لسان الطوارق من طول الجوار، وبقيت آثار لتدل على متانة العلاقة بين الإسلام وهذه الشعوب، وبقي البعض محافظا على اللغة العربية بجانب اللغات المحلية.

لقد سيطروا على الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء، ويتبعون مذهب الإمام مالك بن أنس، وفي فترة الفتوحات الإسلامية ساروا ومعهم الدعوة الإسلامية التي انتشرت، حيث وقف علماؤهم إلى جانب الدين الحق فنشروا تعاليمه السامية في أغوار الصحراء حتى مشارف خط الاستواء، ثم لجأوا إلى الصحراء لأنهم يلتمسون فيها الحماية، وسرعة إرهاق الدخلاء عند أي بادرة عداء، خاصة حين نشط الاستعمار واكتشف أنهم مقاتلون شديدو المراس.

الاحتلال الفرنسي

لقد وقف الطوارق شوكة في حلق الاحتلال الفرنسي إبان احتلال الشمال الإفريقي حيث اضطر المستعمر إلى بناء حصون قوية وحاميات، وقد كان جنوده يقاتلون من وراء جدر يتحصنون فيها.

لقد كان لهم دور تاريخي قاموا به خير قيام، ولكن بدأ هذا الدور بالتلاشي رويدا رويدا، بل وصل إلى التهميش من قبل أرباب السياسة، فساهم هذا العداء لهم مع عدم انصياعهم للمتجبرين في تشتتهم في أكثر من دولة إفريقية منذ القدم، واحتضنت النيجر الكثافة الأكبر من شعب الطوارق، وبحلول القرن الرابع عشر أصبح الطوارق أقوى المجموعات البشرية تجارة ونفوذا في تلك المنطقة، وكانوا يقومون بنقل البضائع النفيسة عبر الصحراء مثل الذهب والعاج والأبنوس والتوابل إضافة إلى التمور والملح، وتنامت في تلك الفترة قوتهم وأنشأوا دولتهم في المنطقة الوسطى من النيجر، وأطلقوا عليها اسم سلطنة العير وكانت لهم عاصمة في مدينة أغادير، وسيطروا على التجارة حتى عام ١٩٠٠م ولكن سيطر الفرنسيون على مناطق غرب إفريقيا فانتهت دولتهم.

عادات لا تفارق الطوارق

بقيت بعض العادات القديمة من زي له تاريخ، وهجر للمدن، ولا يرون بديلا عن الصحراء، والطوارق لهم خصوصية ارتداء الرجل للثام الطارقي كأثر لطبيعة البادية والحرب التي كانت مرتبطة بهم منذ حقب تاريخية قديمة، لهم حياة قائمة على الترحال، والصحراء الكبرى الإفريقية ميدانهم حيث تشكل طبيعتهم. ورغم أن الطوارق يعيشون الآن من تجارة التمر، والحبوب، ويسكن الكثير منهم المدن فإنهم لا يزالون يحتفظون بأسلحتهم القديمة مثل رماحهم الطويلة وسيوفهم ذات الحدين، ودروعهم الجلدية الكبيرة كتراث لا يستغنى عنه، ولهم عادات لا يفارقونها، مما يعد أخلاقيات نادرة الآن، فتستطيع أن تعتمد عليهم في الوفاء بديونهم وعهودهم، كما أنك تستطيع أن تثق بكلمة الطوارق، وهناك مثل عندهم يقول «إن جهنم نفسها تمقت عدم الشرف» والآن يحملون أسلحة نارية بل بنادق متعددة الطلقات.

لغات الطوارق

لا يتحدث الطوارق لغة موحدة، وإن كانت اللغة البربرية التي تأثرت باللهجة القرشية هي السائدة، ولكن نلحظ التأثر باللغات الإفريقية التي يتحدث بها سكان الشعوب التي سكن الطوارق أرضها وعايشوا شعبها، وصارت بينها وبين الطوارق علاقة مصاهرة. ليس اللقب طارقي هو الذي يميز صاحبه عن غيره من المواطنين، فالطارقي له سمات عربية تحكي قصة أصوله، فلا تخدع لون البشرة التي غيرتها المصاهرة، لقد استوطن الكثيرون حوض النيجر، وتوارت قليلا عادات الصحراء التي كانوا يبقون عليها.

منظمات مشبوهة

كثير من المنظمات العاملة في الصحراء الكبرى وجدوا ضالتهم في شعب الصحراء كمرشدين، أو عمال وسائقين في المحميات الطبيعية، والمناجم، ولكن بدأت المنظمات التبشيرية تحيك لهم الخطط لإبعادهم عن دينهم وتقاليدهم في سبيل تنصيرهم، وإن كان ذلك أخذ بعدا آخر في بلدان الحزام الطارقي بإلحاق بعضهم في الوظائف، وأبنائهم في المدارس، ورويدا يتم تذويبهم في سلك العمل مع الإرساليات الأجنبية ليحدث السقوط كما حدث في تشاد، والنيجر، والجزائر ومالي، والجنوب الليبي.

كان هدف الحملات التنصيرية الغربية يتجاوز هذا الحد إلى العمل من أجل تنصير الشريط الصحراوي الفاصل بين شمال إفريقيا العربي المسلم وغرب إفريقيا الأسود المسلم، والممتد من شرق جمهورية النيجر إلى حدود مالي مع موريتانيا، لقد تعاملت الكثير من المنظمات التي اتخذت من الصبغة الدولية غطاء لإخراج أبناء الكثير من أبناء القبائل التي تعيش على الرعي من الإسلام بوازع الاحتياج للدعم الإغاثي، والطبي، لقد تعاملوا معهم بكثير من الانتهازية، فالكثير من المؤسسات الإغاثية الغربية تعمل في التنصير مع مدها يد العون للجوعى.

هناك اعتقاد خاطئ بأن الطوارق ينتسبون للقائد المسلم طارق بن زياد لكونه من أصول بربريه

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

أولوية الانشغال

يعيش المجتمع الإنساني اليوم حالة من التيه والضياع نتيجة ممارسات الإنسان، واحتكار الدول الكبرى لخيرات الأمم الضعيفة، والانحراف عن الطبيعة والفطرة البشرية.

ولعل ذلك يؤكد فشل الجهود التربوية والمدارس والفلسفات التعليمية الغربية الحديثة في إنقاذ الإنسانية من الظلم والظلام والدمار والاضمحلال.

هذا الأمر يستدعي دائمًا البحث عن الحلول الجذرية لواقعنا المتردي، ونحن نعلم أن الإسلام قد شرع منهجًا ربانيًا متكاملًا يلائم فطرة الإنسان لبناء الشخصية الإنسانية بناء متزنًا.

فلا سعادة ولا استقرار ولا طمأنينة إلا بتربية النفس والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، تربيته على أن يحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته، خاصة أن الفطرة الإنسانية خلقت سوية مستقيمة ولو بقيت على ذلك ما أشركت ولا أفسدت، والعوج فيها طارئ لا أصيل.

فمن العجيب أن نجد علماء ومفكرين ومثقفين وقادة رأي باعوا وطنهم ودينهم ومبادئهم نظير مالٍ أو جاه أو سلطة وكل هذا سينقضي عاجلًا أو آجلًا.

لذا ينبغي الأخذ في الاعتبار أن علاج النفس البشرية قد يكون أصعب من علاج الحجر الصلد أو الحديد ذي البأس الشديد.

إن التربية الإسلامية رسخت أطرًا للأخلاق الإنسانية تمثلت في منظومة متكاملة قابلة للتطبيق في أي زمان ومكان. فتكوين الأخلاق يهزم نوازع الضعف ووساوس الهوى ويبني الشخصيات المتزنة ويشكل الهوية الفطرية.

ويمكن القول: إن البيئة الصالحة تساهم بشكل كبير في تطبيق المفهوم الإسلامي التربوي لأن تكوين البراعم الصالحة المؤدية لحقوق الله وحقوق البشر يقتضي هيمنة ورقابة على نظام الدولة بأكمله.

ولعل التجربة التركية في الإصلاح الاجتماعي في النصف الأخير من القرن الماضي تحمل معاني عميقة ورؤى دقيقة توضح أن المسلمين عندما انشغلوا بتزكية أنفسهم وتنميتها بما يرضي الله، والعمل على مضاعفة رصيدهم من التقوى والأدب، والعمل بما يجعلهم أسياد البرية في هذا الكون، كانت لهم العقبى وأقبلت الدنيا عليهم وباتوا على وشك السيادة الكاملة.. فهل من مدكر؟!

إن أساس سعادة البشرية اليوم يكمن في الإسلام، فمتى حكم وساد وجدت قواعد التقدم والرقي لاسيما أن التاريخ ليس سجل معارك بقدر ما هو عقائد وأخلاق استطاعت تطويع الحياة للقيم الإنسانية.

وقد حكي عن بعض السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه التجربة أثبتها الإسلام على مدار تاريخه.

هكذا ينبغي أن نربي براعمنا وناشئينا على العواطف الربانية والحقائق الإسلامية باعتدال واتزان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت: ٦٩).

والله ولي التوفيق.

أسرتي

مزيدًا من الرقابة المدروسة

سؤال يتردد كثيرًا على ألسنة التربويين والإعلاميين والمفكرين وغيرهم ومفاده: على من تقع مسؤولية بناء الأجيال من البنين والبنات في عصر العولمة وعصر تدفق المعلومات؟

هل هي مسؤولية التربويين أم مسؤولية الاعلاميين أم مسؤولية منظمات المجتمع المدني أم مسؤولية الأسرة؟

إن الجواب على هذا التساؤل سهل للغاية، فالمسؤولية مشتركة بين جميع هذه الأطراف، وإن كانت مهمة الأسرة مهمة مباشرة وأساسية في هذا الأمر، فعلى عاتق الأبوين تقع مسؤولية رقابية خطيرة للغاية، وأي خلل في هذه المسؤولية ينتج عنه نتائج عكسية.

إن الرقابة المدروسة والمتوازنة التي لا تقف عائقًا أمام حرية العقل هي أساس البناء المتماسك وهي أساس التغيير والتجديد، والإسلام دعا إلى إعمال العقل في كل ما يحيط بالإنسان، فالآية ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وردت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم بنفس الصيغة (الرعد: ٣، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣) إضافة إلى أن كلمة الفهم ومشتقاتها وردت ٨٥٠ مرة في القرآن الكريم وهذا يؤكد أن جوهر دين الإسلام هو العقل، والعلم هو سبيل أجيالنا للإبداع والمساهمة الايجابية في التنمية المحيطة، فهل يدرك الأبوان هذه المسؤولية العظيمة؟

المحرر

انتبه.. لست وحدك تربي ولدك

يخطئ من يظن أن الوالدين هما الجهة الوحيدة المسؤولة عن تربية الأبناء، فهناك جهات عديدة تشارك في ذلك ولا يقل دورها عن دور الوالدين بل ربما يزيد، فنذكر من هذه الجهات:

سليمان الرومي

أولا: المدرسة

فالمدرسة هي البيئة الأخرى التي يمكث فيها الطفل معظم اليوم، حيث تكون فترة إقامته في المدرسة أطول من إقامته في البيت.

والمدرسة بها أطفال آخرون وفدوا من بيئات مختلفة وورثوا عادات وتقاليد مختلفة ولديهم أفكار مختلفة، فالاحتكاك هنا له دور مهم جدًا، حيث يتعلم الطفل من هؤلاء سلوكاتهم، والسلوك مرآة الفكر ويمكث معهم فترة ليست بالقصيرة على مدار اليوم وعلى مدار السنين الطوال في العملية التعليمية.

فالمعلم قدوة للأطفال يقتبسون منه جميع الخصال حسنها وسيئها لأنهم يرونه مثلا لهم، فالمعلم له دور بارز في تربية الطفل فهو يسمع له ويستجيب حتى ولو كانت تعليماته مخالفة لتعليمات الوالدين، فالمعلم تعليماته غالبًا هي التي تنفذ، والتلاميذ غالبًا ما يقلدون معلميهم في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم، فالمعلم له تأثير مباشر على التلاميذ وعلى تربيتهم.

وكذلك المناهج الدراسية التي لها نصيب الأسد في التربية، فهل هي مناهج إسلامية تنهج المنهج الاسلامي في اتباع شرع الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح؟ أم هي مناهج وطنية قومية حزبية لها نزعة عنصرية؟ فالمناهج أيضا لها دور بارز في تربية الأطفال.. المدرسة ككل لها دور بارز لا يستهان به في التربية.

ثانيًا: الراديو والتلفاز

الراديو والتلفاز لهما دور خطير جدًا في تربية الأطفال، فبالرغم من أنهما ينبغي أن يكونا مصدر إشعاع ومعرفة وثقافة في تربية النشء إلا أن العدو اتخذهما سلاحًا من أسلحته الفتاكة غير المباشرة للقضاء على القاعدة العريضة من الأمة الإسلامية ممثلة في أطفالها وشبابها، فإن الأعداء يعقدون الجلسات بالليل والنهار والسر والجهار للقضاء على شباب الإسلام.

فلقد كتب اليهود في البروتوكولات أنه لكي تقام دولة اليهود العالمية لابد من إفساد الناشئة، ولذلك كان حرصهم التركيز على كل الطوائف وعلى الأطفال بصفة خاصة، واستطاعوا أن يدسوا السم في صورة مسلسلات خرافية خيالية كافرة تهدف إلى زرع عقيدة فاسدة للأطفال والشباب معًا مثل غرانديزر، أندايزر، الرجل الحديدي، العملاق الأخضر، ومنها ما هو بين الحيوانات مثل سلاحف النجا، والبوكيمون، أو بين غزاة الفضاء وسكان الأرض أو الكواكب الأخرى وفيها العري وعدم ستر العورات وتعليم الأولاد الحب وأن الخلوة بالأجانب ليست محرمة وأن الفواحش عملية سهلة وميسورة ولا عقاب على من يرتكبها، بل يكون في نظرهم بطلاً إذا خطف سيدة من آخرين، ويزيد المشكلة سوءا أن الإقبال على هذه البرامج شديد، لأن السم فيها معروض بطريقة جذابة للصغار والكبار.

كيف تربي ولدًا صالحًا؟

إن هذه البرامج لها دور بارز في تربية الأطفال التربية الخاطئة والتي تهدم العقيدة الراسخة ولا تبني إلا جيلًا منهزمًا.. والله المستعان.

والتلفاز أصبح الآن ليس قاصرًا على برامجنا العربية، بل ازداد الأمر سوءًا حيث دخلت القنوات الأوروبية الفاجرة وأصبحت بثًا مباشرًا، ويا لها من حرب مدمرة للعقيدة والمبادئ والقيم والأخلاق، فهذه القنوات تبث السم الزعاف ليل نهار بلا هوادة وهي حرب معلنة وليست خفية، فباتت من أخطر الحروب على شباب الإسلام وعلى النشء المسلم بخاصة، فينبغي للمسلم أن يحمي أولاده وأولاد المسلمين من هذه المخاطر المدمرة وعلى الإعلام العربي أن يستيقظ لهذه الحرب ويستغلها الاستغلال الأمثل لصالح الأمة الإسلامية ويبث ما ينشر الإسلام ويحمي المسلمين.

ثالثًا: الانترنت

لقد أصبحت العفة والشرف في هذه الوسيلة كلمات لا وجود لها في قاموس المعلومات البشرية، ففي هذه الوسيلة برامج ومواقع خاصة لعرض الجنس عرضًا مثيرًا للشباب والفتيات ممن يقعون في شباك الرذيلة مما يؤدي إلى دمار الشباب، وهذه أهم أهداف الحرب المعلنة على الإسلام وشباب المسلمين من قبل اليهود.

وكان من آثار هذه الوسيلة ان اصبحت الدول الأوروبية والعربية الاسلامية تعاني من مآس مريرة، منها على سبيل المثال: أنه أصبح لدى اسبانيا وحدها ١٨,٠٠٠ مراهقة تحمل سفاحًا كل عام أعمارهن دون التسعة عشر عامًا ومنهن ٧٠٠٠ يلجأن إلى الاجهاض وما يقرب من ٨٠٠ بنت منهن تتراوح أعمارهن ما بين أحد عشر عامًا وخمسة عشر عامًا، وكذلك في فرنسا ومعظم الدول الأوروبية، ولم تقتصر هذه الآثار على الدول الغربية بل تعدتها إلى بلداننا الإسلامية الحبيبة فنجد منها ما تفشت فيه الرذيلة، ومنها ما انتشرت فيه ظاهرة الزواج العرفي الذي هو في حقيقته زنى مقنّع ومخالف لشريعتنا السمحاء، فعليك أخي المربي حماية أولادك من هذا الخطر المدمر.

رابعًا: الهاتف

حيث يستغله بعض السفلة العاطلين من

سكرتير التحرير

الذئاب البشرية من الشباب والفتيات الذين غابت عنهم المتابعة وغابت عنهم عين الأب والمربي ومات ضميرهم واتبعوا الشهوات وطرق القنوات المدمرة استغلالًا سيئًا، وهؤلاء ليس لهم هم إلا استخراج واستدراج العفيفات الشريفات من خدورهن إلى سبل الرذيلة وبعدها تدمر العفة والشرف وتهوي الأسر وتتصدع، ذلك كله يبدأ من كلمة في هاتف من شاب إلى فتاة بريئة لا تعرف الخبث ولا تعرف الكذب والخداع، وتحت ستار واهم اسمه الحب يستخرجها من بيتها، ومن شرفها وعفتها تحت ستار التهديد إن أبت بعد أن سجل لها المكالمة، وبعد خروجها وعودتها بدون شرفها وعرضها وعفتها يلفظها، لقد نال مطلبه وبعدها لا يعرفها وبذلك انتهت قصتها وحياتها، كل ذلك بسبب كلمة واحدة في هاتف كان المفترض أن يكون متابعًا من الأب أو الأم أو الأسرة ولا تترك للأبناء الحبل على الغارب ثم بعدها تندم حين لا ينفع الندم.

قصة واقعية

قالت: كانت البداية مكالمة هاتفية عفوية تطورت إلى قصة حب وهمية، أوهمني أنه يحبني وسيتقدم لخطبتي.. وطلب رؤيتي.. رفضت.

هددني بالهجر، بقطع العلاقة.. ضعفت.. أرسلت له صورتي مع رسالة وردية معطرة، توالت الرسائل.. طلب مني أن أخرج معه، رفضت بشدة، هددني بالصور... بالرسائل المعطرة.. بصوتي في الهاتف، وقد كان يسجله، خرجت معه على أن أعود في أسرع وقت ممكن، لقد عدت ولكن عدت وأنا أحمل العار، قلت له الزواج.. الفضيحة.

قال لي بكل احتقار وسخرية: إني لا أتزوج بفاجرة!

فكن أخي المربي أشد حرصًا على أولادك وخوفًا عليهم من هذا الوباء الموجود في غرفهم.. الهاتف.

خامسًا: المجلات وقصص الأطفال

فالقصص والمجلات لها دور مهم وبارز في بناء فكر وعقائد الأطفال، ولذلك اهتم بها القرآن الكريم وذكر العديد من القصص القرآنية، منها قصة بقرة بني إسرائيل وقصة فتية أهل الكهف وقصة أصحاب الجنة في سورة الكهف وقصة الصراع بين الخير والشر بين قابيل وهابيل وقصص الأمم السابقة وما حدث لها نتيجة عصيانها أوامر ربها سبحانه وتعالى، وجميع قصص الأنبياء والمرسلين، وبالاضافة للقصص القرآني فهناك القصص النبوي الصحيح الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ ليعلم أصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، فالمجلة والقصة تشاركان معًا في تربية الأطفال.

نعم.. هذه المجلات والقصص لها دور في تربية الأطفال، فالقصة لها نصيب كبير من حب الأطفال فهم يحرصون عليها ويحبونها ففيها التسلية والتشويق والمرح والفكاهة والشجاعة والأمانة.

واستغلالًا لحب الأطفال للقصص والمجلات التي تحتوي عليها، امتلأت الساحة بالعديد من الصور والوسائل التي تستهوي الأطفال وتفسد عقولهم وتلوث فطرتهم، وهذه المجلات للأسف عربية وتصدر من بلاد عربية، ولكن تصدر عن الالحاد والإباحية والنصرانية، وهذه المجلات أنواع منها الاجنبية المترجمة بالعربية ومنشورة في البلاد بالعربية ومنها مجلات من إنتاج عربي وتحتوي على أهداف قومية وثقافات وطنية حزبية بعيدة عن القيم الدينية والإسلامية وتركز على الأهداف الفكرية والجمالية والفنية والفوازير والمراسلات إلا ما رحم ربك من مجلات عربية إسلامية وهي قليل.

سادسًا: الأصدقاء

الصديق له دور عظيم في تربية صديقه وتعليمه مبادئ ومفاهيم لا يستطيع غرسها فيه الوالدان.

فنحن نرى المنهج الإسلامي يهتم بالصديق في مصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف:٢٨) وقال تعالى: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا﴾ (الكهف:٦٦)، وقال تعالى﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا. لقد أضلني عن الذكر...﴾ (الفرقان: ٢٨-٢٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (الترمذي وأبوداود)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (الترمذي وأبوداود)، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما ان تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة» (مسلم).

فمن الواضح من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أن الصديق له تأثير كبير على صديقه، فهو مرآته يأخذ منه الصفات والعادات والأفكار التي تكاد تؤثر على تربية الأسرة وتبدلها تبديلًا.

وكما يقول في المثل العامي «الصاحب ساحب».

قال الشاعر:

فكل قرين بالمقارن يقتدي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

وقال آخر:

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم

فيا أخي المربي: اختر لولدك الصديق الصالح كما تختار له أفضل الأطعمة وارقى الملابس وأحسنها.

سابعًا: الخادمات

فالخادمات لهن أثر في تربية الأولاد، فالخادمة تمكث مع الطفل قدرًا طويلًا من الوقت وفي أي مرحلة.. إنها من أخطر مراحل حياة الطفل، فهي مرحلة البناء الفكري والعقدي والعاطفي.

فالخادمة لها تأثير خطير على الطفل حيث إنها تتناول الطفل عند البكاء وتهيئ له وقت الراحة وتهيئ له اللعب وتلبي حاجاته كلها، ولا يراعى أتصلح للتربية أم لا تصلح؟ وبذلك يكون تأثيرها على الطفل مباشرا فهي الملجأ (في نظره) الوحيد له في غياب والديه أو في حضورهم، إذن أصبح لها مكانة كبيرة في حياة الطفل، ومن هنا تبدأ تبث فكرها وعقيدتها وعاداتها وميراثها الاجتماعي وتغرسه في عقيدة الطفل وفي سلوكه، ومنهن كافرات يعبدن النار والبقر وغير ذلك، وإن كن مسلمات فلهن عادات وتقاليد تقارب الشرك بل هي شرك.

والله تعالى أعلم.

ظاهرة خطيرة تتفشى في المجتمع الإسلامي وتهدد آلاف الأسر بالانهيار

«شات الإنترنت» الجاني الإلكتروني الجديد

أحمد أبوزيد

مع انتشار شبكة الإنترنت ووصولها إلى معظم البيوت عن طريق أجهزة الكمبيوتر الشخصية ومقاهي الإنترنت، بدأت تطفو على السطح ظاهرة جديدة وخطيرة على الأسرة المسلمة، وهي العلاقات الإلكترونية بين الرجال والنساء والشباب والفتيات، من خلال وسيلة لعينة هي «شات الإنترنت»، وبدأ آلاف الأزواج والزوجات يصرخون من الأثر الخطير لهذا الوافد الجديد على الأسرة والمجتمع، والذي ينتشر في البيوت انتشار النار في الهشيم، وبدأ يسهل الخيانة بين الأزواج والزوجات، خاصة أن مواقع الشات لها وقع السحر على بعض الناس.

فقد بدأ الإنترنت يلعب دورا خطيرا في العلاقات الاجتماعية بين البشر في دول العالم، وسهّل الانفتاح بين الجنسيات المختلفة، التي يتعارف أكثر أفرادها عبر غرف الدردشة المشهورة في العديد من مواقع الشبكة الدولية، وعبر البريد الإلكتروني، والمكالمات الصوتية، وقد نتج عن هذا الانفتاح بروز هذه الظاهرة الجديدة.

قام أطباء أميركيون بتقييم الأوضاع النفسية والعقلية لـ (١٤) من المستخدمين طويلًا لـ «الإنترنت» وكان معدل أعمارهم (٣٥) عامًا، وتم إجراء مقابلات معهم للتعرف على المشكلات التي واجهوها بالفعل، مثل العلاقات الاجتماعية الفاشلة، وفقدان الوظيفة، والطرد من المدرسة، وتبين أن أحدهم وعمره (٢١) عامًا كان يستخدم الإنترنت لأكثر من (١٠٠) ساعة في الأسبوع، ويهمل أسرته وأصدقاءه، ولا يتوقف إلا عند النوم فقط، وآخر عمره أيضًا (٢١) عامًا، كان قد اختفى لمدة أسبوع، وتم العثور عليه في مختبرات الحاسوب بالجامعة بعد أن أمضى (٧) أيام متواصلة على الإنترنت.

والمثال الصارخ في هذا الصدد هو المهندس الإلكتروني الأميركي هنري هيغنيز الذي اعتاد الإبحار عبر الإنترنت وجذبته المواقع الإباحية، وتدريجًا وجد نفسه مشدودًا إلى فتنة الأجساد، وبلغ به الحد إلى إنفاق أكثر من عشر ساعات يوميا في التنقل بين هذه المواقع المنتشرة بكثرة، وكان من نتيجة إدمانه تدهور أدائه المهني، وإصرار زوجته على الطلاق، وأعلن الأطباء أن هيغنيز مدمن، ودخل مصحة نفسية أنشئت عام ١٩٩٩م لعلاج هذا النوع من الإدمان.

زوجة كان «الشات» سببا في طلاقها وهدم بيتها تشكو همها إلى الله تعالى من هذا اللعين

سيدة الغربة

وأمامنا الكثير من القصص العربية الواقعية لمن وقعوا فريسة لهذا الجاني الإلكتروني الجديد من الأزواج والزوجات، أولها قصة سيدة متزوجة وتعيش في الغربة، وقد روت مأساتها بنفسها على أحد المواقع الإلكترونية، تقول: سأروي قصتي علها تكون عبرة لمن اعتبر، وأنا لا أطلب حلا أو نصيحة، فالحل من عند الله سبحانه وتعالى، هو وحده القادر على أن يزيح الغمة ويفرج الكربة.. فأنا سيدة متزوجة منذ ٢٢ عاما، ولي عدة أطفال من مختلف الأعمار، أعيش في الغربة من فترة بعيدة، مثقفة وأعمل بشكل جيد، وأدرس الماجستير الآن، وحياتي الزوجية لم تكن موفقة، وكان هناك كم من المشكلات، ولكنني تعاملت معها دوما، وتنازلت كثيرا لأبقي دفة المركب تسير بالمنزل والأولاد.

وفي يوم من الأيام كانت حالة الضيق قد وصلت إلى أوجها، وإذ بابني يقول لي إن أهلي في غرفة «الشات» يريدون الحديث معي، فجلست لأرى ما هذا الذي يقضي به الأولاد الساعات، فوجدتها طريقة مجانية للكلام مع الأهل وتبادل الأشواق، وانجذبت إليها، وإذا بشخص يكلمني من نفس بلدي فكلمته في حديث عام، وصرت كل يوم ألتقي بأهلي وبه أيضًا، وارتحت نفسيًا عندما بدأت أتكلم عن مشاكلي التي لا يعلمها إلا الله، خوفا من كلام الناس، وهذا شخص غريب عني، والحق، كان بارعا في

كاتب صحافي

إدارة الحديث والتدرج به، وأنا كنت قمة في السذاجة، وخلال خمسة عشر يوما وجدت نفسي أطلب الطلاق، وفعلا طلقني زوجي الطلقة الثالثة، وكنت أسعد إنسانة، فقد تخلصت من الكابوس المسيطر على حياتي، وعشت- كما ظننت- قصة حب جميلة سافرت فيها إلى بلدي، وتعرفت على الشخص الذي أحببته وأحبني عبر «الشات» الإلكتروني.. ولكن المشكلة بدأت مع ظهور الحقائق، فهو يصغرني بعشرة أعوام، غير متزوج، ولن يتزوج يوما ما مثلي (أمّ أطفال مطلقة، وأكبر منه).

وأصبح الندم سياطا تجلدني في كل لحظة أقف فيها بين يدي الله، وفي كل لحظة أنظر إلى أطفالي الأمانة التي أضعتها في لحظة.. فخسائري اليوم.. مطلقة من زوج أخذ تعب العمر كله ومقدم الصداق ومؤخره.. ولم أحصل فقط إلا على حقيبة ملابس بعد ٢٢ عاما.. هذا الذي حصلت عليه من كل هذه السنين!!

والنتيجة فضيحة بين الأهل والأولاد بعد أن أبلغ زوجي الجميع أنني أحب شخصا من «الشات»، شخص تتصل مني وفر هاربا، فكل ما كان يريد اللعب والحب المجاني، سمعة أضعتها بعد تعب كل هذه السنين، وأطفال في رقبتي يرفض والدهم الإنفاق عليهم، ولم يوفر لهم حتى منزلا يؤويهم، وأنا في بلد الغربة أبحث عن عمل إضافي لأستطيع ستر نفسي وأولادي بالحد الأدنى.

كل ما أريد، أن أقول: إنني أشكو همي وبثي إلى الله تعالى من هذا الشات اللعين، ولا أدري إن كان هو الملوم أم نفسي الأمارة بالسوء؟ أم أشباه الرجال الذين أضاعوا الأمانات الواحدة تلو الأخرى؟ أم انقيادنا الأعمى لكل درن الغرب؟

أما بالنسبة للشخص الذي أحببته فأحب أن أطمئن كل فتاة في عالمنا العربي أنه قد وجد حواء أخرى يلعب بها وبنفس الطريقة ونفس الكلام الذي بدأه معي، وأعلم هذا من بريده الذي لا يعلم أنني أعلم كلمته السرية، فهنيئا لي بهذه الخسارة وبهذه النهاية، ولكن عسى أن يكون فرج الله قريبا.

آلاف الأزواج والزوجات يصرخون من الأثر الخطير لهذا الوافد الجديد

زوج حائر

وأمامنا قصة أخرى واقعية يرويها زوج حائر من البحرين، ونشرتها «شبكة الإسلام» على الإنترنت تحت عنوان «الخيانة الإلكترونية محاولة للفهم والتحليل» يقول: لقد علمت أن زوجتي تستخدم مواقع «الشات» الإلكتروني في ممارسة ما يسمى بالحب الإلكتروني.. تتحدث كتابة مع أغراب باسم مستعار، وتتجاذب معهم أطراف الحديث، وتتبادل عبارات الغزل، وعبارات تصف العلاقة بين رجل وامرأة. وقد واجهتها واعترفت، وطلبت السماح، ووعدت بأنها لن تلمس الكمبيوتر مرة أخرى.

وعلى أي حال فقد غيرت كلمة السر فلن تستطيع استعماله ثانية، وبدا لي أنها ندمت جدا.. يبدو أن الفراغ كان عاملا مشجعا، حيث إنها لا تعمل وليس لدينا أولاد بعد، ولكن لم أكن أتصور حدوث هذا منها أبدا. وبعد أن اعترفت توسلت وتذللت كثيرا أن أسامحها وامتنعت عن الطعام خمسة أيام حتى أغمي عليها، فقد كنت عازما على الطلاق.

ثم يقول: هي تصلي معظم الأوقات وترتدي الحجاب، ولكني لا أستطيع نسيان ما حدث، وبالكاد أقاوم رغبتي في تطليقها منذ حدث ذلك من ثلاثة أشهر، ولكني لم أعد أثق في تصرفاتها أبدا، وكلانا يعيش في عذاب مستمر بعد هذه الحادثة.

لو كانت الخيانة حقيقية لما ترددت لحظة في تطليقها، ولكن هذه خيانة خيالية في معظمها، ولكنها أيضا حقيقية، وتؤدي في أحايين كثيرة إلى الخيانة الحقيقية، ويكفي أنها أبدت استعدادها للخيانة الحقيقية.

فقد كانت تخاطب صديقاتها فقط على غرف «الشات» في أول الأمر، ثم أصبحت تتجاذب الحديث مع أي رجل، فيكفي أن تدخل إلى هذه الغرف باسم فتاة، وألف من يعرض الحديث.

حتى إنها كانت تتكلم مع اثنين أو ثلاثة في آن واحد، إن تكلم في الجنس لا بأس، كلام عادي لا بأس، يحاول التعارف لا بأس، يطلب البريد الإلكتروني لا بأس، هي جاهزة ببريد إلكتروني مستعار، حتى إنها أحيانا تتقمص شخصية رجل يبغي علاقة مع رجل آخر ليفعل به عمل قوم لوط من خلال الإنترنت والشات أيضا.

ومازال هذا الزوج حائرا ولا يدري ماذا يفعل، هل يطلق زوجته هذه أم يسامحها؟ ولكن مضمون رسالته يشير إلى أنه قد فقد الثقة بها من جراء ما فعلت عبر الشات اللعين.

وبعد.. فإننا أمام ظاهرة خطيرة، بدأت تتفشى في المجتمع الإسلامي، وتهدد آلاف الأسر بالانهيار، نتيجة لهذه العلاقات غير السوية، التي استحدثها الإنترنت، ووقع فريستها آلاف وربما ملايين الشباب من الجنسين، وكذلك الأزواج والزوجات، وهي قضية قيم وأخلاق وتربية في المقام الأول، فالإسلام دين العفة والطهارة ومكارم الأخلاق، وهو يرفض الغش والتدليس في العلاقات الاجتماعية، كما يرفض العلاقات غير السوية بين الرجل والمرأة، ولا يرضاها إلا في إطار الزواج الصحيح.

أما أن يصبح الإنترنت والشات وغرف الدردشة وسيلة لتسهيل الفجور والانحراف ونشر الرذيلة وإشاعة الفواحش في المجتمع الإسلامي وبين الذين آمنوا، فهذا أمر جد خطير، ويجب أن يكون لعلماء الأمة والمخلصين من خبراء الإنترنت والمربين والمفكرين وقفة ضد أخطار هذا الوافد الجديد، نسعى من خلالها إلى ترشيد استخدام الإنترنت، وتأصيل الضوابط الأخلاقية التي تحكم التعامل مع الشبكة، سواء من خلال غرف الدردشة أو غيرها، ونشر الوعي الديني بين الشباب من الجنسين حتى لا يقعوا فريسة سهلة للعلاقات الإلكترونية غير السوية.

طفلك فوضوي.. إليك الحل

منى الشريف

تذكر نصيحة مضيفي الطيران قبل الإقلاع، والتي ينبهونك فيها إلى ضرورة وضع قناع أوكسجين في حالة حدوث أي طارئ.. قبل أن تساعد طفلك على وضعه، من الأهم أن يكون التعامل مع عواطفنا محط أنظارنا أولًا، فكل ما عليك فعله هو الانتباه قبل كل شيء إلى نفسك، يقول د. وولف: قد لا يكون غضبك في حد ذاته هو المشكلة، وتكون المشكلة الأهم هي كيفية تعاملك مع غضبك هذا.. أن تقسم بألا تغضب أبدًا قد يكون شيئًا مستحيلًا، وسيجعلك تشعر باستياء كبير، إضافة إلى أن الأطفال يشعرون بانزعاجك حتى وإن حاولت أن تخفي هذا الأمر عنهم، كل ما عليك أن تفعله هو أن تحد من غضبك.

فإذا ما ترعرعت وسط عائلة صاخبة، كل من فيها يصرخ، فقد يصبح ضبط الطريقة التي قد تعبر فيها عن مشاعرك أمرًا شديد الصعوبة.. عليك أن تغير الطريقة التي تعبر بها عن غضبك من سلوكيات طفلك الفوضوي، فبإمكانك أن تعبر عن غضبك دون أن تقول له أية كلمة تجرحه.. هدئ أعصابك، فذلك سيساعدك - دون أدنى شك- على التعامل بطريقة جيدة مع الموقف، بالإضافة إلى أنه سيمنح طفلك فرصة لفهم ما تقوله.. تذكر: إذا ما صرخت في وجه طفلك، فقد يقوض الصراخ من عملية تعليم الطفل نفسه، فكل ما سيركز عليه هو غضبك وطريقة تعبيرك عنه، وسينسى الخطأ الذي ارتكبه.

اختصاصية تربوية

نؤكد على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس النظام والقوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم في موضوع معين ثم يأتي الأب ويناقضها كليًا في الموضوع نفسه!! إن الأبوين اللذين يشكلان جبهة موحدة فيما يخص الانضباط هما اللذان يحققان أفضل النتائج التربوية.. تبادل أنت وزوجتك الأفكار والمشاعر حول كيفية التصدي للسلوك السيئ.. إن النظام الأمثل هو أن ندع أيا من الطرفين سواء الأب أو الأم، المتواجد مع الطفل عند إساءة السلوك، لمعالجة الأمر كما يتراءى له، فعهد «انتظر حتى يعود والدك» يجب أن يكون قد انقضى منذ زمن بعيد؛ لأن مثل هذه العبارات تصور الأب على أنه «الرجل الشرير»، بالإضافة إلى أن هذا التهديد يخلق نوعًا من القلق غير المبرر لدى الطفل الذي كان يمكن من الأفضل أن ترد عليه الأم بشكل فوري قائلة: قلت لك ألا تضرب أخاك ولكنك ضربته ثانية، تعال واجلس معي واتركه يلعب لوحده في سلام.

لا تخضع قوانين وروتين الأسرة للحالة المزاجية للوالدين، فلا يجوز أن يتم التغاضي عن التزام الأبناء بالنظام حينما يكونان (أحدهما أو كلاهما) في حالة مزاجية طيبة، أو يتشددان في تنفيذ الأوامر مع أبنائهما إذا كانا في حالة سيئة! إن الشعار الدائم الذي يجب أن يتبعه أولياء الأمور هو «الاستمرارية والثبات»، فالأطفال يفكرون دائمًا بصورة منطقية، وهو ما يجعلهم يعتقدون بأنه إذا لم يكن

ينبغي ألاّ تخضع قوانين الأسرة للحالة المزاجية للوالدين

الأب والأم يطبقان قوانينهما بصورة مستمرة فهذا يعني بأنهما لم يكونا جادين فيما قالاه.

تعاملا معه بصداقة، واحترما مشاعره ولا تستفزاه، بل تعاملا معه بهدوء وتسامح إلى حد كبير - طبعًا في حدود المعقول- وساويا بينه وبين إخوانه في النظرة والحنان وطريقة التعامل؛ فقد يكون كل ما يقوم به بدافع الغيرة من إخوته، والاهتمام بهم أكثر منه؛ لأنهم أكثر هدوءًا وذكاء ونظافة... إلخ، وتوقفا عن مقارنته بأحد.

لابد من تكرار متابعتنا للطفل، فهو يحتاج إلى التنبيه والتكرار عليه مرات عديدة لكي يفهم ويدرك ويتعود، فهذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال، فيقول في معرض توجيهه لسلوك الآباء نحو أبنائهم: «عودوهم الخير فإن الخير عادة».

اربط العمل بالمتعة ليصبح وقعه على النفس أفضل، وهذا ينطبق على الترتيب والنظام، فإذا ما شعر الطفل بأهميته وبأنه عمل ممتع، فإنه يتبناه أيضًا، فاحرص دائمًا على أن يراك الطفل وأنت مستمتع بترتيب أوراقك في غرفتك، لكن اعلم أن ما قد يبدو لك غير منظم، قد يعتبره الطفل منظمًا ومرتبًا، فلا تنتقده دائمًا حتى لا تفقده ثقته بنفسه، بل شجعه وعلمه، وأشعره بالفخر بما يقوم به، فهو كلما تقدم في العمر تمكن من هذه المهارة.

حاول أن تجعل ابنك يحس ويتحمل مسؤولية الخطأ الذي قام به، بعد أن تتحدث إليه وتخبره عن سبب غضبك، واشرح له السبب الذي جعلك تطلب إليه شيئًا معينًا، والعواقب الحقيقية التي قد تنجم عن أي فعل يقوم به، بدلاً من أن تخبره عن الطريقة التي ستعاقبه بها.. أفهمه - مثلاً- بأنك لن تتمكن من إزالة آثار القلم. وكلما قل عمر طفلك قلت معه الكلمات التي يتعين عليك استخدامها لتوضح له الأمر.. انزل لمستوى طفلك وانظر إلى عينيه، ويجب أن يستمع إلى الخطأ الذي قام به، وما كان يتعين عليه فعله لإصلاح خطئه، كأن تقول: ما كان عليك أن تكتب على الحائط، كان بإمكانك أن تأخذ ورقة إذا أردت الكتابة، أو ما كان يجب أن تأكلي قطعة الحلوى، فسيحين موعد العشاء بعد قليل، وانسي الأمر بعد ذلك.

وجه الطفل بعد قيامه بالسلوك الفوضوي مباشرة إلى ممارسة السلوك الصحيح المناسب، فإذا كان هذا السلوك متمثلا في التحدث دون استئذان، فالسلوك الذي ينبغي على الطفل تعلمه هو التحدث بطريقة مناسبة.. وهكذا.

استخدام طريقة الباب مفتوح أو مغلق، يمكن استخدام هذه الطريقة مع طفل واحد أو أكثر يشتركون في غرفة نوم واحدة، حيث يتم تفحص الغرفة في وقت متفق عليه مع الأطفال، فإذا كان وضعها مرضيا، أبقيت الباب مفتوحا، أما إذا لم يكن مرضيا، قمت بإغلاق الباب، والباب المغلق يعني أن الغرفة بحاجة لترتيب وعدم السماح للطفل بالخروج للعب إلا إذا كان الباب مفتوحا، إنها طريقة عملية يمكن استخدامها مع الأطفال.. إذا كان الباب مغلقا فعلى الأطفال تنظيف الغرفة قبل خروجهم للعب أو مشاهدة التلفزيون أو ما إلى ذلك.. وهذا النوع من الترتيب يؤدي إلى تجنب النقد اللفظي من قبل الأبوين والجدال الدفاعي من قبل الطفل.

عوِّديه - أيتها الأم الفاضلة- على النظام مرّة تلو الأخرى، وساعديه في تعليق ثيابه التي ألقاها في زوايا الغرفة.. قولي له: سأعلق لك ثيابك هذه المرّة، وساعدني في ذلك. وفي المرّات اللاحقة تستطيعين أن تشجّعي طفلك على الترتيب مستفيدة من التجربة السابقة: هيا يا بطل.. أنت تستطيع أن ترتِّب غرفتك كما فعلت المرّة الماضية بنجاح.

ترتيب خزانة الطفل يعتبر من الأمور التي إن تمت، فسوف توفر عليك عزيزتي الأم وعلى الطفل الكثير من الوقت، ومن أجل هذا قومي بترتيب دوري للخزانة بمصاحبة الطفل.. اسأليه أثناء الترتيب عن طريقة الترتيب التي يرغب في أن تكون عليها خزانته.. ابدئي بنظرة فاحصة للخزانة، فإذا كانت مفتوحة فأخرجي منها الأشياء التي تحجب رؤيتك لقاع الخزانة.. تخلصي من الأشياء أو الملابس أو الألعاب غير المستعملة بالتبرع بها للجهات الخيرية، شجعي ابنك على فعل هذا؛ لتعلميه حب العطاء إلى جانب الترتيب، ثم تأتي المرحلة التي تقرران فيها معًا ما هي الأشياء التي يجب أن تعلق، وهل تعلق على الأرفف أم توضع في السلة داخل الخزانة؟

استخدم العلب والألوان.. هناك علاقة بين الألوان والترتيب، فالعلب والسلال الملونة، تُسهّل عمليتي التصنيف والترتيب للأم والطفل، بل تعطي روحًا طفولية للغرفة، لذا يمكن الاستعانة بالسلال الملونة الجاهزة، هذا بالإضافة إلى إمكانية تلوينها في المنزل، وذلك عن طريق رشها بالصبغ، ولكن تأكدي من خلوها من مادة الرصاص السامة.

أحيانًا يمكن ترك الطفل ليكتشف بنفسه مساوئ عدم تطبيق النظام؛ ليفهم من ذلك أهمية تطبيقه، فمثلًا إذا كنت تعانين من أن أطفالك لا يعيدون الأشياء إلى مكانها؛ فدعيهم ليبحثو عنها بأنفسهم، وأعلميهم أن هذا الوقت الذي يضيع في البحث سيقتطع من وقت لعبهم وليس من وقت دراستهم.

اكتساب مهارة التنظيم في كل الأعمال، فالنظام لا يعني فقط غرفة مرتبة، وخزانة نظيفة، ولكنه يعني أيضًا: التفكير بنظام، والاستفادة من الوقت بنظام، وكل هذا يكتسبه الطفل بالممارسة، والصبر من قبل الوالدين، فالطفل منذ ولادته في حاجة إلى أن نعلمه النظام، فهناك نظام غذائي يُتبع لإطعامه، وهناك نظام لنومه، ونظام لأداء واجبه.

أسمى نماذج الوفاء الزوجي والأسري

د.ناصر سنة

كثيرًا ما نجد أزواجًا يجاملون ويحابون زوجتهم الثانية بذم وقدح الأولى، وخاصة إذا كانت تلكم الأولى في عداد الموتى، أو نجدهم لا يقدمون على الزواج مرة أخرى- بعد طلاق أو ترمل- منعًا لتكرار تلك التجربة التي يرونها غير موفقة.

وعلى الجانب الآخر لا تكاد تمر شهور معدودات على وفاة الزوج أو الطلاق منه حتى نشاهد ما حرص على اقتنائه من متعلقات شخصية، وأغراض منزلية، وكتب علمية وثقافية... إلخ، وهي تُحمل- لا لتهدى أو يُتبرع بها- بل لتباع بأبخس الأثمان، وإلى حيث لا رجعة، دونما إبقاء لشيء يحمل عبق الذكرى، وبرد الذكريات، أو حتى ذِكر محاسنه، وشكر عشرته، أو السكوت عن معايبه كلما ذُكر هذا الذي كان ملء السمع والبصر، ربان سفينة البيت، الذي حرص على إسعاد من فيه.. فأين هذا أو ذاك من أسمى آيات الوفاء الزوجي وأروع نماذج «شكر العشير» التي يضربها لنا نبينا محمد ﷺ وفاءً لأمنا خديجة، كما تصورها لنا أمنا أم سلمة رضي الله عنهما، فبعد وفاة أمنا خديجة رضي الله عنها، أول سيدة تزوجها نبينا محمد ﷺ، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي يومئذ بنت أربعين سنة (سن الأشد والحكمة)؟ عاشت معه إلى أن توفاها الله في الخامسة والستين من العمر، ومن بين فترات زواجه كانت تلك أطولها، وهي وإن كانت أسن منه ﷺ، إلا أنها كانت أقرب الزوجات إليه، فلم يتزوج غيرها طوال حياتها، وكانت أم ولده الذكور والإناث إلا إبراهيم.

لقد كان وفاء نبينا ﷺ لأمنا خديجة رضي الله عنها وفاءً بلا حدود، وأكرم به من وفاء! يحن إليها كثيرا، ويذكرها طويلا، ويسترجع فضائلها دومًا، ويكرم صويحباتها كرمًا، فكان إذا ذبح أو طبخ أهدى إليهن، إكرامًا لخديجة، وهي في قبرها! وإذا ذكرَها ذاكرُها في حضرة رسول الله ﷺ إذا به ﷺ يرق لها، ويذكرها، ويستغفر لها، ويذكر فضائلها حتى تأتيه عادية أو صارفة تقطع الحديث عن فضل خديجة! وأحيانا يحصل العكس، فإذا غارت أمنا عائشة ونالت من أمنا خديجة كما تنال المرأة من ضرتها فقالت: «عجوزٌ! قد أبدلك الله خيرا منها»، فيزيد رسول الله ﷺ في ذكرها ويكثر من الحديث عن فضلها أكثر وأكثر، بل ويعلنها على الملأ بعد وفاتها وفاء لها وردا لاعتبارها: «إني قد رزقت حبها» (صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٨).

كما أنه عقب يوم بدر، جاءت كل عشيرة تفتدي أسراها من المسلمين، وكان أبوالْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، زوج زينب بنت الرسول ﷺ، بين الأَسرى، وَكان الإسلام قد فرق بينه وبينها، وأرادت زينب الوفية بنت الوفية أن تنقذ زوجها من الأسر، علها تَرد له يدًا من أياديه البيضاء، يوم لم يسمع وشاية قريش، في بدايات نشر الدعوة والرسالة، بتطليقها وأبقى عليها، أو يشرح الله صدره للإسلام، وبينما الناسُ يتوافدون، كلٌ يدفع الفداء لقاء قبض أسيره، إذ بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لأمها خديجة، كانت أدخلتها بها على أبي العاص، وجيء بالمال والقلادة إلى رسول الله ﷺ لإطلاق الزوج الأسير، فلما وقعت عينا رسول الله ﷺ على قلادة خديجة، رَقّ لَهَا رِقّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ- يستسمح أصحابه: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّه. ففعلوا».

إن الجزاء من جنس العمل، فـ «للطاهرة خديجة» رضي الله عنها كان ذلك الفضل، وتلك المكانة عند رسول الله ﷺ، فهي التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، و«أكثر الناس بلاءً الأنبياء» فكانت حصنه الداخلي، وركنه الشديد، وبمنزلة وزيره الصادق الأمين، والرفيق الأنيس والنصير.. نافحت ودافعت وتحدت وآزرت وساندت وشاركت وتفانت وواست الرسول في دعوته بكل ما لديها، وفي ظروف قلما يوجد فيها نصير أو مؤازر أو معين، فلم يكن ﷺ يسمع شيئا من استهزاء وسباب وتكذيب إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، فسرعان ما ينسى الألم والحزن، إذ تمسح بيدها الحانية على قلبه، وتحملت، رضي الله عنها، تطليق بنتيها (رقية وأم كلثوم) مع بدايات نشر الدعوة،

باحث أكاديمي

وكانت رضي الله عنها امرأة حاذقة في إدخال السرور على زوجها والتخفيف عنه، «لقد آمنت حين كفر الناس، وصدقت حين كّذب الناس، وآوت حين طرد الناس، وواست بالنفس والمال حين نفر الناس».

لم يكن ﷺ ينساها طول حياته وبعد وفاتها، إذ كان يكثر ذكرها ويتصدق لها، وتروي أيضا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد» (صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٨٩).

لقد كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضوان الله عليها النموذج السامي للقيم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية تجاه زوجها ﷺ، فنعم المؤمنة الحامدة الشاكرة كانت، ونعم الصابرة المجاهدة المحتسبة كانت، ونعم الوفية الصادقة المخلصة كانت، فليت نساء المسلمين يقّفون أثرها، ويحذون حذوها، ويخطون خطاها، إن مثل تلكم الزوجة الصالحة التي تدفع زوجها إلى مدارج الإيمان، وتطبيق رسالة الله تعالى، فتخفف عنه أعباء الحياة، وتُشاركه آلامه وأحزانه... لا تقدَّر بثمن: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو، ج٢، ص١٠٩٠)، و«خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» (رواه أبوهريرة رضي الله عنه، مسند الطيالسي، ج١، ص٣٠٦)، وتلكم كانت من أهم صفات السيدة خديجة رضي الله عنها.

ما أروع هذه الزيجات، وتلكم الأسر! وكأن الله خلقها لتأتم بها الدنيا كلها، ويأتم بها كل زوجة وزوج وأسرة تريد إصلاحا وفلاحًا.. زيجات ربانية كما أرادها الله، وكما طبقها رسوله ﷺ، فليعش رجالنا ونساؤنا وبناتنا في ظلال تلك السير.. الأنموذج للوفاء السامي، ولخير النساء وأكملهن.. اللهم بلّغ رسولك منا السلام، ولأمنا خديجة، وأم سلمة، وجميع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن منا السلام، والحمد لله رب العالمين.

طفلك.. كيف يستذكر دروسه؟

أشرف سعد

في هذه الفترة من كل عام ينتاب كل أم القلق المصحوب بالتوتر على مستقبل طفلها، فهي تبحث دائمًا عن أفضل السبل التي توفر لطفلها جوًا هادئًا يساعده على الاستذكار أملا في تحقيق أفضل النتائج، لذلك ينصحنا أخصائيو التربية وعلم النفس باتباع الآتي:

أولًا:

يجب على الأم أن تهتم بالبيئة التي يستذكر فيها الطفل دروسه باعتبارها عاملًا مهما، فبعض الطلاب يجيد التركيز في جو يتميز بالعزلة والهدوء التام، وبعضهم بمقدوره المذاكرة في جو يشوبه صوت خفيف، لذلك عليها أن تعرف ما يناسب طفلها، وتوفر في الغرفة التهوية الجيدة والإنارة الممتازة التي تجنب عيني الطفل الإجهاد.

ثانيًا:

لا يعرف بعض الطلاب أنسب الأوقات للمذاكرة، لذلك على الأم أن تساعد طفلها في وضع خطة للمذاكرة تناسبه وتناسب قدراته، وتؤكد الأبحاث النفسية على أهمية اختيار الفترة الصباحية للاستذكار حيث يكون الذهن خلال فترة الصباح متيقظًا ونشطًا للغاية، على العكس من ذلك نجد أن الفترة المسائية تعكس قدر الطاقة المبذولة طوال النهار بالإضافة إلى تأثير تناول الوجبات الثقيلة على المعدة والذهن أثناء النهار، مما يقلل من الرغبة في المذاكرة خلال تلك الفترة.

ثالثًا: عدم إرهاق النفس

يوصي علماء التربية وعلم النفس بعدم المبالغة في زيادة عدد ساعات الاستذكار، لأن كثيرًا من الطلاب يظنون أن المبالغة في الاستذكار ليل نهار هي طريق النجاح، والأمر على النقيض، فعلى الطالب ألا يجهد نفسه جهدًا، ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل، وقد لوحظ أن المذاكرة المستمرة لا تناسب إلا عددًا قليلًا من الناس، لذلك يجب توفير استراحات قصيرة وسط أوقات المذاكرة، وينبغي أن يتمتع المرء بقدر من المرونة الكافية في تحديد أوقات المذاكرة.

وقد أشار مدير أبحاث الطفولة بالمركز القومي للتعليم والإحصاء بواشنطن «جيري وست» إلى أن الحالة التعليمية للأمهات تلعب دورًا كبيرًا في مدى تقدم الطفل في دراسته، فكلما زادت القدرات التعليمية للأم انعكس ذلك ايجابيا على الطفل أثناء دراسته.

لذلك على كل أم أن تبحث عن أفضل السبل التي تنمي بها قدرات طفلها التعليمية، وتوصيهم بالاجتهاد والجد في العمل حتى يحققوا أفضل النتائج.

نزعة التدين ومدى أصالتها في الفطرة البشرية

إلى أي حد تعد ظاهرة التدين ظاهرة عريقة في القدم؟ هل سبقت الحضارات المادية أم تأخرت عنها في الوجود أم اقترنت بها؟ إن علماء مقارنة الأديان قد أجمعوا على أن العقيدة الدينية قديمة قدم الإنسان، وأن تاريخ وجودها مساوق لتاريخ وجود الإنسان نفسه، بحيث يكون من الصعوبة التي تبلغ حد الاستحالة أن نفرق بين تاريخ الإنسان وتاريخ التدين أو الاعتقاد.

وإن الناظر في تاريخ الإنسان على ظهر هذا الكوكب لا يكاد يجد فترة من الفترات عاش فيها الإنسان عاطلًا من حلية الدين أو العقيدة أيا كان الشكل الذي ظهر عليه ذلك الدين، ومن ثم فلقد أصبح التراث الديني لدى الشعوب القديمة سمة وعلامة اعتمد عليها علماء الحضارات كدليل صادق لا يكذب في الحكم على هذه الشعوب من حيث الرقي أو الانحطاط والتخلف، ومن حيث التقارب والتماثل أو الاختلاف والتباعد بين شعب وآخر من هذه الشعوب في الثقافة والحضارة والفكر وسبل المعيشة والظروف الحياتية جملة.

ولم يكن ذلك إلا لأن هؤلاء العلماء قد وصلوا بعد بحث وتمحيص في تاريخ الإنسان إلى أن التدين وجد منذ وجد الإنسان نفسه.

عبدالعزيز وصفي

أهمية الذكرى واستيحاء الماضي

قد يطرأ على الإنسان في مراحل حياته تغيرات، قد لا يشعر بها ولكنها موجودة بالفعل، وهذه التغيرات قد تكون للأحسن أو للأسوأ، فتغير من ملامح حياته ومن تكويناته النفسية، ومن حسن فطانة العقل ورجاحته أن يكون دائم المراجعة لنفسه، ليقف على مداخلها ومخارجها، ويعرف دهاليزها ودروبها، وبذلك يكون قد أمسك بناصيتها فلا تفوت عليه شاردة ولا واردة.

قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الأعراف:٢٠١)، قال الطبري في تأويل هذه الآية: «يقول تعالى ذكره، إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ يقول: إذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب، أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان.

وأما قوله ﴿فإذا هم مبصرون﴾ فإنه يعني: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان، كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله عاصون للشيطان» (الطبري:٩/١٥٩،١٥٧).

والأيام التي تمر على النفس وهي في حالة جيدة يجب أن تراجع وتدرس بعناية حتى إذا أصابها الملل أوشعرت بشيء من الانتكاس عادت فقومت اعوجاجها، وهذا هو جمال الذكرى واستيحاء الماضي، فهو سراج منير في غياهب ودياجير الظلام.

محمد أحمد فتحي

أُمتي

أريد أن يكون سلامي مع عدوي سلام الشجعان، لا سلام الجبناء، سلام الأعزة لا سلام الأذلة، عدوي يحتل الأرض وينتهك العرض ويدنس المقدسات ويقتل الأطفال والشيوخ، عدوي يحرق ويسحق وينسف ويقصف وأنا واقف اشجب واستنكر وأدين وألهو وأعبث وأرقص وأقدم التنازلات الواحد تلو الآخر، عدوي يقف لي بالمرصاد، متفرجا، ضاحكا، حاقدا، ساخرا، مخططا ومنفذا البروتوكولات، أريد أن أحرر، أريد أن أطهر، أريد أن أعمر، أريد أن أرفع هامتي، أريد أن تكون أمتي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر النور والعدل والرحمة والحرية في العالمين، أريد أن تكون قائدة ورائدة، وصدق الله العظيم حيث قال ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

محمد علي الشريف

المسيحية في الإسلام

حقًا هو كتاب رائع، أقصد كتاب «المسيحية في الإسلام» لمؤلفه الاستاذ منير غبور، والذي دعاني إلى التعليق على هذا الكتاب ليس لأنه يؤسس للمواطنة ولكنني أردت في هذا التعليق أن أشيد بسعة علم المؤلف وخوضه في مجالات عديدة، وتحقيقًا لغاية المؤلف في دعم العلاقة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين يشير إلى نبوءة الرهبان المسيحيين بنبوة محمد ﷺ حيث بشره الراهب بحيرى بالنبوة بعد أن رأي على ظهره خاتم النبوة، وأشار إلى أن هذا الشاب سوف يكون له شأن عظيم ثم بعد ذلك بسنوات جلس الرسول ﷺ تحت شجرة حال عودته من رحلة التجارة بالشام فقال له الراهب بعد أن تطلع إلى الرسول ﷺ: هذه الشجرة لا يجلس تحتها إلا نبي، ويريد المؤلف بذلك أن يقول: إن كهنة المسيحية هم الذين بشروا بنبوة محمد ﷺ ولما بلغ النبي ﷺ من السن أربعين سنة نزل عليه الوحي يبشره جبريل بخطاب السماء إليه داعيًا إلى الإسلام في قومه ولما كان قومه منكرين لهذه الدعوة هاجر بعضهم إلى الحبشة حيث تدين بالمسيحية وأحسن النجاشي إلى المسلمين القادمين الفارين لياذا بالأمن لدى أصحاب الدين المسيحي في الحبشة.

كما أن الرسول ﷺ تسرى بقبطية أنجبت له ولدًا وهو إبراهيم الذي توفي بعد ذلك، كما أن النبي محمدا ﷺ يتحدّر من سلالة إسماعيل الذي ولد لأم مصرية قبطية وهو ما يؤكد التوافق التام بين الأمة المصرية وسائر المسلمين والمسيحيين لوجود رابطة أصيلة من الدماء المشتركة والأصول الثابتة بين عنصري الأمة المصرية.

كما أن المسيح -عليه السلام- في القرآن الكريم له مكانه سامية حرص النص القرآني على تناولها في أكثر من موضع وفي عديد من المناسبات.

محمد السيد عامر

التوازن على كوكب الأرض في رسالة ماجستير

حازت الطالبة فاطمة بايزيد على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بتقدير جيد جدًا على رسالتها المعنونة «التوازن على كوكب الأرض» (الهواء، المادة، الذرة، الماء، ظاهرة تعاقب الليل النهار) بإشراف د.إبراهيم أدهم.

تتضمن الرسالة اثباتات علمية، جاءت تؤكد للجميع أن كل شيء في الطبيعة جاء في مكانه الصحيح تمامًا، وأن الله هو الذي أعطى كل شيء في عالم الوجود وجوده الكوني اللائق به، من حيث كمه وكيفه وزمانه ومكانه، أعطاه ذلك كله حسب ما يليق به، بمقتضى علمه الأزلي، من أجل تحقيق التوازن على الأرض.

كلية الإمام الأوزاعي

القرآن الكريم معجزة المعجزات

إن القرآن الكريم هو آخر كتاب سماوي نزل على منقذ الإنسانية وباعثها من سباتها العميق النبي محمد ﷺ، انه دستور المسلمين، فيه رحمة وشفاء وهداية، وقد حفظه الباري جلت قدرته، من كل تحريف وتزوير على مر الدهور وكر العصور، يقول الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

وقد بهر القرآن فصحاء العرب وخطباءهم وأدباءهم وشعراءهم وراحوا يغترفون من ينابيعه الأصيلة الصادقة التي لا تنضب، ولم يستطيعوا أن يأتوا ولو بسورة واحدة يقول الله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤)، ويقول الله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعًا﴾(الرعد:٣١)، ويقول أيضًا:﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

ويقول الله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ (لقمان: ٢٧).

إن إعجاز القرآن لم يخص الإنسان فحسب، بل تعدى ذلك إلى عالم الجن، فقد كانوا يستمعون إلى الذكر ويتعجبون لما فيه من الروعة والإعجاز والهداية والرشد، قال الله تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ (الجن: ١-٢).

إن قمة الإعجاز والروعة الذي يتضمنه القرآن الكريم هو شيء طبيعي ليس فيه تكلف ولا مبالغة لأنه كلام الله وهو يقتضي أن يكون في هذا المستوى الجليل المقدس وهذا الإعجاز المنقطع النظير، أما البشر فرغم ما يعرفونه من علوم وآداب وما ألفوه من كتب ومجلدات وما كتبوه من مخطوطات يبقى علمهم محدودًا، ومعرفتهم قليلة، إن فضل كتاب الله على سائر الكتب كفضل الشمس على سائر النجوم، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

سومع عبدالسلام

إعداد: خالد خلاوي

كيف تضع رسالتك في الحياة؟

من أنا؟ وماذا أريد؟ وما رسالتي في الحياة؟ وأسئلة أخرى كثيرة تحتاج للإجابة عنها إلى وقفة متأنية مع النفس لتحدد موقفك الحالي في الحياة ورسالتك فيها، وما ينبغي أن تكون عليه، لتكون مؤثرًا فيها، ولا تكون زائدًا عليها على حد قول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي يرحمه الله «إذا لم تزد شيئًا في الحياة فأنت زائد على الحياة».

إن حياتنا من صنع أفكارنا.. وأفكارك تساعدك على صياغة رسالتك في الحياة ووضع الأهداف التي تساعدك على العمل لهذه الرسالة، وما تعرفه عن نفسك وما رزقها الله من مواهب وإمكانيات وما يمكن أن تقدمه للمجتمع ولوطنك من أعمال هي التي تصنع رسالتك في الحياة وتوجهها وتبث في نفسك الهمة العالية لتحقيقها، فأصحاب الأعمال العظيمة لا ينامون ولا يهدأ لهم بال حتى تتحقق أهدافهم ويرون منجزاتهم، فالرسول ﷺ عرف رسالته وحددها وكان يعرفها بقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (صححه الألباني

وقيل للقائد أبي مسلم الخراساني: مالك لا تنام ؟ قال: همة عارمة، وعزيمة ماضية، ونفس لا تقبل الضيم.

وصاحب الرسالة لا يضيع وقته هدرا، فكل يوم يمر عليه محسوب له لأنه يقترب من هدفه، بينما الآخر الذي ليس له هدف ولا غاية كل يوم يمر عليه محسوب عليه.

والآن: كيف تحدد رسالتك في الحياة؟ هناك طرق كثيرة منها طريقة تحديد الأهداف وصولا إلى الغاية، وذلك بأن

تجلس إلى نفسك وتحضر أوراقا وقلما وتكتب أهدافك في الحياة وتقسمها إلى أهداف إيمانية وأهداف اجتماعية وأهداف مالية وأهداف عملية وأهداف تعليمية، وتسجل ما تستطيع تحقيقه لنفع نفسك وأسرتك ومجتمعك سواء من خلال تخصصك المهني أو العلمي أو من خلال موهبة رزقك الله إياها، ولا تنس أن تضع خطة زمنية لتحقيق هذه الأهداف، والتي ستؤدي حتما إلى تحقيق الغاية العامة أو الرسالة والرؤية الواضحة لما أنت عليه الآن، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل بمشيئة الله تعالى.

وهناك طريقة أخرى ينصح بها خبراء البرمجة اللغوية العصبية وهي طريقة الصعود، وقد شرحها د. صلاح الراشد في كتابه «كيف تخطط لحياتك» وتبدأ هذه الطريقة بأن تختار هدفا بسيطا تود تحقيقه خلال هذا الشهر أو السنة أو الأسبوع، وسوف نسمي هذا الهدف البسيط (حصيلة)، والآن، لا تجب بعقلك، فقط استشعر، تخيل أنك حصلت على هذه الحصيلة فعلاً ولتكن سيارة، فما الذي يحققه لك من أهداف أكثر أهمية من هذه الحصيلة؟

(اكتب ذلك) مثل أوفر الوقت الكثير (هدف ١)، وتخيل أنك فعلا بدأت توفر الوقت الكثير بالدرجة التي تريدها، فما الذي يحققه لك ذلك حتى أكثر أهمية؟ اكتب ذلك وليكن: أنتج أكثر، فما الذي يحققه لك حتى أكثر أهمية؟ ولتكن الإجابة: أشعر بالرضى.. وصلنا إلى (غاية).

إذن فالتمرين يبدأ بحصيلة ثم يعلو ليكون هدفا ثم يكبر ليكون غايات ثم يكبر ليصل إلى القمة وهي الحالة الجوهرية.كيف تعرف أنك وصلت إلى الحالة الجوهرية؟ إذا وصلت إلى مرحلة لا ترى أو لا تشعر بأن هناك مرحلة بعدها، وعادة تكون هذه مرحلة ارتياح عام، وهدوء عجيب وانسجامية قصوى بين الروح والعقل والجسد.

فالسعادة.. النجاح.. هذه غايات وليست حالة جوهرية، ولكن الحالة الجوهرية مثل: حب الرسول ﷺ، الحب المطلق، رضا الله، أحس أني جزء من الكون.

ويجب أن تقوم بالتمرين بشكل وجداني وليس ذهنيا.

الآن قم باختيار هدف لكل جانب من جوانب الحياة المختلفة، الجانب الروحي،

والجسدي والعلمي والاجتماعي والمالي... الخ، وقم بعمل التمرين لكل واحد منها.

وقد يكون للحصيلة الواحدة أكثر من هدف وأكثر من غاية.

ضع الآن كل جانب من هذه الجوانب في عمود وابدأ من أسفل واصعد عند كل مرحلة تصل إليها حتى تصل للحالة الجوهرية، ثم انظر في منطقة الأهداف والغايات، فقط ضع دائرة أو علامة حول المتكرر منها، أي كلمة ذكرت أكثر من مرة فهي متكررة، دون هذه المتكررات ثم اكتب من هذه الأهداف والغايات المتكررة رسالتك.

الآن أنت لديك رسالة، لكن انظر إليها وأضف بعض التعديلات عليها مثل: ضمن نفسك في الرسالة، لا تنس الآخرين، تفحص الغايات الأخرى مثل مساعدة الآخرين وتنوير حياة الناس وابدأ بأصحاب الحقوق عليك كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن لنفسك عليك حقا، ولزوجك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» (رواه البخاري)، والمنطلق لكل ذلك الغاية الكبرى وهي إرضاء الله عز وجل.

إذن محتوى الرسالة هو:

١- ربك.

٢-نفسك.

٣- الآخرون.

٤- غايات أخرى.

وابدأ على الفور تنفيذ رسالتك، واسع لتحقيق حلمك، ولا تنس أن تجدد النية مع كل عمل «فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى».

صور من حياة المتميزين

الإمام البخاري ورسالته في الحياة

حدد الإمام البخاري رسالته في الحياة بناء على ما وهبه الله من ذاكرة حديدية وظفها في عمل جليل وهو جمع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ في كتاب واحد، وظل يعمل لتحقيق رسالته تلك ستة عشر عاما بجد ودأب حتى تحقق الحلم بتمام كتاب «الجامع الصحيح» المعروف بـ«صحيح البخاري» والذي عده العلماء أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

يقول الإمام البخاري في قصة تأليفه «الجامع الصحيح»: «كنت عند إسحق بن راهويه فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب».

وقع الأمر في قلبه وأصبحت له عزيمة قوية في نفسه وهمة عالية جعلته يعمل ستة عشر عاما ينتقل بين البلدان في جمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب، وصبر على البحث، وكان لا يدون الحديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين، ويروي أحد تلامذته أنه بات عنده ذات ليلة فأحصى عليه أنه يقوم بالليل يوقد السراج يستذكر أشياء يعلق عليها في تدوين الأحاديث عدة مرات وبلغت في ليلة ثماني عشرة مرة، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبوعبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، وهكذا صاحب الرسالة يعيش بها ولها ويجافي النوم من أجلها حتى يتحقق حلمه في الدنيا وينال الأجر بمشيئة الله تعالى في الآخرة.

كلمات في التميز

- ليكن هدفك بلوغ القمر، حتى إن فشلت في الوصول إليه ستحط بين النجوم.
- الأعمال العظيمة تتحقق ليس بالقوة إنما بالإصرار.
- الأبطال لا يصنعون بفعل النوادي، الأبطال يصنعون نتيجة شيء عميق في داخلهم، الرغبة، الحلم، والرؤية.
- ركّز اهتمامك على عمل واحد، وانغمس فيه واحترق به واعشقه لتكن مبدعا.
- يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال.. ولكني لا أؤمن بالظروف، فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها، فإذا لم يجدوها وضعوها بأنفسهم.
- مَنْ كانت عنده همة متوقدة، ونفس متوثبة، ونشاط موار، وصبر دائم، فهو الفريد.

إعداد: هالة محمد

انفجار كوكب قد يبيد الأرض

يقول علماء أميركيون ان الحياة على وجه الأرض قد تباد قريبًا بانفجار نجم يبعد عن كوكبنا بأكثر من ٣ آلاف سنة ضوئية.

وذكر علماء فلك من جامعة فيلانوفا بفلادلفيا، أن النجم «تي بكسديس» مهيأ للتدمير الذاتي في انفجار بالغ الضخامة يدعى «سوبرنوفا» ستبلغ قوته ٢٠ مليار مليار مليار ميجاطن من مادة «تي ان تي» شديدة الانفجار، بحسب تقرير لشبكة «سي إن إن».

وعلى الرغم من المسافة التي تفصل الأرض عن النجم، وتقدر بنحو ٣٢٦٠ سنة ضوئية، وهي مدة قصيرة نسبيًا مقارنة بالمصطلحات الكونية، فإن الطاقة العنيفة التي سيولدها الانفجار النووي الحراري thermonuclear قد تزيل تمامًا طبقة الأوزون، على ما أوردت «التلجراف» البريطانية عن العلماء.

وأوضح العلماء أنه وبحسب المعلومات الواردة من مسبار الأشعة فوق البنفسجية الدولي «فإن تي بكسديس» مكون في الأصل من نجمين يدعى أحدهما «القزم الأبيض» وهو يمتص الغازات وينمو باطراد ثم ينفجر تلقائياً عند بلوغ كتلته القصوى المحتملة لنجم وفي هذه الحالة يحدث انفجار عظيم. ويقول العلماء إن الانفجار المقبل تأخر عن موعده ما يقرب من ٢٠ عامًا وربما سيصبح النجم «سوبر نوفا» قريبًا، إلا أن قريبًا تعني أنه مازال هناك الكثير من الوقت.

طاقة منشطة جديدة

حصل الباحث المصري الأصل أحمد سلام بمدينة «مونتسر» الالمانية على براءة اختراع دولية لتصنيع مواد يمكن ان تمنح الانسان المزيد من القوة والطاقة، وتقوم فكرة د.سلام على اثنين من الأحماض الأمينية وهما «حامض أرجنين» و«حامض اسبارجين» اللذين يمثلان جزءًا مهمًا لعدد لا حصر له من المواد المكملة للأغذية التي يفضلها الكثير من الرياضيين.

التلوث يغير جنس الأسماك

ذكرت مجموعة من علماء البيئة في اميركا في تقرير لها حول نوعية الماء في نهر «بوتوماك» بواشنطن التي تتسبب في تغيير جنس السمك فيه وقد تؤثر على عملية «الأيض» لدى البشر.

وأضاف التقرير أن المياه باتت تحتوي على مواد كيميائية قادرة على إحداث تغييرات في نظام الغدد الصماء لدى الفقاريات كالسمك والبشر، واظهرت الدراسات على الجهاز التناسلي لدى الاسماك في النهر ان ٨٠ في المائة يملك الجهازين التناسليين الذكري والانثوي في آن.

وأشارت المجموعة الى ان كل مياه الشرب تقريبا التي تصل الى سكان العاصمة الفيدرالية مصدرها هذا النهر، حيث تتصب مواد ملوثة تحدث تغييرات في الجسم، وقد وجدت آثار من هذه المواد في بول الاطفال الذين يعيشون في المنطقة، وتوجد هذه المواد الملوثة في مبيدات وادوية بيطرية ومستحضرات تجميل.

الفضاء الخارجي مصدر معادن الأرض!

توصل علماء جيولوجيون كنديون وأميركيون الى أن أصل بعض الثروات المعدنية الكامنة في باطن الأرض يعود الى مصادر من خارج كوكب الأرض.

جاء ذلك في دراسة أجراها فريق بحثي مشترك من جامعة «تورنتو» الكندية وجامعة «ميريلاند» الأميركية.

وقال أستاذ الجيولوجيا بجامعة تورنتو، جيمس برينان، أحد المشاركين في الدراسة: إن درجات الحرارة الهائلة التي تشكل بها قلب الأرض منذ أكثر من أربعة مليارات عام انتزعت أي معادن نفيسة من مكانها في القشرة الصخرية للأرض، ورسبتها في قلب الكرة الأرضية.

وأضاف أن السؤال المترتب على ذلك هو لماذا توجد هناك تركيزات صالحة للاكتشاف والتعدين لمعادن نفيسة كالبلاتين والروديوم في الجزء الصخري من الأرض حاليا؟

وهذا السؤال هو ما حاولت الدراسة الاجابة عنه، وأشارت نتائجها الى ان هذه التركيزات المعدنية لا يمكن ان تكون قد استقرت في مكانها هناك في القشرة الصخرية الأرضية بسبب اي عملية داخلية من العمليات الجيولوجية المعروفة، وبدلا من ذلك، لابد أن تكون قد جاءت على الأرجح بعد ذلك من خلال أمطار حطام فضائي من خارج الأرض مثل المذنبات والنيازك.

الضغط النفسي يغير الجينات

نشرت مجلة «علم الاعصاب في الطبيعة» دراسة على الفئران، وتبين ان صغار الفئران التي تعرضت الى ضغط نفسي أنتجت هرمونًا غير جيناتها وأثر في سلوكها حين كبرت، وقال العالم الالماني «كريستوفر مور» من معهد «ماكس بلانك» لعلم النفس في ميونخ إن دراسته دخلت في التفاصيل الجزئية وأظهرت كيف تبرمج الضغوط النفسية التي تعانيها الفئران في صغرها سلوكها على المدى البعيد.

نيزك يتجه للاصطدام بالأرض

قال مدير وكالة الفضاء الدولية الروسية «أناتولي برمينوف» إن خطط المجلس العلمي التقني في روسيا دعت لإجراء اجتماع مغلق لمناقشة تجنب الارض الاصطدام الكارثي المحتمل بنيزك عملاق بعد ٢٦ سنة، واشار الى ان هذا الكوكب الذي يصل قطره الى ٣٥٠ مترا اذا اصطدم بالأرض اثناء مروره بالقرب منها عام ٢٠٣٦م سيخلق صحراء جديدة بحجم فرنسا إذ من المحتمل ان يقترب الكوكب مسافة ٣٠ ألف متر من الأرض عام ٢٠٢٩م أي اقرب من المحطات الفضائية الارضية على أن يصطدم بالأرض بعد سبع سنوات.

اللعاب يكشف أمراض المستقبل!

يأمل العلماء في أن يؤدي فحص سريع للعاب إلى تشخيص الأمراض في المستقبل بسهولة حسب وكالة يونايتد برس انترناشيونال (يو بي اي).

ويحتوي اللعاب على عدة بروتينات تلعب دورًا مهمًا في عملية الهضم ومكافحة الأمراض، بالاضافة الى القيام بوظائف مهمة للجسم، وقد يؤدي فحصها لاكتشاف الكثير من الأمراض عند الشيخوخة.

ويحاول الباحثون التوصل الى طريقة تساعدهم على استخدام هذه البروتينات لاجراء اختبارات سريعة بهدف معرفة الحالة الصحية للمرضى، ولذا فهم بحاجة الى معلومات مفصلة حول العوامل التي تؤثر في هذه البروتينات عند التقدم في العمر، لذلك حللوا عينة من لعاب نساء يتمتعن بصحة جيدة بعد تقسيمهن الى مجموعتين تتراوح أعمار افراد الأولى ما بين ٢٠ و٣٠ سنة، والثانية ما بين ٥٥ و٦٥ سنة، وتوصلوا من خلال الاختبارات الى وجود ٢٩٣ بروتينًا مختلفا عند هاتين المجموعتين وأن معظم البروتينات لعبت دورًا مهمًا في تقوية جهاز المناعة ضد الالتهابات، وأنه كان لدى النساء العجائز كمية بروتينات أكثر من تلك التي لنظيراتهن الأصغر عمرًا بحوالي مرتين.

من هنا وهناك

■ جزم فريق علمي ياباني بأن الشخص القادر على التمدد ولمس أصابع قدميه يتمتع جسديا بصحة أوفر من غير القادرين على ذلك خاصة بالنسبة لشرايين القلب التي ثبت ان ليونتها وقدرتها على التمدد مرتبطة بمرونة الجسم ككل.

■ اقترح طاقم علمي بريطاني ان يعالج خطر الاحتباس الحراري من خلال زرع مساحات واسعة جدًا بالنباتات التي تعكس اوراقها اشعة الشمس التي تغمر كرتنا الأرضية.

■ أثبتت واحدة من اهم الدراسات العلمية ان الامطار التي تسقط فوق اوروبا تحتوي على كميات كبيرة من العناصر السامة والمذابة في الماء بحيث يتعذر على الأهالي استخدامها لأغراض الشرب.

■ نصح اطباء بضرورة غسل الملابس الجديدة قبل استخدامها خاصة اذا كانت الملابس مخصصة للأطفال وذلك بسبب الكم الكبير من البكتيريا او الملوثات الكيميائية التي قد تكون ملتصقة بها.

■ أكدت دراسة حديثة ان اعادة تشجير الغابات في العالم من شأنه اعفاء كوكب الارض من المعاناة تحت وطأة ٧٠ جيجا طن من انبعاثات ثاني اكسيد الكربون حتى عام ٢٠٣٠م.

■ في دراسة جديدة أعدها علماء من قسم علم النفس في جامعة «سينسيناتي» البريطانية شملت ١٢ شخصًا بين الـ ٧٥ و٨٠ من العمر يعانون من بداية فقدان الذاكرة اظهرت ان من شرب نوعية جيدة من عصير العنب الأحمر طوال ١٢ اسبوعًا تحسن عند القيام بسلسلة من الاختبارات العقلية، ورجح العلماء ان المواد المضادة للتأكسد الموجودة في قشرة وعصير العنب هي التي تفيد الذاكرة.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فرض غرامة على المتأخّر في سداد الدَّيْن

السؤال: إذا تم بيع بضاعة ما (سيارة، قطع غيار، إطارات) إلى أحد عملائنا وقد التزم هذا العميل بالسداد في تاريخ معين، ترتب عليه التزامنا تجاه الآخرين، فإذا تأخر هذا العميل عن السداد في الموعد المتفق عليه.. فهل يجوز لنا فرض غرامة تأخير بنسبة مئوية عن مدة التأخير؛ علمًا بأن غرضنا أن يلتزم العملاء بالمواعيد التي يتفقون معنا عليها في معاملاتهم مستقبلا.

الإجابة: لا يجوز فرض غرامة تأخير على العميل الذي لم يلتزم السداد في التاريخ المعين في العقد ولو بموافقته، لأن هذا من قبيل الربا الذي حرّمه القرآن الكريم.

وهناك بدائل مشروعة تشجع على التزام العملاء بسداد ما عليهم من ديون في مواعيدها، منها: إصدار الدولة قانونًا بفرض غرامة (عقوبة مالية) على المماطلين مع قدرتهم على السداد، وتَؤُول هذه الغرامات إلى الدولة للصرف في وجوه الخير والمرافق العامة، ولا يأخذها الدائن، أما المَدينون المُعسرون فلا يُفرَض عليهم أي غرامةَ؛ لقوله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ (البقرة: ٢٨).

ومنها: أن يحُط الدائن جزءًا من الدين عن المدينين الذين يسدّدون ديونهم قبل مواعيدها أو في مواعيدها دون تأخير، وذلك من غير أن ينصّ على ذلك عقْدُ المداينة أو في أي التزام لاحق؛ فإن نص على الحط في العقد أو وجد التزام لاحق لم يجز الحط؛ مثل أن يقول الدائن أو يعلن أنّ كلّ مَن سدّد في الموعد أو قبله يُحَط جزء من الدّين قلّ أو كثر؛ فإن قال ذلك للعملاء أو أعلنه لهم كان صورة من صور الربا المحرم. والله أعلم.

وقف أموال الزكاة

السؤال: لجنة خيرية ستقدم على مشروع تجاري، وهو إنشاء مدرسة خاصة أهلية؛ على أن يكون إيراد هذا المشروع وقفا لأعمال الخير وأعمال اللجنة، من توزيع المساعدات على المستحقين والفقراء داخل الكويت، فما حكم ذلك؟

الإجابة: لا يجوز وقف أموال أو أعيان الزكاة بل يجب صرفها وصرف ريعها، إن كان لها ريع، في المصارف الشرعية لها، ولكن إذا فاضت أموال الزكاة عن الحاجة الآنية فيجوز أن ينشأ بأموال الزكاة مشروع استثماري سواء أكان مدرسة أم غيرها، على أن تبقى أعيان المشروع من قبيل الأموال الزكوية القابلة للصرف عند تصفية المشروع، ولا يستفيد من ريع المشروع الزكوي إلا مستحقو الزكاة، وكذلك الأصل إذا جرت تصفيته، ولا مانع من قبول أولاد الأغنياء في المدرسة المنشأة من أموال الزكاة، وذلك بأجر لا يقل عن أجر المثل في المدارس الخاصة المماثلة لمستوى هذه المدرسة، ولا يجوز أن يعتبر المشروع الاستثماري المنشأ من أموال الزكاة وقفًا؛ لأن الوقف حبس للعين إلى الأبد والزكاة لا تحبس بل سبيلها الصرف عند قيام حاجة الفقراء والمساكين، ولا يجوز حرمانهم منها لأجل إنشاء المشاريع الاستثمارية. هذا، ولا مانع من إنشاء مدرسة أو غيرها من المشاريع الاستثمارية لتكون وقفا إذا كان تقديم الأموال من غير الزكاة لهذا المشروع.

الإقراض من مال الصدقة

السؤال: هل يجوز لهيئة خيرية تقديم قرض حسن للجنة خيرية لإقامة وقف خيري يعود ريعه لأعمال البر التي تشرف عليها اللجنة؛ شريطة أن يسدد المبلغ بصورة كاملة على أقساط إلى الجهة المقرضة؟

الإجابة: لا يجوز للهيئة أن تقرض جهة أخرى من مال الزكاة، ويجوز لها أن تقرض من أموال الصدقات والخيرات التي لم يعين أصحابها جهة صرفها، فإن كانت الصدقات معينة وجب صرفها في الجهة المعينة لأن الهيئة تعتبر وكيلة عن المتصدق. وترى اللجنة: أنّ اشتراط الهيئة رد المبلغ مقسطا اشتراط جائز.

حدود حرية الرأي في الإسلام

ما حكم الشريعة في الآتي:
١- الإضراب بنوعيه عن العمل وعن الطعام بشكل سلمي؟
٢- المظاهرات والمسيرات السلمية؟
٣- الاعتصام السلمي؟

الإجابة: لكل مسلم أن يعلن عن رأيه في أي أمر من أمور الحياة بكل الوسائل السلمية المشروعة المتاحة له، بشرط ألا يكون هذا الرأي مخالفًا لأحكام الشريعة الإسلامية، وألا ينتج عنه ضرر يلحق بصاحب الرأي أو غيره، هو أكبر من المنفعة التي يتوخاها منه، أما دعوة الآخرين إلى ذلك فلا يجوز إلا في حدود ما يسمح به ولي الأمر وتجيزه الأنظمة المرعية. والله أعلم.

اشتراط المرأة تطليق نفسها في عقد الزواج

السؤال: تقدم لخطبة ابنتي شاب أصغر منها، لذلك أرجو من فضيلتكم إفادتي، هل يصح أن يتضمن عقد القران الشروط الآتية مع العلم بأن الشاب المذكور يقبل بها:

أولًا: هل يصح أن تشترط أن يكون لها الحق في تطليق نفسها متى تشاء؟ وهل في حالة حدوث الطلاق يكون لها الحق في مؤخر الصداق؟

ثانيًا: ألا يتزوج عليها وألا يخرجها من بيتها وألا يفرق بينها وبين أولادها أو بينها وبين أبويها؟

الإجابة

١- أجاز كثير من الفقهاء للزوجة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون طلاقها بيدها (وهو ما اصطلح على تسميته بالعصمة)، ولها أن تشترط طلقة واحدة رجعية، أو بائنة بينونة صغرى، أو كبرى، فإذا قبل الزوج بذلك في العقد، كان لها حق طلاق نفسها نيابة عنه بحسب الشروط، وليس للزوج بعد ذلك أن يعزلها عن ذلك ما دام الزواج بينهما قائمًا، وللزوج في هذه الحال حق طلاقها أيضا ولا يُحرم منه بهذا الشرط، فإذا طلقت الزوجة نفسها بعد ذلك بحسب الشرط، فإن لها من الحقوق مثل ما إذا طلقها زوجها تماما؛ لأن طلاقها كان بالنيابة عنه، فكان كطلاقه هو.

٢- اشتراط الزوجة في الزواج ألا يتزوج عليها زوجها، أو ألا يخرجها من بيتها، أو ألا يفرق بينها وبين أولادها أو أبويها، فهذه الشروط كلها غير ملزمة للزوج، والعقد صحيح.

من القواعد الفقهية

١- الحكمُ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّره.
٢- ما كان ثوابه أكثر كان طلبه آكد.
٣- طلب الأفضل أكمل من طلب المفضول.
٤- ما كان عقابه أعظم كان النهي عنه أوكد.
٥- المستحبُّ مقدِّمةٌ للواجبِ.
٦- ترك سُنة من السنن المؤكّدة مكروه.
٧- المكروه مقدِّمةٌ للحرامِ.

من كتاب: «القواعد والضوابط الأصولية والفقهية» للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات المجمع الفقهي الإسلامي

حكم تزوج الكافر للمسلمة وتزوج المسلم للكافرة

أولًا: إن تزوج الكافر للمسلمة حرام لا يجوز، باتفاق أهل العلم، ولاشك في ذلك لما تقتضيه نصوص الشريعة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة: ٢٢١)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ (الممتحنة: ١٠). والتكرير في قوله تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ بالتأكيد والمبالغة بالحرمة، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك، وقوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾، أمر أن يُعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجته إذا أسلمت، فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، فإذا كانت المرأة المشركة تحت الزوج الكافر تحرم عليه بإسلامها ولا تحل له بعد ذلك.. فكيف يقال بإباحة ابتداء عقد نكاح الكافر على المسلمة؟ بل أباح الله نكاح المرأة المشركة بعدما تسلم- وهي تحت رجل كافر- لعدم إباحتها له بإسلامها، فحينئذ يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها، كما نص عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

ثانيًا: وكذلك المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة:٢٢١)، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). وقد طلق عمر رضي الله عنه، امرأتين له كانتا مشركتين لمّا نزلت هذه الآية. وحكى ابن قدامة الحنبلي: أنه لا خلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم. أما النساء المحصنات من أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن ينكحهن، لم يَختلف العلماء في ذلك، والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات. لقول عمر رضي الله عنه، للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: طلِّقوهن. فطلَّقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها، ثم طلقها بعد، لأن المسلم متى تزوج كتابية، ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها.

منطق عجيب

ذهب بَصَرُ "عمرو بن هداب" فدخل عليه "إبراهيم بن مجاشع" فقام بين يديه فقال: "يا أبا أُسيد، لا تجزع على ذهاب عينيك، وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما يوم القيامة، تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك، ورجليك، ودق ظهرك، وأدمى ظِلْفَك !!"

الابتسامة

جِيء بأعرابي إلى أحد الولاة لمحاكمته على جريمة اتُّهِمَ بارتكابها، فلما دخل على الوالي في مجلسه، أخرج كتابًا ضمّنه قصته، وقدّمه له وهو يقول: هاؤم اقرأوا كتابيه، فقال له الوالي: إنما يُقال هذا يوم القيامة، فقال: هذا والله شر من يوم القيامة.. ففي يوم القيامة يُؤتى بحسناتي وسيئاتي، أما أنتم فقد جِئتم بسيئاتي، وتركتم حسناتي!.

قالت العربُ في بعض أمثالها

«أندمُ من الكُسَعيّ» وهو رجل من «كُسَع» كان اتخذ قوسًا وخَمَسة أسهم، وكمَن في طريق قطيع؛ فرمى حمارًا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فرأى نارًا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيًا، وثالثًا وهو يظن خطأه، فكسر قوسه، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

نـدمـت نـدامـة لـو أن نفسي
تطاوعني إذا لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني
لعمرُ أبيك حين كسرت قوسي

حِلمُ أصحاب النبي ﷺ

«شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه... فقال له: «يا هذا لا تستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعًا.. فإنّا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه». (الحلم لابن أبي الدنيا)

العلم والمال

قال علي في وصيته لكميل بن زياد: "العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق، والمال تُنْقِصه النفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دينٌ يُدان بها، العلم يُكْسِب العالِمَ الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصَنِيعَةُ المالِ تزول بزوالها" (القول العلي للسَفَّاريني ص٦٦).

أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟

ألحّ سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله، فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه لغيري، فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحق!

فذهب السائل وهو يقول: أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟

فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافًا.

لذّة أعظم من لذّة

لذّة العاقل بتمييزه، ولذّة العالم بعلمه، ولذّة الحكيم بحكمته، ولذّة المجتهد لله عز وجل باجتهاده، أعظم من لذّة الآكل بأكله، والشارب بشربه، والواطئ بوطئه، والكاسبَ بكسبه، واللاعب بلَعبه، والآمر بأمره، وبرهان ذلك: أن الحكيم العاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللّذات التي سمينا، كما يجدها المنهمك فيها، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها، وقد تركوها وأعرضوا عنها، وآثروا طلب الفضائل عليها، وإنما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر» (مداواة النفوس لابن حزم الأندلسي).

العاقل لا يرى لنفسه ثمنًا إلا الجنّة

لا تبذل نفسك إلا فيما هو أغلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى الحق، وفي حماية الحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى، وفي نصر مظلوم، وباذل نفسه في عرض دنيا، كبائع الياقوت بالحصى، فلا مروءة لمن لا دين له» (ابن حزم).

أصل كلمة «خُرافة»

يُروى أن أعرابيًا من بني عذرة اسمه «خُرافة» غاب أيامًا عن قبيلته، ثم عاد يحكي لقومه أن الجنّ والعفاريتَ قد اختطفته، وكذبه قومه، ورفضوا أن يصدقوه، وسخروا منه، وقالوا: هل سمعتم «حديث خرافة» وكانت هذه القصة هي السبب في إطلاق كلمة «خرافة» على أي شيء لا يمكن للعقل تصديقه، فعندما يأتي شخص يكذب علينا ويقول كلامًا لا يصدقه العقل نقول: «خُرافة».

أم الندامة

إيّاك والعَجَلة فإنّ العرب كانت تكنيها «أم الندامة»، لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويحب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة. (موسوعة أقوال الحكماء).

أفضل النساء وأفضل الرجال

اجتمعت مجموعة من النساء ووقع بينهن خلاف في صفات أفضل النساء وأفضل الرجال، فاحتكمْنَ إلى عجوز معهنّ في الحيّ، فقالت لهنّ اسمَعْنَ قَوْلي: «خير النساء المُبْقِيَةُ على بَعْلها، الصابرةُ على الضّراء مخافة أن تُرْجِع إلى أهلها؛ فهي تُؤثر حَظّ زوجها على حَظّ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة، وخير الرجال الجواد البطل، القليل الفشل، إذا سأله الرجلَ ألفاه قليل العلل، كثير النَفَل» (قصص العرب).

الحُطيئة وعمر

لما حبس عمرُ الحطيئةَ وأراد إطلاقه، اشترط عليه أن لا يهجو أحدًا من المسلمين، فقال الحطيئة: من أين أعيش؟ ففكر عمر واشترى أعراض المسلمين بـ ٣٠٠٠ درهم، فقال الحطيئة:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف
شتمي وأصبح آمنًا لا يجزع

صُن النفس عمّا يشينها

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالمًا والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملًا
نبا بك دهرٌ أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئٍ متلون
إذا الريح مالت، مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدُّهم
ولكنهم في النائبات قليل

أحمق الدواب

زعموا أن الضبع أحمق الدواب، وأنها تشد يديها ورجليها، يقال: إنها ليست هاهنا فتسكت وترضى.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لا أكون مثال الضبع تسمع اللدم (الضرب) فتخرج حتى تُصاد».

وتقول العرب: «إنه لأحمق من حمامة»، وذلك أنها تبيض على الأعواد فربما وقع البيض فانكسر (عقلاء المجانين لأبي القاسم ابن حبيب).

وصية خليفة

أوصى أبوبكر عمرَ رضي الله عنهما عند موته، فقال: «إنّ الحقّ ثقيلٌ، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطلَ خفيفٌ، وهو مع خفته وبيء، وإنّ لله عز وجل حقًا بالنهار لا يقبله بالليل، وحقًا بالليل لا يقبله بالنهار، وإنك لو عدلت على الناس كلهم وجُرت على واحد منهم، لمال جورك بعدلك؛ فإن حفظت وصيتي لم يكن شيء أحبّ إليك من الموت، وهو مدركك؛ وإن ضيعت وصيتي لم يكن شيء أبغضَ إليك من الموت، ولن تعجزه» (الوعظ المطلوب من قوت القلوب).

فراسة إبراهيم عليه السلام

عن سعيد بن جبير قال: قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «لما شب إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يُغَيّر عتبة بابه، فلما فأخبرته، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك» (البخاري).

الختام مسك

د. حسن يوسف الشريف

عبادة التفكر

دعا الإسلام إلى التفكر لمعرفة الحقائق واكتشاف الصواب، ونهانا عن التقليد والجهل والتعصب، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (الحج:٧١)، يقول الرازي في تفسير هذه الآية: بين الله سبحانه وتعالى أن عبادتهم لغيره تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي (الوحي) وهو المراد من قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، ولا عن دليل عقلي وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ .. وإذا لم يكن كذلك فهي عن تقليد أو جهل أو شبهة (ص١١، ص٣٢٤)، وفي كتابه مفتاح دار السعادة (ص ٢٠٠) يقول ابن القيم: ثبت عن بعض السلف أنه قال: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقيل لإبراهيم: إنك تديم الفكرة، فقال: الفكرة مخ العقل، وكان سفيان كثيرا ما يتمثل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦)، قال: أمنعهم التفكير فيها، وقال بشر: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه، وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة، وقال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب.

وليس من فوائد التفكر فقط تحصيل علم لم يكن موجودا، بل للفكر فوائد كثيرة، يعد بعضها ابن القيم فيقول: فالفكر هو الذي ينقل الإنسان من موت الغفلة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم، ومن مرض الشهوة والإخلاد في هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور، ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة السمع والبصر والفهم عن الله والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين، المصدر السابق (ص٢٠٠).

وهنا ننبه إلى الاحتياط من «البدهيات الخادعة» التي تخدع الفكر بظاهر الأشياء، فالعاقل لا يعطي ظواهر الأشياء قدرا أكبر من حقيقتها.

وإذا كان من نتائج «التفكر» تحصيل علم جديد فإنه لابد من إمساك هذا العلم وحفظه حتى لا يتفلت، وهو ما يسمى «العقل» ومنه في اللغة عقل البعير والدابة، كما يقول ابن القيم «عقل الشيء أخص من علمه ومعرفته لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب كما يعقل الدابة التي يخاف شرودها» المصدر السابق (ص ١٣٦).

والهدف من إمساك وعقل العلم الذي حصلنا عليه من التفكر هو استرجاعه عند الحاجة إليه، وهذا هو معنى «التذكر»، فالتفكر الصحيح هو الذي يؤدي إلى «التعقل»، ثم إلى «التذكر»، قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١١ - ١٣)، والتذكر يساهم في رسوخ صفة التقوى في المؤمن، قال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر: ٢٧)، قال الرازي: المقصود من ضرب المثل هو حصول التذكر والعلم.

وفي الآية التي تليها قال تعالى: ﴿قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر: ٢٨) قال الرازي، قال تعالى في الآية الأولى: ﴿لعلهم يتذكرون﴾، وفي الثانية ﴿لعلهم يتقون﴾، والسبب في ذلك أن التذكر مقدم على التقوى، لأنه إذا تذكره عرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه حصل له الإتقاء والاحتراز. تفسير الرازي (ص ١٣).

وكل من التفكر والتذكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا، والتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخه ويثبته حتى لا يمحى فيذهب أثره، فالتفكير يحصل علما جديدا والتذكر يحفظه ويثبته.

وعلمنا أن التفكر يعطينا علما، وكل علم يحدث للقلب يؤثر فيه، وينتج عن ذلك إرادة تحرك صاحبها نحو عمل الفعل أو تركه، ويصف ابن القيم هذه الخطوات بطريقة دقيقة فيقول: الخير والسعادة في خزانة، مفتاحها التفكر، فإنه لابد من تفكر، وعلم يكون نتيجته الفكر، وحال يحدث للقلب من ذلك العلم؛ فإن كل مَن علم شيئًا من المحبوب أو المكروه لابد أن يبقى لقلبه حالة وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال تُوجب له إرادة، وتلك الإرادة تُوجب وقوع العمل، فهاهنا خمسة أمور: الفكر وثمرته العلم، وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب، وثمرة ذلك الإرادة، وثمرتها العمل. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
رحمة للعالمين
صلى الله عليه وسلم
محمد
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل
برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية و الإنجليزية)
يتم بثه حاليًا عبر العديد من القنوات الفضائية العربية
وقريباً عبر أكثر من ٥٠٠ محطة فضائية أمريكية
إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..
تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني
" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم"
ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً
المولى بأن يكون بصمة في قاموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.
Designed By Hussein Alsen
إنتاج إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
www.nafaess.com
info@nafaess.com
DVD

من إصدارات الوعي الإسلامي

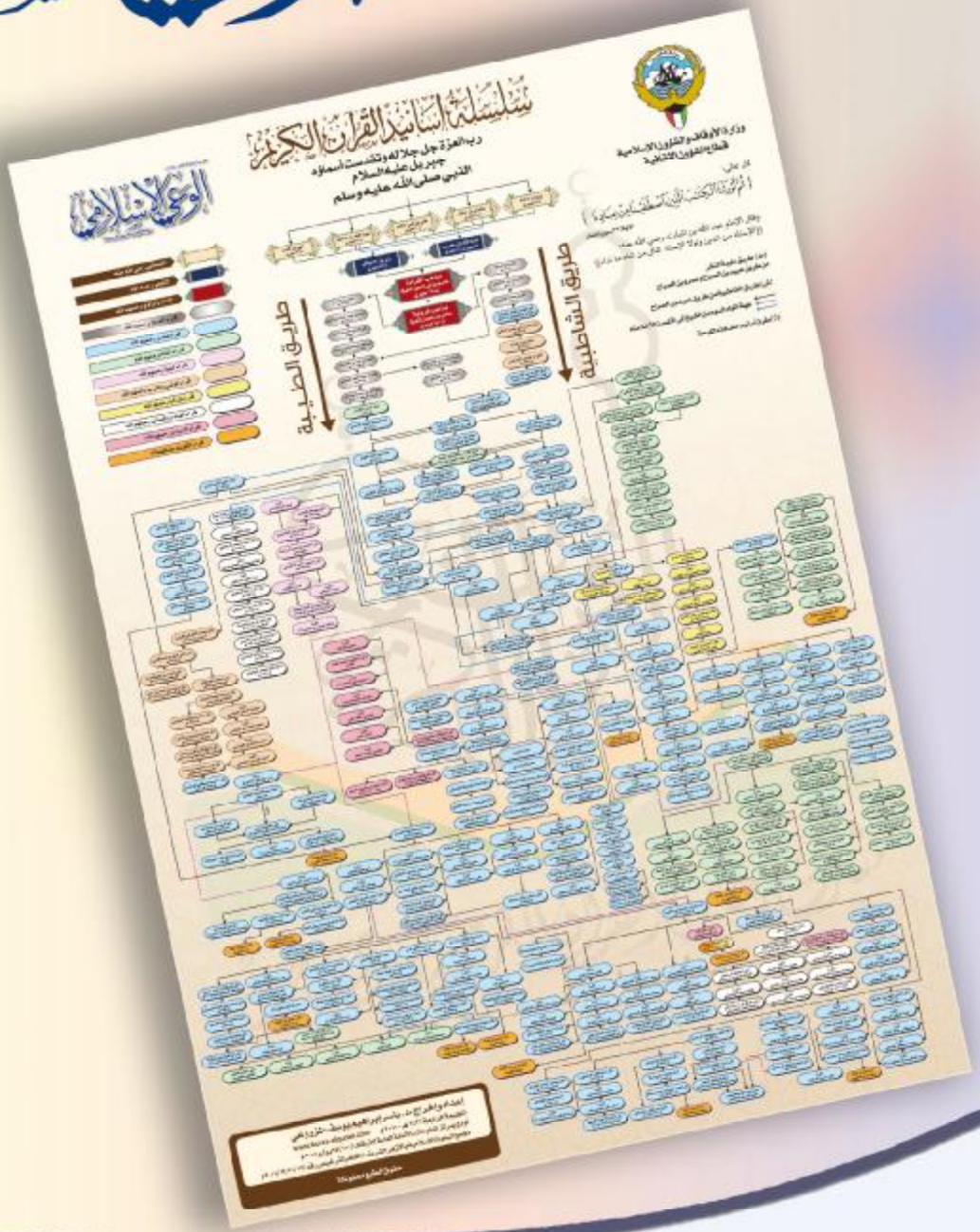

يسر إدارة المجلة أن تهدي جمهور القراء في العالم الإسلامي والمهتمين بدراسة القراءات وأسانيدها لوحة «أسانيد القرآن الكريم» من طريقي الشاطبية والطيبة إعداد الدكتور ياسر إبراهيم المزروعي مدير مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد بوزارة الأوقاف الكويتية.